# المختار من ريدرز دايجست

في أحفل مقالاته لذة وحكمة



يوليو ١٩٤٧

من آيات العرب — ٣

# سر الغنى

« خلف بن تميم قال : قال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق ، أحب أن تقبل منى هذه الجبة كسوة . قال إبراهيم : إن كنت غنيًا قبلتها منك ، وإن كنت فقيراً لم أقبلها . قال : فإنى غنى . قال : كم عندك ؟ قال : ألفان . قال : فيسرك أن تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم . قال : أنت فقير ، لا أقبلها »

« وقال أبو حازم : إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها ما يكفيك ، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك ، فليس فيها شىء يغنيك » [ كتاب : عيون الأخبار ]

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST — Vol. 8, No. 47, July 1947.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلى أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز .

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : ولم ف . جيلسى .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .
العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

هوبارت لويس ، إدواردو كارديناس ، دجلاس لندن ، ج . ج تزبيت ( نيويورك ، الولايات المتحدة ) .
أوفى كيستر ( كوبنهاجن ، دنمارك ) . روبرتو سانشيز ( هفانا ، كوبا ) . س . روتسالاينن ( هلسنكى ، فنلندة )
ترنس هارمان ( لندن ، إنجلترا ) بول و . طمسون ، بير دونوابيه ( باريس ، فرنسا ) . بريتا هب ،
نور آجرين ( أستوكهلم ، السويد ) . جون كوبر ( سدنى ، أستراليا ) . دنيس مالك إيفوى ، يونشيرو سوزوكى
( طوكيو ، اليابان ) . هـ . أوبيرت ( أسلو ، النرويج ) :



مطبعة مصر ش . م . م

السنة الرابعة

# المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٨
العدد ٤٧

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

يوليو ١٩٤٧



# ولادة دون خوف ولا ألم

مختصر كتاب

جرانتلى ديك ريد ، الدكتور فى الطب

الرجل الذى ألف هذا الكتاب الممتع، المثير للجدل، البيِّن النفع للأطباء والناس على السواء ، هو طبيب مولد إنجليزى تخرّج فى جامعة كمبردج ، ومارس صناعة الطب فى هارلى ستريت ، شارع كبار الأطباء فى لندن ، وفى عيادة خاصة فى ووكنج إحدى ضواحى لندن الصناعية .

وقضية الولادة دون خوف أو ألم، هى قضية لم يزل الدكتور جرانتلى ديك ريد يدعو إليها منذ سنين . وقد نشر قبل هذا الكتاب كتاباً آخر فى الموضوع ، كاد يودى بعمله حتى قال : « كان الناس يفرّون منى فرار القطط المذعورة ». وقال له زميلٌ من كبار زملائه : « إن كتابك حقٌ ، ولكنّ أهل صناعتنا لا يسعهم أن يسيغوه » .

أما اليوم ، فترى بعضهم يخالفونه فيما جاء به من تعليل فسيولوجى لألم الولادة، بيد أن كثيرين من زملائه المولدين يميلون إلى آرائه .

وقد قالت مجلة « اللانست » كبرى الصحف الطبية البريطانية فى تقريظ الكتاب: « إنه إرشادٌ حكيمٌ مفرغ فى كتاب بسيط رفيق يبهرك فى كثير من صفحاته » .

وقال الدكتور هنريكوس ستاندر أستاذ الولادة وأمراض النساء فى كلية كورنيل الطبية فى نيويورك : « إن ما يدعو إليه الدكتور ريد هو ما يمارسه جميع رؤوس الأطباء فى فن الولادة . وخليق بكتابه أن يسدى نفعاً جزيلا بما يذكرنا به من أن الحامل التى تبادر إلى استشارة طبيبها منذ تحمل وتوالى

استشارته ، لن تجد ما يدعو إلى الخوف من الولادة ، وبما يدعو إليه كل طبيب من ضرورة الظفر بثقة الحامل التى تستشـيره . فالنزول على آراء الدكتور ريد لا ينجم عنه خطر ما ، ولكن الضرر خليق أن يلحق الأم ، وبخاصة الطفل ، إذا استعملت المخدّرات،فليس فى المخدّرات ما يُعَدُّ أفضلها فى جميع حالات الولادة ».

وقال الدكتور ألن ف . جوتماكر الأستاذ المساعد للولادة فى جامعة جونز هبكنز : « من الخير الجزيل أن تعالج نفس الحامل كما يعالج بدنها . وأعظم ما أسداه الدكتور ريد هو وصف الموقف الذى ينبغى للطبيب أن يقفه من الحامل وولادتها. فقد قضى بجهده الجاهد على الشكوك والمخاوف » .

# ولادة دون خوف ولا ألم

أتعرف تلك المرأة التى نسيت اسمها منذ زمن طويل، أى أثر عميق تركته فى نفسى ، كلمة جرى بها لسانها عفواً ؟

خضت الوحل والمطر على دراجتى بين الثانيـة والثالثة صباحاً ، حتى أتيت كوخاً صغيراً قرب قنطرة للسكة الحديدية، فتلمست طريقى على درج مظلم حتى بلغت بابا فتحته، فإذا بى فى غرفة مساحتها نحو عشر أقـدام مربعة، فألفيت بركة ماء على الأرض،وكانت النافذة مكسورة ، والمطر ينهمر منها إلى جوف الغرفة، ولم أجد غطاء كافياً على السرير بل وجدت أحد طرفيه قائماً على صندوق . وكانت الشيدة مدثرة بأكياس وثوب قديم أسود ، وكان الضوء فى الغرفة منبعثاً من شمعة واحدة ثبتت فى زجاجة على رف الموقد . وكانت إحدى جاراتها قد جاءت بطست وإبريق ماء . ولم أجد صابوناً ولا منشفة ، فاستعملت صابونى ومنشفتى . بيـــد أننى ما لبثت حتى أحسست أن السكينة واللطف يشيعان فى جو الغرفة برغم ما فيها من آيات الضنك والعسر .

وبعد لأى ولد الطفل دون صراخ ولا جلبة ، ولكن وقع بينى وبين الحامل خلاف يسير ، فقـد حاولت أن أقنعها أن تدعنى أخدّرها بقليل من الكلوروفوم ، فأبت متلطفة ولكنها لم تلن. فسألتها لِمَ تأبى؟ فلم تجب

على سؤالى لساعتها ، بل نقلت بصرها من جارتها العجوز التى كانت تبذل لى معونتها ، إلى النافذة وقد أخذ ضوء الفجر يتسلل منها، ثم انثنت فجأة إلىّ وقالت على استحياء : « إنها لم تؤلم ، وربُّك لم يردها أن تكون مؤلمة ، أليس الأمر كذلك يادكتور ؟ »

وقد بقيت أشهراً كثيرة ، كلما رأيت امرأة تعانى أشد الفزع والعذاب من الولادة ، أسمع هذه الكلمة يتردد صداها فى أذنى : « ربُّك لم يردْها أن تكون مؤلمة » ، حتى بدأت أدرك ، أنا الطبيب المحافظ ، أنه مادام البدن صحيحاً معافى فليس بين وظائفه وظيفة ينبغى أن تؤلم ، وأن الولادة وظيفة عريقة متأصلة فى الأحياء ، وقد أرادتها الطبيعة أن تتم بغير ألم .

فَلِمَ تعذب الولادة بعض النساء ، ولا تعذب غيرهن ؟ وهل ألم الوضع هو الذى يملى على المرأة حالتها العاطفية ، أو هل تكون حالتها العاطفية هى مبعث الألم ؟

وقد قضيت السبعة عشر عاماً الأخيرة من حياتى وأنا أحاول أن أتقصى أسباب الألم فى ولادة النساء المتحضرات ، وأن أقيم الدليل على أننا نستطيع أن نقضى بعض القضاء على هذه الأسباب . ومن الجلى أن هذا الرأى لا يصدق إلا على الولادة الطبيعية التى تتم بمنجاة من المضاعفات . ولما كان ٩٥ فى المئة من الولادات هى ولادات طبيعية ، فخليق بهذا الرأى أن يكون ذا أثر عظيم .

وعلى قدر ما ارتقى الناس فى سلم الثقافة ، صاروا أشدّ تحكما وإصراراً على القول بأن الولادة محنة يحف بها الألم والخطر . ولا تكاد الفتيات يبلغن مبلغ الشباب حتى يُلقنَّ هذه الآراء المقررة الشائعة ، وإذا الذى يستبد بهن من خوف وقلق مما كتب عليهن فى مستقبل أيامهن ، يورثهن توتراً فى نفوسهن وعضلاتهن أيضاً .

تسيطر على حركة الرحم ثلاث طوائف من العضلات : أما الأولى فهى التى تشعر الحامل أن الوضع قد بدأ ، وذلك بانقباضها انقباضاً لا سلطان للإرادة عليه، فيدفع الجنين شيئاً فشيئاً إلى خارج الرحم . وأما الثانية فهى التى تحمى مدخل الرحم ، وينبغى أن تسترخى فى الوضع الطبيعى . فإذا ألف عقل المرأة منذ طفولتها ما تترثر به النساء وما يروى من الأساطير . عدّت انقباض الطائفة الأولى من العضلات « ألماً » ، وإذا بهذا « الألم » الموهوم المتوقع يفضى بها إلى الخوف . وينتهى الخوف إلى توتر فى العضل فيتحول إلى ألم صحيح ، ويطيل زمن الوضع ويلجىء الطبيب إلى تخدير لم يكن له داع فى أول الأمر .

وإذن ، فالخوف والتوتر والألم ، هى

ثلاثة شزور ليست ملازمة للوضع فى نظامه الطبيعى ، ولكن المدنية أقحمتها عليه . وما دام الألم والخوف والتوتر عصبة متلازمة ، فنى الإمكان محو الألم بدفع التوتر وقهر الخوف .

وكل طبيب معالج يعلم أن الإيحاء يبعث الألم . سل الحامل التى جاءها الوضع أين موضع آخر ألم أحست به ، ثم وافقها على أنه كان ألماً شديداً حقاً ، ثم ضع يدك على الرحم ، فتحس أنه قد أخذ ينقبض ، ثم قل لها : « والآن ستبدأين تحسين بالألم ، فجربى أن تخبرينى متى يبلغ أشده . اقبضى على يدى ، أطبقى أسنانك ، احصرى ذهنك فى ألمك ، أطبقى جفونك وتألمى » .

وقول الأم الشاحبة البادية القلق لابنتها وهى تبرح الغرفة : « تشجعى ياحبيبتى » باعث عظيم على الألم .

ومثله قول الطبيب المرح : « هونى عليك الآن ، فسأعطيك قدراً كافياً من مخدر آخر حين يشتد الألم ، ولكن ينبغى أن تحتمليه جهد طاقتك »

فإذا أذنت للخوف أن يصطلح هو والألم ، وعززتهما بأقوال تؤثر فى النفس وبالخداع والقسوة ، كان ذلك حسبهما ، وهما عدوان شديدان للولادة ، أن يفسدا الأسلوب الذى ركب فى بدن المرأة لتيسير إخراج الجنين إلى نور الحياة .

تسمع الفتيات أول ماتسمع عن الولادة من صواحبها وأقاربها وسواهن ممن حملن وولدن . وما أكثر النساء اللواتى يسرهن أن يروين ماعانينه من فظائع الولادة ، ثم يهولن فيما يروينه كمثل قولهن : « قال طبيبى إن حالتى كانت من أسوأ الحالات التى عالجها »

ولن أنسى ماحييت سيدة متجهمة كانت تحكم أسرتها بيد من حديد ، وتبسط سلطانها على جيرتها فى قصر زوجها النبيل الوديع . وقد دخلت ذات يوم على عيادتى ، وهى تجر بيدها فتاة بدينة حمراء الوجه فى الرابعة والعشرين من عمرها ، ثم أجلستها فى مقعد قرب مكتبى ، وبسطت قامتها المديدة ، وشدت سترتها كأنها محنقة . ومطت عنقها لتحررها من ضغط بنيقتها القاسية ، وقالت دون تحية بصوت خفيض متهدج :

« لقد جئت بابنتى إليك ، ولعلها حامل » .

ألقيت نظرة عجلى على يد الفتاة اليسرى ، فاطمأنت نفسى ساعة رأيت خاتم الزواج ، وأما الأم فقد مضت تبين لى أنها لم تألُ جهداً فى شرح الأمر لابنتها ، وأنها ترجو إذا حانت ساعة الوضع أن يكون سلوك الفتاة موسوماً بالشجاعة والصبر ، وفقاً لما أثر من عادات الأسرة وتقاليدها .

أما الابنة فقد أسقطت جنينها بعد شهرين .

وبعد سنتين كانت تعالج من إدمان الخمر . وقد سمعت بعد ذلك أنها طلقت ، أفهناك شك فى أن الخوف كان أصل مصيبتها .

وأنت ترى أن الكتب والأفلام وبرامج الإذاعة والصحف لا تفتأ تعرض على عيون النساء كل ما من شأنه أن يرسخ فى نفوسهن الخوف من آلام المخاض . أفليس من الضرورى إذن أن نتوسل بالتعليم إلى تصوير ما تنطوى عليه الأمومة من سعادة طبيعية حقة ، وينبغى أن تكون الصورة التى ترسخ فى ذهنها ، عما تتوقعه فى حياتها من تجارب الأمومة ، صورة تضم كل ماهو جميل من روائع الحب وثمراته . فإذا تمت لها سكينة النفس والبدن ، وسعها أن تنتظر وهى صابرة مجىء الطفل الذى تجد فى صرخته العذبة التى يستهل بها حياته ، بهجة لا تنفك تذكرها على الأيام ، فتستعيد تلك الموسيقى الحلوة فتحيي مرة أخرى فى تلك اللحظة التى جاءت متوجة لحياتها .

وكذلك الحال فى المخاض والولادة . وأنا أؤمن بأنك لا تجد فى الحمل الطبيعى شيئاً ما خليقاً بأن يؤذى صحة المرأة ، أو يفسد عليها سعادتها ، أو يضعف قواها ما عاشت . فإذا أمكن قهر الخوف بطل الألم . وقد ابتكرت وسائل لقهر الخوف فى نساء كثيرات عولجن فى بحر السنوات العشر أو الخمس عشرة الأخيرة ، فزال عنهن الألم على تفاوت بينهن . وفى وسعى أن أقول إن القول بضرورة معاناة آلام الوضع ، سوف يصبح فى المستقبل غير البعيد ، أثراً من آثار عصر مضى .

ومن المحال أن تتوقى الأمهات مخاوف الوضع إذا كن يجهلن الحقيقة . والناس لا يخشون الحقائق ، بل يخشون الأشياء المحفوفة بالشبهات والشكوك .

إن النساء لم يتعلمن قط أصول الحمل والولادة ، فيوم كان العقل البشرى فى بداياته الأولى ، لم تقلقه المخاوف الدخيلة عليه ، فلم يكن ثمة داع يقتضى المرأة أن تتعلم هذه الأصول . فلما كانت العصور الوسطى وانتشرت الآراء الخبيثة عن الولادة ، أهمل أمر إبطالها والرد عليها ، ومنع عن الناس الاطلاع على أسرار الخلق وعجائبه .

ولقد تبينت أن جهل بعض النساء اللواتى عالجتهن بأبسط الحقائق ، بلغ مبلغاً لا يكاد يصدق . وقد عرفت نساء أثقلهن الحمل فكن يعتقدن أن الجنين سيولد من السرة . فلذلك لن أدخر وسعاً فى تعليم النساء حقائق الولادة ، فأرفع لهن الستار عن قصة الحمل والولادة شيئاً فشيئاً شهراً بعد شهر ، بوصف نمو الجنين وصفاً عاما مختصراً . وينبغى أن تنذر الأم قبل ارتكاض الجنين فى أحشائها

أن الاختلاج الضعيف الأول، إنما هو حركة طفلها وهو يحاول أن يروض عضـلاته . وكنت أعطى الحامل سماعتى الطبية فتصغى بها إلى خفقان قلب الجنين .

وسرعان ما لقيت ما يشجعنى على مواصلة السعى ، فقد رأيت نساء كثيرات يدركن الحقيقية بفطرتهن ، وينكرن أن الألم ضربة لازم. ولكن بدا لى أن هذا وحده لا يكفى ، فلم يكن بد من أن أجد وسيلة تقهر أمضى سلاح فى يد العـدو — التوتر . وكذلك نشأت طريقة التدريب على استرخاء البدن . فإذا تم له أن يسترخى استرخاء تاما ، كان من المحال أن يجد الخوف سبيلا إلى نفس صاحبه .

وماذا نقصـد بالاسترخاء ؟ أبدأ فأقول للحامل : « استلقى على هذا المقعد واسكنى واستريحى الراحة كلها ، ثم أعطينى يدك اليمنى ، أعطينى إياها بغـير تحفظ ، أعنى لاتفكرى البتة ماذا أصنع بها ، ولا تحاولى أن تساعدينى فيما أريد أن أفعل ، لأن كل جهد تبذلينه لمعونتى يضر أكثر مما ينفع » . فهذه هى الخطوة الأولى، ثم أمسك بالمرفق والمعصم ، وأرفع الذراع قليلا فوق المقعد ، وأقول لها إنى أريدها أن تدع ذراعها تسقط كأنها شلو لاحياة فيه . ومن العجب أن ترى عدد كبيراً من الناس لايسعهم أن يدعوا أيديهم تسقط على هذا المنوال ، وإنما ينزلونها ببطء ثم يحركون إصبعاً أو يثنون أحـد أصابع القدم . ولا أزال أدربها على هذا حتى أظفر باسترخاء يدها على أتم وجه ، ثم أنتقل إلى طائفة أخرى من العضلات .

وينبغى أن يعد الاسترخاء جزءاً أصيلا فى نظام الولادة الطبيعية ، وينبغى أن يصحبه انصراف العقل انصرافاً تاماً عن كل تفكير فى عمل الرحم . وما أكثر ماقلت لحامل جاءها المخاض : « ليس فى وسعك أن تصنعى شيئاً يعين على الولادة حتى الآن ، فدعى الرحم يؤدِّ عمله دون أن تشغليه بما يعنّ لك من سؤال . فإنك إذا تدخلت فى أمره ساءه ماتصنعين ، فيؤذيك . لاضرورة إلى العجلة فالباب يفتح فى حينه » . وفى كل مرة تقريباً كانت الحامل تجزى بالنجاة من الألم ، إذا هى أخذت بهذه النصيحة .

وقد ترغب الحامل التى جاءها المخاض أن تمسك بيدك ، أو أن تسند رأسها إلى ساعدك، ولكن ليس ثمة شك فى أن ما نطلبه وترغب فيه ، إنما هو أن تستمد القوة من ثقتك بنجاتها من هذه المحنة . وهى محقة حقاً . ففى النفاس تتكشف طباعها الأصيلة : أمن طباعها الصبر أم الجزع ، والشجاعة أم الهلع . ومن النساء من يقول لسان حالها :

« أستطيع وسأفعل » أو « لا أستطيع ولن أقوى على أكثر من هذا » ، فكل امرأة ينبغي أن تعالج على نهج يوافق مزاجها ، ولكنهن جميعاً يشتركن فى شىء واحد ، هو التماس السكينة من قوة من يعينهن على الوضع . ولن تجد حداً تنتهى عنده بسالة امرأة ، إذا بثثت فى نفسها الثقة والإيمان .

بعد سنتين أو أكثر قليلا من ترويض الحوامل على الاسترخاء تأيدت ثقتى بنفعه ، وصار أكثر النساء اللواتى تم وضعهن على أساسه ، ينظرن إلى الولادة نظرة جديدة ، وهذا أهم شأنا فى نظرى . وكثيراً مارأيتهن يمسكن بجهاز التخدير وهن يعرفن نفعه أتم معرفة ، ولكنهن أبين التخدير ، فقد أصبحن قادرات على أن يفرقن بين العمل الشاق والألم .

ومن البداهة أنه لا ينبغى للمرأة أن تحتمل من العذاب فى سبيل وليدها أكثر مما تطيق ، وينبغى للأطباء المولدين أن يتوسلوا بكل حيلة فتقها العلم لمنع ذلك العذاب . والنساء اللواتى يطلبن التخدير للنجاة من الخوف ، أكثر من اللواتى يطلبنه للنجاة من الألم . فإذا كانت المرأة ممن لا يستبد بها الخوف ، فوجود الألم يدل على شىء غير طبيعى ، ولا بد من علاجه . ولكن إذا كان الوضع طبيعياً وسار كما ينبغى أن يسير ، فقل بين النساء من تحب أن تخدر .

وأنا أستنكر الدعوة إلى تخدير كل امرأة فى المخاض، كما يفعل معظم الأطباء المولدين . فمن الإجرام أن يصر على تخدير وعى امرأة تلد ولادة طبيعية، وتحرص أكثر ما تحرص على أن تشهد جزاء ما بذلت من جهود، وهو جزاء سداهُ ولحمته سعادة ورضى يجلان عن الوصف . ثم إن العلم لم يكشف مخدراً ملائماً لجميع الأحوال والحالات ، فبعضها يعرقل القوى الطبيعية التى تهيء الوضع ، وغيرها ليس مأمون المغبة على الأم أو الطفل

لقد لقن الأطباء المولدون أن الوضع مؤلم فى جميع الأحوال ، فجعلوا ديدنهم أن يستعملوا بعض المسكنات أو بعض المخدرات، سواء أكان الوضع طبيعياً أم لم يكن ، بل لقد جروا على أن يكذبوا المرأة التى تقول إن الوضع لا يؤلم .

وإنى لأتخيل زمراً من الأطباء فى معاطفهم البيض ، يطلبون الثروة وذيوع الصيت فى بحثهم عن سلاح يدفع عن جميع النساء عدواً لا وجود له فى ٩٥ فى المئة من الحالات . ويغلب أن تكون الشهرة أيسر مقاداً للدواء الذى يفوق غيره فى مشقة أخذه وطول اسمه . ولذلك سرعان ما توارى من ميدان العلاج استنشاق قدر يسير من الغاز المخدر أو الأثير

أو الكلوروفورم ، وصاروا يحقنون المخدرات تحت الجلد أو فى المعدة أو فى الوريد أو فى العضلات ، أو فى الشرج أو النخاع الشوكى أو أعصاب العجز ، بل فى كل مكان من البدن يمكن أن يحقن فيه. وقد ازداد طول أسماء هذه العقاقير باتساع نطاق استعمالها وغطت شهرتها على الأدوية المألوفة القليلة الحروف.

فإلى متى يدوم هذا العبث، إلى متى؟ولم لا يحاول بعض أصحاب العقول المتوقّدة المتفوّقة أن يجربوا طرقاً مأمونة حقا فى منع ألم المخاض ؟ ترى أعقمت عقول العلماء حتى لا ترى شيئاً غير العقاقير والمخدرات ؟ إننا نعلم أن استعمال هذه المواد يفضى أحياناً إلى الموت ، ولما أكثر الأطباء المولدين الذين دونوا ماتلحقه من الأذى بالأم والوليـد . وما هو الباعث الذى يحض على البحث عن إكسير يشفى علة يستطاع منعها فى معظم النساء على أيسر سبيل وأهونه ؟ ودعونا نسأل : إلى أى حد تحتمل الأمّ الألم راضية إذا علمت أن فى نجاتها منه خطراً على تنفس وليدها؟ . .

حقًّا إن التوسُّل بالفكر آمن مغبَّةً من التوسل بعقار خطير . وخير المخدرات وأعظمها أمناً هو العقل المثقف الخاضع لإرادة صاحبه ، ثم يليه الانتفاع باستنشاق مخدّر خفيف وبالإيحاء فى وقت معاً .

وقد كتب الدكتور جوزيف دەلى من كلية الطب فى جامعة شيكاغو عن الإيحاء فقال : « لقد أكثرت من الانتفاع به ، بل لعلى لم أنقطع عن الانتفاع به ، وإن صدرى ليضيق حين أرى عدد الذين يهملونه من زملائى ، فلا ينتفعون بهذا العلاج القوى المأمون »

وأقول غير متردد إن النتائج التى أسفر عنها توسلى بالإيحاء أول مرة فى حالات الولادة الطبيعيـة ، قد بهرتنى حتى رحتُ أشكُّ فى نفسى ، مع علمى بأنى لا أعرف شيئاً عن التنويم المغنطيسى .

ولذلك شاورت رجلا من أكبر الثقات فى هذا الموضوع ، وطلبت منه أن يفحصنى ويمتحن أساليبى ، وقد انجلى الفحص المحكم الدقيق عن إقناعى بأنه ليس ثمة صلة بين التنويم المغنطيسى والانتفاع بالاسترخاء فى التوليد .

ولا تجد بين النساء اللواتى زالت مخاوفهنّ وأدركن حقائق الوضع ، سوى عدد قليل جداً يحتاج إلى عقار أو إيحاء .

بيد أنى أعود فأقول إننى لا أريد أن أحمل أحداً على الظن بأن الاسترخاء هو السرّ كل السرّ فى الولادة الطبيعية . وهو لن يجدى حقاً إلا إذا أحاطت المرأة بجميع ظواهر الوضع .

وكثيراً ما يقول الأطباء المولدون :

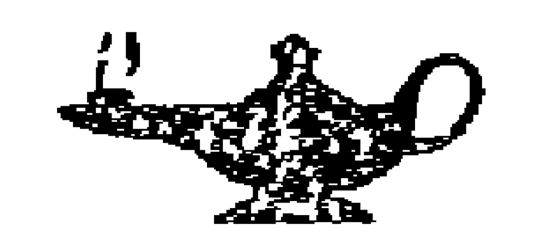
« ولكن وقتي يا سيدي لا يتسع لفعل كل هذا الذي تريد » .

أما جوابي فهو أنه ينبغي لنا أن لا نأذن لشيء كائن ما كان ، أن يسلب امرأة في المخاض عناية الطبيب الذي وضعت فيه ثقتها .

إن الولادة وظيفة طبيعية ، وجزاؤها الأكبر أعظم جداً من كل تضحية تبذل في سبيله ، فهي في حكم قانون الطبيعة كمال الأنوثة في ذلك النظام العظيم الذي سُنَّ لتخليد النوع ، وهي الهدف لأقوى العواطف المتأصلة في طبائع البشر .

وقد وصفت نساء كثيرات محنة الولادة فقلن إنها تقترن بسموّ نفسيّ لم يشعرن بمثل قوته من قبل . وطالما شهدت آيات ذلك السموّ ، وأحسست إحساساً قوياً بذلك التحوّل العجيب الذي يطرأ على النساء ساعة يستقبلن أطفالهن ، حتى لأسأل نفسي : لِمَ كان ذلك؟ ليس سبب ذلك رقة الشعور ولا الخلاص من الألم ، ولا الرضى الذي يحس به من أنجز عملا . إنه أعظم من كل ذلك جميعاً . أفكانت مشيئة الله أن يسمو بنفوس الأمهات في تلك اللحظة التي تَمَّ فيها نعمة الحب، تقريباً لهن واصطفاء؟ أو لعله هو الجزاء الطبيعي للذين يحققون الغرض الأسمى من حياتهم ؟

وكلما أدمت التفكير في هذه الأمور ازددت ثقة بأن الجواب الصحيح عن السؤال الذي وجهته إليَّ تلك المرأة التي ولدتها منذ سنين ، هو قولها : « ربُّك لم يردْها أن تكون مؤلمة » .



## تعريفات لاذعة

الميزانية: هي وسيلة تكفل لك أن يركبك الهمُّ قبل أن تنفق مالك لا بعد أن تنفقه .

السيدة الكبيرة: هي المرأة التي تذكر غيرها دائماً ، ولا تنسى نفسها أبداً .

الزوج: هو رجل يشد أزركِ حين تنزل بك محن ما كانت لتنزل بك لو لم تتزوجيه .

# نزوات ممثلة عظيمة

ثادا چان پوردو

مختارات من كتاب "إليانورا دوزى وسيرتها"

فطن ملك فرتمبرج مرة أن للملوك والأمراء منزلة خاصة عند الممثلات ، فأرسل ياوره الكبير إلى حجرة دوزى فى المسرح حيث تغير ملابسها، يستأذنها فى أن تستقبل سيده .

فقالت دوزى : « أرجوك أن تعرب عن شكرى لكرم جلالته ، وأن تنبئه بأن عجزى عن استقباله يؤسفنى أشد الأسف » .

ولكن الياور ألح ، فكان رفضها أقوى، وقالت إنها لا تستقبل فى حجرتها الخاصة سوى أقرب المقربين إليها من أصدقائها ، وأنها لا يسعها أن تبدل ماجرت به عادتها من أجل أحد ولو كان ملكا .

وكان الملك قد عزم على أن يراها، فتبع الياور وما لبث حتى دق على باب الحجرة .

فقالت دوزى : « من الطارق ؟ »

فقال : « صاحب الجلالة ملك فرتمبرج»

فقالت بصوتها الهادىء : « آسفة ، فقد قلت لرسولكم إنه لا يسعنى أن أستقبل جلالتكم. وعلى كل حال فأنا الساعة أبدل ملابسى » .

فقال : « أنتظر » فردت دوزى بأنها لن تخرج من حجرتها مالم يعد الملك أولا إلى مقصورته ، فلم يكن للملك مفر من أن يعود غاضباً إلى مقصورته ، وظل فيها إلى أن انتهت الحفلة .

أما ملك السويد فقد كان أوفر حظاً لأنه عنى بإرسال رسالة مفرغة فى أسلوب السياسى البارع ، قال : « ليس الملك هو الذى يطلب أن تستقبليه ، بل أعظم رعاياك إعجاباً بك» . فاستقبلته لساعتها،وظل يتردد عليها باسم الصداقة لا الملك .

وقد حدث مرة فى بتروجراد أن بيعت جميع تذاكر المسرح ، وأقبل القيصر وأعضاء الأسرة المالكة، واستعد جميع الممثلين للقيام بأدوارهم ، وإذا دوزى تدعو مدير المسرح وتنبئه فى سكينة أنها لن تمثل الليلة .

فصاح بها هلعاً : «ماذا تقولين! لقد وصل القيصر ، وليس فى وسعى أن أرده ! »

فقالت : « ولم لا تستطيع ؟ فلو فعلت لما وجب عليك أن تعيد إليه ثمن التذاكر ، لأنه لا يدفع ثمن تذاكر الحضور» ووضعت قبعتها على رأسها ومضت إلى الباب وهى تقول : « دبر أمرك ماوسعك التدبير » .

فقال: « رباه . لاحيلة لى، وكيف أدبره ؟

لامفر لك من أن تمثلى ، ولا يحق لك أن تستسلمى لنزوة طارئة حين يكون أصحاب التيجان فى المسرح » .

فقالت : « أوتظنُّ أيها الأبله أن أصحاب التيجان أهم فى نظرى من سائر الناس ؟ فالتمثيل الليلة غير محبب إلىّ ، ولن أفعل مهما يكن شأن النظارة الذين فى مسرحك » .

كان الملك إدوارد السابع ، يوم كان ولياً للعهد ، مقيماً فى مدينة كان على ساحل الريفيرا ، وكانت فرقة من كبار الممثلين الإيطاليين تمثل فيها وعلى رأسها إليانورا دوزى . وأمّ الأمير المسرح ذات ليلة فسمع مدير الفرقة بذلك ، فهرول إليه يعتذر لأن المسرح رثٌّ فقال الأمير :

« وماذا يضير ؟ إنه يسرنى أن أذهب إلى إصطبل حتى أسمع دوزى الساحرة . فقيمة الصورة الرائعة ليست فى إطارها » .



## سر العلاج

كان المرضى المنتظرون فى العيادة منهمكين فى وصف ما يعانون من علل ويتحسرون على أيام الصحة والعافية ، ويواسى بعضهم بعضاً ، فتزداد أوصابهم وطأة عليهم دقيقة بعد دقيقة . على أننا لم نلق بالنا إلى سيدة نحيلة عجوز كانت جالسة هناك ، فإنها لم تنبس بكلمة حتى سألها أحدنا عن علتها ، فترددت قليلا ، ثم ذكرت اسم مرضٍ مستعصٍ لا علاج لهُ .

خيم السكون علينا ، وخيّل إلينا أن متاعبنا ليست شيئاً يذكر حيال مصيبة هذه السيدة . فلما دخلتْ العيادة على الطبيب ، أحسسنا جميعاً أننا صرنا أحسن حالا . فلما جاء دورى وفرغ الطبيب من فحصى ، وصفت له كيف تغيرت حال المرضى بعد الذى كان من كلام السيدة العجوز .

فابتسم الطبيب وقال : « إن أمى تحبُّ أن تجلس هناك وأن تحتال على تحسين حال المرضى بطريقتها هذه ، وكثيراً ما أقول لنفسى : « لعل علاجها أنجع من علاجى » .

[ مسز س . ب . جنصن]

أسلوب يتيح لأطفال المدرسة أن يتعلموا دروساً نافعة مجدية خارج دور التعليم



# مدرسة في الخلاء

إيمي پورتر

مختصرة من مجلة "كوليرز"

كان الثلج على عمق قدم ساعة دنونا من البحيرة ، فرأينا خلل الأشجار جماعة من الأولاد والبنات في شغل شاغل حول نار مشبوبة في العراء .

فقال الدكتور جورج دونلدسن : « ليس ماترونه نزهة خرج فيها هؤلاء الصغار ، إنما هم يحضرون دروساً في العراء لا في داخل الدور »

والدكتور دونلدسن يدير مدرسة عامة هي الأولى من نوعها - فما هي سوى مخيم يضرب في الأرض الفضاء فيؤمه الطلبة للدراسة على مدار العام . تفد عليه الجماعة منهم مؤلفة من ستين من أطفال المدارس ومعلميها ، فتقضي فيه أسبوعين ثم تبرحه ، ولا تكاد جماعة تعود أدراجها حتى تقبل أخرى تحل محله

ومنذ سبتمبر ١٩٤٤ يوم بدأ دونلدسن تنفيذ هذا المنهج ، لم يكد يمر أسبوع دون أن يزور هذا المخيم من يمثل مدرسة المدارس أو نظاماً من نظم التعليم. وقد ... رجال المعارف على إنشاء سبعة مخيمات غراره ، فيكون عملهم الخطوة الأولى ... سبيل توسيع نطاق التعليم في الخلاء . و... أنشأت مدارس المعلمين مخيمات لتدر... المعلمين على أساليب تربية الأولاد في الخلاء

ويعتقد أهل التربية أن التربية القو... وتدريب الناس أفراداً وجماعات على خلا... المبادرة إلى الخير ، والإقدام على حمل التبعة ،

والتسامح ، وحسن الأدب ، ومعرفة ثروة الأرض ، والتمتع بجمال الطبيعة ، لهوضرب من التعلم تحصيله فى الخلاء خير من تحصيله بين جدران الدور ، ففى الخلاء يستطيع الطفل أن يتعلم بالنظر واللمس والشم واستعمال عضلاته — وبتعاون الجماعة .

والحاجة إلى هذا الضرب من التجارب المفيدة لاتقتصر على أطفال الأحياء الفقيرة فى المدن الكبيرة . ومدينة « باتل كريك » التى أنشئت فيها هذه المدرسة قائمة فى الريف ، ومع ذلك فقد ظهر من استفتاء تم بين ٣١ من تلاميذها ، أن ٢٨ تلميذاً منهم لم يخرجوا من قبل إلى التنزه فى الغابات .

فلنلق نظرة على جماعة جديدة من الصغار وصلت لساعتها إلى المخيم . فقد جمعهم الدكتور دونالدسن فى ساحة واسعة ، ورحب بهم فقال : « أمامنا أسبوعان ، فنريد أن نستمتع بكل دقيقة من دقائقهما . وثمة أشياء كثيرة نصنعها : من طهى فى الخلاء ، ورحلة إلى منازل الطير ، وتزحلق على الجمد أو الانزلاق على الثلج — وستجدون فى الورشة أدوات بديعة تنتظركم . ونحن فى حاجة إلى إعداد بعض مايلزم للصغار الذين يؤمّون هذا المخيم فى الصيف ، فثمة زورقان ينبغى أن يجرّا إلى الشاطىء ، أفلا تبذلون لنا معونتكم ؟ »

يتفرق الأطفال جماعات جماعات فى أكشاك ، ويكون لكل جماعة مستشار أو مستشاران فتضع منهجاً لعملها وجدولاً لمواعيده . وعسى أن تجد جماعتين تطلبان شيئاً واحداً فى وقت معاً ، كاستخدام مركبة ذات غطاء للقيام برحلة تستغرق نهاراً وليلة . فيسوى هذا الخلاف وما كان على غراره ، فى اجتماع يسوده النظام . ولست تسمع أحداً من الصغار يجرى على لسانه ألفاظ « الخير العام » « والإنصاف » ولكنهم جميعاً يجرون على مقتضاها .

ولا يوافى اليوم الثانى حتى ترى كل فرد فى شغل شاغل ، فيتولى اثنان أو ثلاثة من الصغار عمل الصراف ، ويقوم أربعة على متجر البقال ، فيبيع الطعام لأية جماعة تنتوى رحلة تستغرق النهار كله ، وتعنى جماعة أخرى برصد حالة الجو فى الصباح ، فقد أنشىء على طرف مرسى البحيرة جهاز يصلح لرصد حالة الجو هناك .

وكل عمل فى المخيم له أبداً غاية . فالأولاد والبنات يختزنون الخشب للنار ، أو يطلون الأكشاك أو المعدات بالدهان ، أو يمهدون طريقاً ويفرشونه بالحصى . والصغار أنفسهم هم الذين يضعون الخطة لعملهم ، ثم ينفذونها ثم يقدرون ماصنعوا ، وهل أجادوا أو لم يجيدوا ، ويحصون على أنفسهم ما أحسنوا فيه وما أساءوا .

والنظام الذى يسيرون عليه هو النظام

الذى تأخذهم به الحياة فيما بعد . فقد عهد ذات يوم إلى أحدهم أن يعدّ بيضاً مقليًّا للفطور ، فأخذ يختال أمام إخوانه ويثب ويطلق النكات ، وأخيراً اندلق البيض على النار .

فلم ينبس المستشار بكلمة ، ولكن الصغار الجياع هجموا عليه ونكلوا به . فإذا أراد أحدهم اليوم أن يخفف من غلوائه ، فحسبه أن يهمس قائلا : « أتذكر البيض ؟ »

وقد ذهبت إحدى الجماعات ذات مرة مع مستشار لتقطع شجرة وتنتفع بحطبها وقوداً ، فشرح لهم صناعة الاحتطاب وتجارة الخشب وما لها من منزلة فى تاريخ تلك الناحية. وفى اليوم التالى بادر الصغار فقطعوا ثلاثة أميال من تلقاء أنفسهم ليشاهدوا مصنعاً ينشر فيه الخشب ، فتعلموا مما رأوا كيف تحول القطعة من جذع الشجرة ألواحاً من الخشب — فبعد ذلك صار للتاريخ والجغرافية شأن أكبر فيما يدرسون ويعملون .

وقد تعلموا على هامش هذه الرحلة ، شيئاً من الحساب ، وأسباب الوقاية ، وتبعة الجماعة ، والخطابة والكتابة . وتعلموا أيضاً شيئاً عن التغذية ، لأن الصغار دبروا أمر طعامهم بأنفسهم مسترشدين بمرشد الطعام فى المخيم ، واشتروا الطعام من مخزن المخيم وأعدّوه بأيديهم . وقد عنوا بوصف رحلتهم إلى مصنع الخشب فى الرسائل التى بعثوا بها إلى أهلهم (دون أن يفطن أحد منهم إلى أن ما كتبوه كان أيضاً تمريناً على الإنشاء ) .

فإذا ما دب الدفء فى الجو والأرض ، قام الصغار فى رحلات لدراسة طبقات الأرض ، أو لصيد السمك ، أو زاروا المزارع المجاورة . والمستشار فى رحلة طبقات الأرض لا يحاضر فى علمه ، ولكنه يلتقط حجراً ويضرب به بسكينه حتى يقدح شرراً ، وحسبه هذا حتى تنهال عليه أسئلة الصغار : ماهذا ؟ أتسمح لى بأن أجرب ؟ خير لك يابنى أن تلتمس حجراً مثله . أهذا حجر النار ؟ كلا هذه قطعة من حجر فيه حديد . ولكن ليس فى هذه الناحية صناعة حديد ؟ فكيف جاء الحديد إلى هذه الأرض . . ؟ وكذلك يتصل الحديث إلى بحث أنهر الجمد وتأثيرها فى صفة سطح الأرض فى تلك الناحية.

والتسامح بين أجناس الناس جزء أصيل من الحياة فى ذلك المخيم — ولكنك لن تجد أحداً يتحدث عنه . فالصغار على اختلاف أجناسهم وعقائدهم يعملون معاً ، ولا يلتفت أحد منهم إلى هذا الاختلاف أو يعيره أقل عناية . فإذا اتفق — وهذا نادر — أن أفضى الحديث إلى ذكر الأجناس والأديان ، دعاهم المستشار إلى اجتماع يقتل فيه الموضوع بحثاً ، ويعرب الذين يختارون لتمثيل جماعتهم إعراباً حراً عن آرائهم .

فلا غرو إذن أن ينشط طلاب المدارس بعد أن يقضوا أسبوعين فى هذا المخيم.

وإعداد الموظفين لإدارة مخيم مدرسى على هذا الغرار من أكبر المشكلات، فهذه فرصة متاحة لمقدم من مقدمى الكشافة، أو لمدرب من مدربى الرياضة. وقد يتطوع للعمل فيه جماعة من الشباب الذين تدربوا على تنظيم الرحلات، أوالذين يحبون الصيد ويحسنونه، ويسرهم أن يدربوا الصغار على أساليبه، وكثير من معلمى المدارس يرغبون فى بذل معونتهم.

ونفقة المخيم ليست بالكبيرة، فقد أدار دونلدسن مخيما فى الصيف فلم يكلفه أكثر من ألف ريال — وذلك يشمل تكاليف المبانى والمعدات، فقال: «ولسنا نصنع شيئاً تعجز عن مثله أية مدرسة من المدارس».

## براعة سياسى

قليلٌ من رجال السياسة من يُعدُّ نداً لدفاليرا الزعيم الإرلندى فى الحذق والبراعة وسعة الحيلة، فإذا احتدم الجدال هداهُ حسن التدبير إلى كسب المعركة مرة بعد مرة وسنة بعد سنة. وقد سألت مرة رجلا من المقرَّبين إليه كيف يتسنىَّ لهُ ذلك، فروى لى القصة التالية.

«أراد قسيسان أحدهما من الجزويت والثانى من الدومنكان أن يدخنا فى أثناء تمشيهما فى حديقة الدير، فاتفق رأيهما على أنهُ ينبغى لهما أن يسألا الرئيس أن يأذن لهما، فذهبا إليه، وعاد الدومنكانى فألفى الجزويتى يدخن. فغضب وقال: «إن الرئيس قد ردَّ سؤالى، فكيف قبل سؤالك!»

فسألهُ الجزويتىّ: «ماذا طلبت؟»

فقال الدومنكانى: «طلبت أن يؤذن لى أن أدخن وأنا أذكر الله».

فقال الجزويتى وهو ينفخ الدخان: «أما أنا فقد طلبتُ أن يؤذن لى أن أذكر الله وأنا أدخن».

وقال صديق دفاليرا وهو ينفخ الدخان: «وهذه هى طريقة صاحبنا دفاليرا».

[ ج. ب. ماك إيفوى ]

فصل خفيٌّ من التاريخ

# لماذا لم يَغزُ الحلفاء أوربة في صَيف ١٩٤٣

مارتن سومرز

مختصرة من مجلة "ذي سترداي إيفننج بوست"

ربما كان في وسعنا أن نقول إن بلاغة تشرشل قد حولت مجرى التاريخ في ليلة مقمرة من ليالي شهر يونيه ١٩٤٢ حين كان ضيفاً على البيت الأبيض .

كان مستر هاري هوبكنز ، رسول الرئيس روزفلت وموضع ثقته ، قد سافر إلى لندن قبل ذلك بشهرين على رأس بعثة عسكرية من بين أفرادها الجنرال مارشال وبعض معاونيه ، وفي جعبتها تفاصيل خطة حربية ترمي إلى غزو أوربة من المانش في أوائل شهر يوليو سنة ١٩٤٣ لا سنة ١٩٤٤ ، وتكون مقاطعة نرمندي هي الهدف الأول ، ويحشد لهذا الغزو كل ما لدى الحلفاء من قوة في وسائل النقل والطيران والمدافع والجند ، ومع التريث في قتال اليابان حتى يتم النصر على ألمانيا . وكان الجنرال مارشال يؤمن بأن هذه هي الخطة الوحيدة الكفيلة

هذه مقالة تميط اللثام عن خطة جريئة وضعت لغزو نرمندي قبل غزوها بسنة كاملة ، وعن قصة مؤتمر البيت الأبيض الذي أرجأ تنفيذها .

بإنزال الهزيمة بألمانيا في أقرب وقت وبأقل نفقة ، ولكن بقي أن يقتنع البريطانيون بهذه الخطة .

وشرح الجنرال مارشال هذه الخطة ببيان كشف عما عرف عنه من وضوح العبارة




كانت خطة تشرشل قديمة معروفة

وبراعتها . ولاقت الخطة معارضة كبيرة ، وبخاصة فى أثناء الجلسات التى عقدت فى دار رئيس الوزارة البريطانية، واشتد الجدال يومئذ . وقد حضر الملك جورج إحدى تلك الجلسات ، وأخيراً وافق البريطانيون على تنفيذ خطة الغزو فى سنة ١٩٤٣ وطار هوبكنز ومارشال عائدين إلى وطنهما .

وبعد أن غادرا بريطانيا وقعت أمور غريبة كما تبين ذلك فيما بعد. فقد وصل اللورد لويس مونتباتن إلى وشنطن فى ٣ يونيو سنة ١٩٤٢ ونزل ضيفاً على البيت الأبيض . ومونتباتن رجل ودود حلو الحديث من أولئك النبلاء الذين يُشتهى السمر معهم ، وكان روزفلت يهوى هذا الطراز من الناس . وشرع اللورد ذات يوم بعد وصوله بقليل ، يتحدث إلى روزفلت خمس ساعات متتالية عن وجوب العدول عن تلك الخطة ، وأعرب عن ارتيابه ومخاوفه وشكوكه فى نجاحها ، كما أدلى بحجج قوية تؤيد رأيه .

وظل اللورد أسبوعين يتابع جهوده فى البيت الأبيض ، ثم لحقه تشرشل يوم ١٨ يونيو ، فارتاح للجو الذى هيأه له مندوبه ، وأخذ يندد بخطة الغزو فى سنة ١٩٤٣ ، ويدافع عن خطة أخرى تقوم مقامها ، واستعان بكل مواهبه فى البلاغة والفصاحة للتدليل على أن أول ضربة توجه إلى القلعة الأوربية ينبغى أن لا تتأخر سنة كاملة . وأن الحلفاء ، والبريطانيين خاصة ، لا يسعهم الاحتفاظ بحشد كبير من الجند أو إطعامه وهو معطل لا ينتفع به ، على حين أن الرأى العام يلح على عمل شىء ، وأن مثل هذا العمل واجب لتقوية الروح المعنوية فى الشعب . إذن فالحل السريع هو توجيه الضربة فى أقرب وقت مستطاع فى منطقة البحر الأبيض المتوسط . فإذا طرد الألمان من شمال إفريقية ، وجب احتلال جزيرة صقلية وغزو أوربة عن طريق البلقان .

ولم تكن الخطة التى نصح بها تشرشل إلا خطة قديمة معروفة فى التاريخ الحربى ، تتم بمقتضاها السيطرة على أوربة بغزوها عن طريق الممر التاريخى الممتد من بلغراد إلى وارسو . واهتم تشرشل ببيان العلل العسكرية التى ترجح تلك الخطة ، ولكن حجته الأولى استندت إلى أسباب سياسية . كانت الحكومة البريطانية قلقة على علاقاتها الحساسة باستراليا ومصر والهند وجنوب إفريقية ، وعلى مدى تحمل سكان الجزائر البريطانية للأهوال التى يلاقونها . فإذا ثبتت

---

مارتن سومرز هو محرر الشئون الخارجية فى مجلة « ستردای إيفننج بوست » ، وقد اشترك فى الحربين العالميتين ودرج بينهما فى مدارج الصحافة حتى صار له ذكر نابه ومنزلة ملحوظة .

بريطانيا أقدامها على جانبي البحر الأبيض المتوسط ، ووثقت بأن شريان الإمبراطورية قد صار أوفر أمناً مما كان وقت السلم ، فلا جرم أن تقوى عزيمة أستراليا وجنوب إفريقيــة ، وأن تتوثق صلة مصر والهند بالإمبراطورية البريطانية. وأيضاً فإن الحرب إذا بعد ميدانها عن الجزائر البريطانية بحيث يتسنى لأهلها أن يتنفسوا الصعداء قليلا ، أمكنهم عندئذ أن يستعيدوا ما فقدوه من القدرة على المقاومة .

ولم يكن الحديث قد جرى بين تشرشل وروزفلت إلا فى اجتماعات قليلة بعقب طعام العشاء. إلى أن جاءت الليلة التاريخية فى شهر يونيه، ونشط موظفو البيت الأبيض بعــد الساعة العاشرة مساء بدقائق قليلة، وأرسلوا دعوة عاجلة لعقد اجتماع الهيئة العسكرية العليا لبريطانيا والولايات المتحدة ، وألقى تشرشل على أعضائها خطبة طويلة جيّاشة بالقوة عدها بعض الحاضرين أروع خطبة نطق بها لسانه .

وكانت حجج تشرشل هى أن غزو أوربة عن طريق المـانش فى سنة ١٩٤٣ سابق لأوانه ، فإن ألمـانيا لا تزال محتفظة بقوتها كاملة ، وأنه يخشى أن يتكرر فى هذا الغزو نكبة كنكبة دنكرك على نطاق هائل. وعلى كل حال فالحاجة ماسة إلى هجوم كبير قبل سنة ١٩٤٣. وبعدئذ تسامى تشرشل فى خطبته إلى قمة بلاغته وفصاحته ، ليصل إلى إقنـاع الحاضرين بفكرته التى ترمى إلى غزو شمال إفريقية ، ثم عبور البحر الأبيض المتوسط والوصول إلى ممر بلغراد ثم وارسو. وأخذ تشرشل يشير بعصا رفيعة إلى خريطة العالم ، فتتبين مواقع البلقان وإيطاليا وقسم كبير من أوربة وقد احتلتها جيوش الحليفتين الظافرة، تاركة روسيا بمنأى عن الأدرياتيك والبحر الأبيض المتوسط ، بحيث تبقى حبيسة داخل حدودها كما كانت قبل الحرب .

ولما أتم تشرشل خطبته طلب روزفلت إلى الجنرال مارشـال أن يقول كلمته ، فلم يكد ينهض حتى التفت إلى ضابط طويل نحيل وقال إنه هو الذى سـيتكفل ببيان رأى أمريكا فى وجوب القيام بهجوم عام من المانش سنة ١٩٤٣ ، ووجوب الامتناع عن أى عمل حربى آخر قبل ذلك .

ولم يكن هذا الضابط إلا ألبرت كودى ويديماير الذى درس فى الجامعة الحربيـة ببرلين من أغسطس ١٩٣٦ إلى يونيه سنة ١٩٣٨ ، ثم ضمّن ما اكتسبه من هذه الدراسة فى تقرير دقيق مطول استرعى نظر الجنرال مارشال ، فاختاره ليصبح مستشاره الأول فى وضع الخطط الحربية . فكان هو الذى ساعد فى رسم خطة غزو أوربة من

المانش سنة ١٩٤٣ ، ودافع عنها بحرارة في مؤتمر لندن في شهر إبريل السابق — لهذا وثق الجنرال مارشال بأنه لن يتهيب الدفاع عن خطته بكل حماسة .

وشرع ويديماير يدلي بالحجة تتلوها الحجة ويؤيدها بالأسانيد الثابتة للدفاع عن رأيه ، وهو أن الحلفاء لقلة سفنهم لن يقووا على مواصلة الزحف من البحر الأبيض المتوسط إلى وارسو . وأخذ يبين وعورة تلك المناطق وخلوها من أرض تصلح مهابط للطائرات . ثم انتقل إلى ذكر الأسباب الموجبة للمبادرة في سنة ١٩٤٣ بشن هجوم كبير من المانش واجتياز فرنسا وألمانيا والوصول إلى بولندة . وأفرغ ويديماير في سبيل تأييد رأيه كل ما في جعبته من علوم تلقاها في الكلية الحربية ببرلين ، كما استند على دراسته لإمكان قيام الروس بهجوم من جانبهم في الوقت نفسه . وأخذ يتلو من ذاكرته كافة المعلومات التي دأب مكتب المخابرات على جمعها منذ عدة شهور مضت ، وتلا أرقاماً ضخمة ليدلل بها على أن الأمريكيين إذا تريثوا في قتال اليابان ، اجتمعت لهم قوة من السفن والطائرات والمدافع والجند تمكنهم من الهجوم في سنة ١٩٤٣ . واعتقد بعض الذين شهدوا هذه المناقشة في تلك الليلة التاريخية أن قضية ويديماير كانت هي الرابحة .

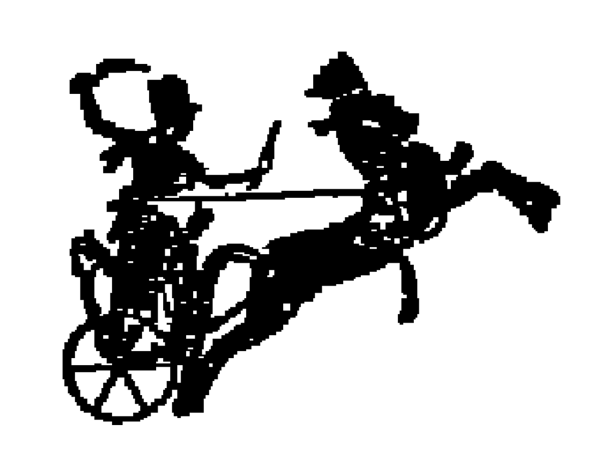
وليس يتسع المجال لذكر النتائج التي أعقبها هذا الاجتماع لأنها طويلة معقدة ، ولكن يكفي أن نذكر نتيجتين كان لهما أثر حاسم : ذلك أن تشرشل نجح بفضل مكانته لدى روزفلت في تغليب رأيه الذي يرمي إلى العدول عن اجتياز المانش سنة ١٩٤٣ ، ولكنه أخفق في تنفيذ عزمه على الهجوم عن طريق بلغراد وارسو ، لأن الخبر ترامى إلى الروس فاشتد اعتراضهم عليه . وأراد تشرشل أن يوفق بين رأي الأمريكيين ورأيه ، فنال موافقة روزفلت على غزو صقلية بعد انتهاء معركة شمال إفريقية .

ويعتقد بعض القادة الحربيين أنه لم يكن هناك داع لمعركة شمال إفريقية وإيطاليا، وأن يوم النصر الأخير قد تأخر بسبب إخفاق الحلفاء في شن الهجوم من المانش سنة ١٩٤٣ ، دع عنك ما جره ذلك التأخير من خسارة في الأرواح والأموال .

فالمستندات التي بين أيدينا اليوم تدل على أن ألمانيا لم يكن لديها في صيف سنة ١٩٤٣ لصد الغزو سوى عشرين فرقة في فرنسا وهولندة ، ثم أصبح لديها ٥٨ فرقة حينما بدأ الحلفاء غزوهم في سنة ١٩٤٤ . وانتفعت ألمانيا بتأخير الغزو سنة كاملة ، إذ أتاح لها وقتاً كافياً لتحصين السواحل والحصون

الغربية . كما تحقق أيضاً ما قاله بعض رجال الحلفاء عن مقدرة الجيش الروسي على النيل من الجيش الألماني في شتاء سنة ١٩٤٢-١٩٤٣، إذ حوصر الجيش الألماني السادس في ستالنجراد وضاع كله أثناء ذلك الشتاء ، ولم يبق لدى ألمانيا تلك القوة التي حسب تشرشل حسابها، ومنعته عن الهجوم على أوربة بطريق المانش في سنة ١٩٤٣

ومهما يكن نصيب القرار الذي صدر في البيت الأبيض في تلك الليلة التاريخية من الخطأ أو الصواب ، فإن النتائج أصبحت الآن واضحة ، فقد صارت روسيا اليوم في أوربة في مركز أقوى من مركزها لو أن الحلفاء اكتسحوا ألمانيا جميعها ووصلوا إلى وسط أوربة، وأصبحت لهم فيها قدم ثابتة يوم انتهى القتال .



## اليد الرفيقة

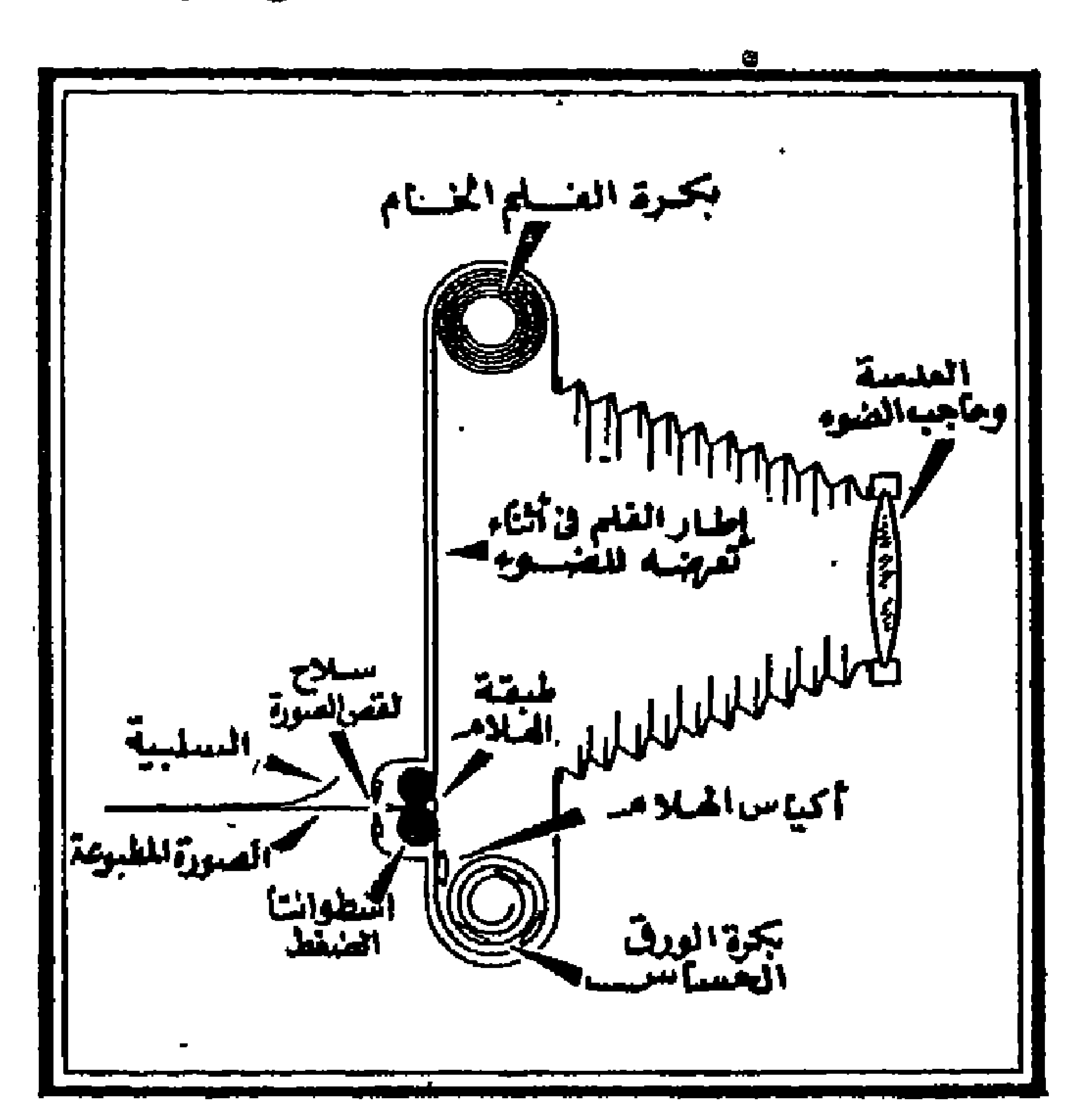
في ليلة عاصفة من ليالي الشتاء الماضي دخلت سيدة عجوز طائرة من طائرات الركاب ، فقالت لي عندما أخبرتها أني الضابط الموكل براحة الركاب ، إن هذه الرحلة هي رحلتها الأولى في طائرة . والتفتّ إلى حالة الجو وقلت في ذات نفسي ، ليست الليلة أوفق ليلة لرحلة سيدة عجوز ، فقد كان المطر والبرد يسقطان على نوافذ الطائرة كالرصاص المنقذف من مدافع رشاش . وخيل إليّ أن الجزع قد استبدّ بها . فلما درجت الطائرة تمهيداً للتحليق ذهبتُ إليها وجلست على ذراع مقعدها وأخذت يدها الباردة في يدي ، فأسلمتني يدها وضغطت بها على يدي .

فلما استوت الطائرة في الجوّ وصار الطيران مأموناً ، وقفت حتى أعود إلى مقعدي فقالت : « اسمع يا بني ، إذا استبدّ بك الخوف ساعة ندنو من النزول في المطار التالي ، فعد إليّ فأمسك يدك حتى يسكن روعك » .

[ بلعن هورس ]

مرحلة من أهم مراحل التقدم فى التصوير الضوئى .

# خُذْهـا صُـورًا بلا انتظار





هارلند مانشستر


مختصرة من
مجلة "سينتفيك أميريكان"

منذ سنوات كان أحد العلماء يصوّر ابنتيه الصغيرتين فى الريف ، فتمنّى لو اخترع أحدهم مصوّرة تتيح لك أن تعرف لساعتك هل نجحت الصورة التى صوّرتها بها أو لم تنجح .

وقد كان ذلك العالم إروين هـ . لاند الذى يعدّ أحد المبتكرين المبدعين فى صناعة أدوات الإبصار . وقد عُنى عناية صادقة بتلك الأمنية التى جالت فى نفسه ، ودأب عليها حتى ابتكر أسلوباً جديداً كلّ الجدة فى التصوير الضوئى يُستغنى فيه عن ضرورة تحميض الفلم وطبع الصور منه ، وعن جميع المعدّات اللازمة لذلك . ففى الأسلوب الجديد يتمّ كل هذا العمل من تلقاء نفسه بسرعة وفى جوف الآلة المصوّرة .

وكانت شركة « بولارويد » التى أنشأها لاند وتولى رئاستها مشغولة يومئذ بأمور أدنى إلى اهتمامها ، فقضى لاند شهوراً كثيرة لا يستطيع أن ينفق على أسلوبه الجديد سوى القليل من وقته .

ولكنهُ سرعان ما جعل يصوّر الصور بآلة للتصوير اتخذها لنفسه من أحد أنواع مصوّرات كوداك ، وجعل جزءها الخلفى أوسع مما تراهُ عادة فى هذه الآلات ،

وركب فيه يداً تدار كاليد التي كانوا يحركونها في مقدمة السيّارة لتسيير محركها . وكان لاند إذا ما صوّر صورة أدار هـذه اليدُ بضع دورات ، كأنه يلف فلماً على أسطوانته ، ولكنه كان في الواقع يحمض الفلم ويصنع الصورة في وقت معاً ، فلا تنقضي ستون ثانية حتى تكون الصورة التامة بين يديه . فلما خفت وطأة مطالب الحرب في شركة لاند عين جماعة من الخبراء لإتقان المشروع الذي شرعهُ .

وقد أذيع نبأ الأسلوب الجديد في اجتماع « جمعية البصريات » في أمريكا ، فعدّهُ الثقات مرحلةً من أعظم مراحل التقدم في تاريخ التصوير الضوئي . والأسلوب بسيط من الناحية الميكانيكية ، وفي الوسع الانتفاع به في صنع آلات التصوير مهما تباينت أحجامها وأثمانها — سواء صنعت للهواة أو لرجال الصناعة أو أهل العلم أو الحرب .

ومصوّرة لاند تشبه المصوّرة المألوفة من وجوه كثيرة . فإذا أردت أن تملأها وضعت فيها فلماً من الأفلام الشائعة ولفة من ورق طبع الصور ، فتدخل الفلم والورق بين الأسطوانات . فإذا أخـذت صورة حركت يداً تشدُّ الفلم الذي كشف للضوء وتشد الورق من خلال شقّ ، وقد ألصق بالورق في مواضع بعينها كيس رقيق مصنوع من رقائق المعدن يحتوي على قدر مقدّر من هلام لصّاق . فإذا ما أدرت اليد ضغط أحد هذه الأكياس ، فيخرج منه الهلام وينتشر انتشاراً متساوياً بين الفلم والورق ، فيخرجان من المصوّرة معاً كأنهما شطيرة قوامها قطعتان من الخبز بينهما رقيقة من الزّبد . وساعتئذٍ تقطع الشطيرة بسلاح مسنون مركب في الشقّ .

وهذه الشطيرة التي بين يديك الآن ، هي بمنزلة غرفةٍ مظلمة ، لأن على سطحها الأعلى والأسفل طبقتين لا ينفذ فيهما الضوء ، ثم تنتظر دقيقة فإذا الهلامُ يحمض الفلم ، ويطبع الصورة على الورق ، ثم تسلخ الفلم من الورق . فإذا بين يديك صورة جافة يحيط بها إطار أبيض . وليس لزاماً عليك أن تتعجل العمل إلا إذا أردت ذلك . فلا خطر على الصورة إذا تركت الشطيرة كما هي زمناً طويلا ، لأن الفعل الكيميائي الذي يحدثهُ الهلام ينتهي إلى تمامه ثم يكف من تلقاء نفسه .

وقد صنعت ضروبٌ أخرى من أسلوب لاند تتيح للمصوّر أن يطبع من الفلم الواحد صوراً متعددةً بالطريقة المألوفة بعد أن يتم طبع الصورة الأولى ، بيد أن معظم الهواة يؤثرون في الغالب أن ينبذوا الفلم السلبي بعد طبع الصـــورة الأولى ، وأن

يصوروا صورة جديدة ، أو أن يصنعوا نسخاً من الصورة الأولى .

وطريقة لاند فى صنع الصور على هذا المنوال تبدو كالسحر ، وتنطوى على انقلاب أصيل فى عمل التصوير الضوئى . ومنذ أن صنع مصوِّرته الأولى تراهُ قد صور هو وأعوانهُ ٢٠ ألف صورة أو نحو ذلك ، فى داخل البيوت وفى الخلاء ، وقد كانت صور أشخاص أو صور مشاهد طبيعية فى مختلف الأحوال . وقد عرَّض الصور المطبوعة لضوء قوىّ عسى أن تتغير معالمها أو يحول لونها ، وامتحنها بتعريضها للبرد القارس أو الحرارة الشديدة أو الرطوبة العالية . وقد أسفرت هذه التجارب عن أن الصور تصلح لجميع الأغراض التى تتخذ لها كصلاح الصور المصنوعة بالأسلوب المألوف الآن. غير أن لاند يؤثر أن تستعمل مصورته بين درجة الصفر بمقياس سنتجراد ودرجة ٣٨ ، وليس احتياجها إلى ضبط زمن التعريض للضوء أكثر من احتياج المصوِّرات الشائعة . ولكن الفرق هو أنك تستطيع أن تستكشف لساعتك فى مصوِّرة لاند هل ارتكبت خطأ ما فى أخذ الصورة .. فإذا عرفت ذلك أخذت صورة أخرى من فورك .

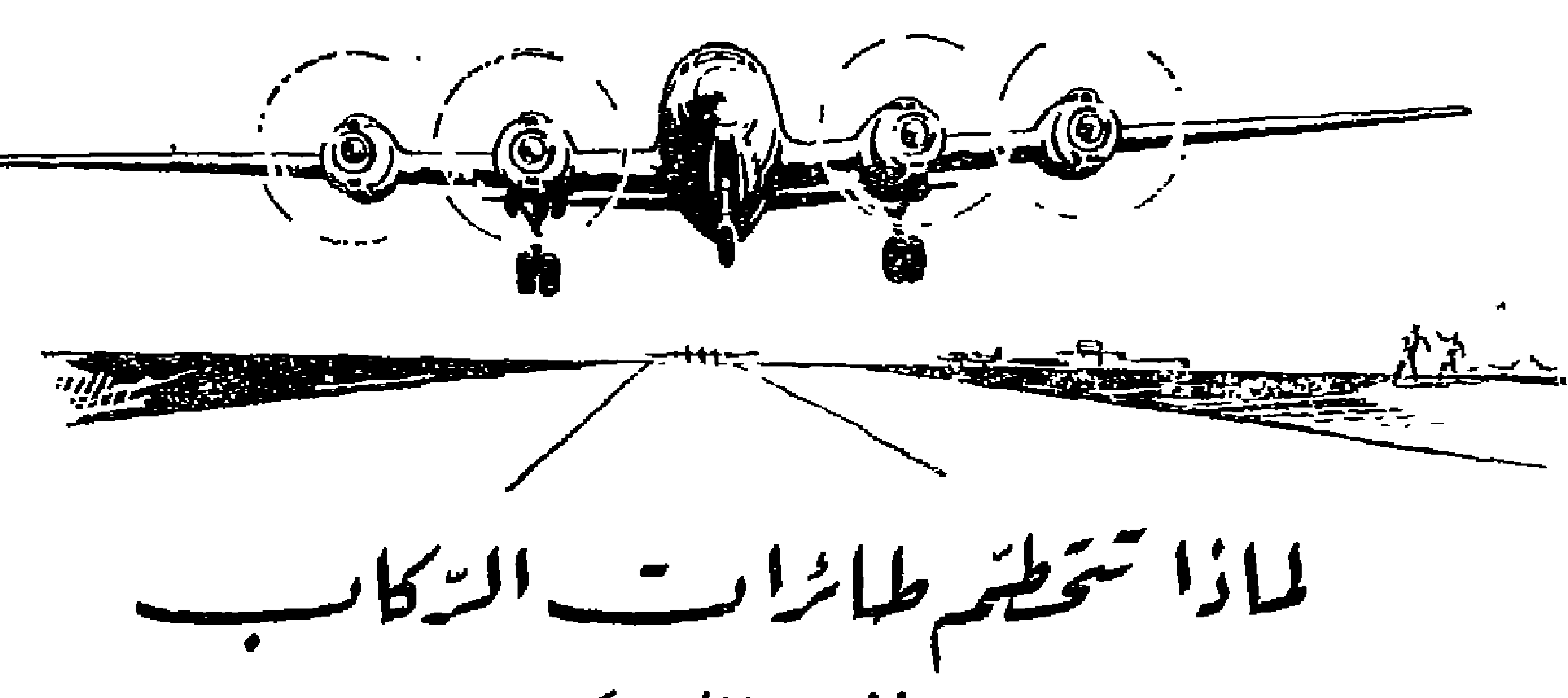
ومن اليسير أن تضيف هذا الأسلوب إلى المصوِّرات الشائعة الغالية ، بأن تزودها بجهاز يلحق بها فى مؤخرتها ، ولكن ذلك عمل يشقُّ فى جميع ضروب المصوِّرات ، فلذلك ينتظر أن تصنع مصورة خاصة تنتفع بهذا الأسلوب الجديد . ولا بد أن يكون ثمن الصورة الجديدة والمواد اللازمة لها أغلى من ضريباتها الشائعة إلى أن يكثر ما يصنع منها ، فإذا ما بلغنا تلك المرحلة ، صار التصوير فى رأى لاند أقل نفقة مما هو اليوم . وأما ما توفرهُ من الزمن فأمر لهُ قيمة عظيمة عند رجال الحرب والعلم والصناعة ، ويومئذٍ يزيد الإقبال عليها .

وقد خص لاند عنايته بتصوير الصور غير الملونة ، وينتظر أن يذيع أنباء صناعة هذه المصوِّرة الجديدة قبل نهاية السنة . فإذا رمى ببصره إلى المستقبل ، لم ير مانعاً أصيلاً يحول دون تطبيق أسلوبه على وجه يجعل التصوير بالألوان أمراً ممكناً .

---

يعثر الناس فى الحين بعد الحين بالحقيقة ، ولكن بعضهم يلمُّ أذيالهُ ويمضى مسرعاً فى طريقه وكأنَّ شيئاً لم يحدث . [ ونستن تشرشل ]

لن تجد حل هذه المشكلة فى زيادة المعدات المستحدثة
بل فى علاج الناحية الإنســانية



# لماذا تتحطم طائرات الركاب

فرنسيس وكاثرين دريك

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

فى السنة المنصرمة أصيبت خطــوط الطيران المسجلة فى أمريكا بإحدى عشرة حادثة كبيرة هلك فيها ١٤٩ من الركاب والطيارين . أما الخطوط التى لم تسجل لها مواعيـد معينة فوقعت فيها ثمانى حوادث كبيرة ، هلك فيها تسع وسبعون نسمة ، فترددت أصداء هـذه الحوادث فى أرجاء الأرض وأفزعت الناس ، فضعف إقبالهم على الطيران بالطائرات المنتظمة المواعيد وغير المنتظمة على السواء .

فرنسيس دريك خبير فى شئون الطيران، وقد درس أصول هندسته على هاندلى بيج ، وكان طياراً فى سلاح الطيران البريطانى فى الحرب العالمية الأولى ، وكتب مقالات كثيرة قدر فيها مستقبل القاذفات طويلة المدى ، وطار هو وزوجته فى جو أوربة وأمريكا الجنوبية والمحيط الأطلسى ، ودرس الطائرات وحاملات الطائرات فى المحيط الهادئ فى الحرب العالمية الثانية .

فإذا أخذنا عدد الأميـال التى قطعتها الطائرات الأمريكية أساساً للبحث ، وجدنا الإحصاء يدلُّ على أن سنة ١٩٤٦ كانت خير سنة فى تاريخ خطوط الطيران هذه ، فكل امرىء دخل طائرة من الطائرات المسجلة المواعيد، كان خليقاً أن يصل سالماً إلى غايته دون مكروه يصيبه إلا بنسبة واحـد على ١١٣ ألفاً . وقد طارت هـذه الطائرات ٢٫٤٧٤٫٠٠٠ رحلة ، فلم يحدث لها سوى ثمانى حوادث هلك فيها بعض الركاب ، ولم يهلك أحد من رجال الطائرات نفسها إلا فى ثلاث حوادث وحسب ، ولكن الناس ظلوا يتذكرون عنـاوين الأنباء المروعة والصور التى نشرت فى الصحف .

أما الأسباب التى أفضت إلى حدوث هذه الحوادث فلم تذكر فى العناوين، ولكنها بدأت

تستبين بعد أشهر من الاستقصاء الرسمى فى تقارير قلما يطلع الناس عليها . والحقيقة أن معظم هذه الحوادث تعود إلى خطأ إنسانى يمكن اجتنابه ، وكثيراً ما كان مردُّ هذا الخطأ إلى الخطة الفاسدة التى تسير عليها إدارة الشركة . وفى وسعنا أن نقطع بأنه لم يكن فى الوسع اجتناب هلاك ٨٤ فى المئة من الذين هلكوا فى الطائرات المسجلة خلال سنة ١٩٤٦ بالاعتماد على أدوات جديدة تجعل الطيران فى مأمن من كل خطر، كمثل أجهزة رادار لتوجيه الطائرات التى تهمّ بالنزول إلى الأرض وما كان على شاكلتها .

ولنضرب على ذلك مثلا مما يكثر حدوثه من اصطدام « طائرة بجبل » ، فهذا الاصطدام وحده كان فى السنة الماضية سبب خمس حوادث كبيرة هلك فيها ١١٠ من الناس.

فى يوم ٣١ يناير ١٩٤٦ كانت طائرة تقل ١٨ راكبا وثلاثة من الطيارين تطير فوق وادٍ يقطع الجبال الصخرية، وكان الليل صافياً والرؤية حسنة ، وكانت الطائرة تسير على الطريق المرسوم وفى المواعيد المحددة لها فى جدول الطيران ، فلم تكد تنقضى عشر دقائق حتى صدمت صفحة جبل إلك وشبت فيها النار، فإذا الصحف فى صباح اليوم التالى تذيع : « طائرة ترتطم بجبل — مقتل ٢١ راكباً » .

وقد أثبت البحث أن الطيار كان « قد انحرف عن الطريق المرسوم ليسلك أخصر طريق »، وطرق الجو لا تخطط استجابة لنزوة من النزوات . وكانت الشركة التى تسيِّر هذه الطائرة قد رسمت خطاً لها فوق هذه الجبال طوله ٨٨ ميلا، فى حين أن الطريق المختصر طوله ٧٩ ميلا، وهى لم تفعل ذلك على ما خُيِّلتْ ، بل فعلته لكى تتجنب طائراتها خطر الاصطدام بجبل إلك . أما الطيار فقد عصى الأوامر الصادرة إليه وانحرف عن الطريق المرسوم متجهاً إلى الغيوم المحيطة بالجبل ، فلما احتوته الغيوم كانت طائرته على ٣٤٠ قدماً دون قمة الجبل فاصطدمت به . ولو تم له ما أراد من اختصار الرحلة، لوفر على نفسه وعلى الركاب أربع دقائق أو أقل !

وعلى غرار هذه الحادثة حوادث أخرى أشهرها ثلاث كان الاصطدام بجبل هو السبب فى تحطم الطائرات وهلاك خمسين من الناس.

وقد ثبت أن هذه الطائرات كانت طائرة على ارتفاع يقل ١٢٠٠ قدم إلى ٣٢٠٠ قدم عن الارتفاع المعين لها فى قواعد الطيران . فهذه القواعد تقرر أن كل طائرة يجب أن تطير على ارتفاع يزيد ألف قدم عن أعلى عقبة تعترض طريقها. ولو حدث فى الطائرة تلف ميكانيكى لكان من المتعذر على الطيار أن يحفظ طائرته على الارتفاع المطلوب. ولكن

خبراء الحكومة قرروا ، بعد بحث دقيق مستفيض ، أن هذه الطائرات لم تصب بما يشبه أن يكون تلفاً ميكانيكياً . ومن الأقوال الشائعة فى تعليل هذه الحوادث أن تياراً متجهاً إلى الأرض صدم الطائرة ودفعها إلى الهبوط. وقد ثبت أن إحدى هذه الطائرات الثلاث تحطمت وهى على ارتفاع ٤٨٧٠ قدماً ، مع أنه كان ينبغى على طيارها أن يبقيها على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم . فلذلك قال الخبراء : « إن وجود تيار يبلغ من القوة مبلغاً يدفع الطائرة نحو الأرض مسافة ٣٢٠٠ قدماً أمر لا يعقل فى الأحوال التى كانت تسود جو ذلك المكان فى ليلة الحادثة » .

قد يعمد الطيار إلى اختصار زاوية فى طريقه المرسوم ، وهذه عادة أكثر شيوعا مما يعترف به رجال الطيران . وكانت طائرات الركاب تحمل جهازاً يدون كل تفصيل من تفصيلات الطريق الذى يسلكه الطيار ، فيراجعه مديرو المطار عند إنجاز الرحلة . وقد استغنى طيارو الطائرات الحربية فى أثناء الحرب عن هذه الأجهزة لقلة الأجزاء اللازمة لصيانتها ، ولم تعد شركات الطيران المدنى حتى اليوم إلى الانتفاع بها كما ينبغى .

أما خامسة حوادث الاصطدام بجبل وأفظعها طراً ، فكانت الحادثة التى وقعت فى نيوفوندلند يوم ٣ أكتوبر فقتل فيها ٣٩ شخصاً . وفى ليلة الحادثة كان الطيار يدرج بطائرته إلى المدرج رقم ٣٠٠ الذى تستعمله طائرات قيادة النقل ، يوم كان هو من رجالها . وإذا بعامل برج الطيران ، وهو رجل حديث العهد بعمله وقليل التجربة ، يأمره أن يتجه إلى المدرج رقم ٧ ، بيد أن أحوال الريح فى تلك الساعة ، والأرض المرتفعة التى ينبغى للطائرة أن تعبر فوقها بعد الارتفاع فى الجو من ذلك المدرج رقم ٧ ، كانت تقضى على قائد الطائرة أن يطلب مراجعة هذا التوجيه أو تغيير خطته المرسومة للارتفاع فى الجو . ولكن هذا القائد لم يعدل خطته ، ولا طلب الرجوع عن الأمر الصادر إليه . وكان ارتفاع الغيم عن سطح الأرض خمسة آلاف قدم ساعة حلق بطائرته ، وكان مدى الرؤية عشرة أميال ، وكانت الطائرة تسير كالساعة الدقيقة ، ولكن لم تكد تنقضى دقيقتان على ارتفاعه فى الجو ، حتى هوت طائرته محطمة ، فقد اصطدمت بأكمة تواجه طرف المدرج فقتل كل حى ركبها . أما ما حمله على أن يفعل ما فعل ، فلا يزال سراً يحير جميع زملائه ، وجميع الخبراء الذين تولوا بحث الحادثة بعد وقوعها .

وقد كان « الاصطدام بجبل » سبب هلاك ٧٢ فى المئة من الذين هلكوا فى حوادث وقعت للخطوط الجوية المسجلة

الأمريكية أو الدولية . وقد عجز خبراء الحكومة الذين تولوا بحث هذه الحوادث عن أن يجدوا أقل دليل على ضعف بناء الطائرات أو تعطل المحركات . فإذا أضفت إلى ذلك حادثة وقعت فى ١٨ يناير ١٩٤٦ وكان سببها ناراً شبت لعيب فى أحد أجزاء الطائرة أصلح أمره فيما بعد ، وجدت أن ٨٤ فى المئة من الذين هلكوا ، قد لقوا حتفهم فى حوادث لا تستطيع الأدوات — كأجهزة رادار — أن تمنعها .

أما الحوادث التى كانت هذه الأجهزة خليقة بأن تمنعها فهى أربع حوادث ، وقعت عند استعداد الطائرة للنزول إلى المطار . وقد كانت حادثة شانون فى إرلندة أفظعها . ففى يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٤٦ دخل الركاب فى مطار باريس طائرة جديدة ذات أربعة محركات ، وكانوا جميعاً يتطلعون إلى الاحتفال برأس السنة الجديدة فى نيويورك . وكان على الطائرة أن تنزل فى مطار شانون لتتزود بالوقود ، فلما بلغتها كان الجو رديئاً ، والغيم لا يزيد ارتفاعه عن سطح المطار أكثر من ٤٠٠ قدم ، بل كان بعضه لا يعلو عنه أكثر من ٢٥٠ قدما ، وبرغم هذا عزم الطيار أن ينزل فى المطار بدلا من أن ينحرف لينزل فى مطار برسكوت فى أسكتلندة حيث يتزود بالوقود . وقد كان يعرف هذا وكان له الخيار . وكانت محركاته لا تزال دائرة بأقصى قوتها ، وكان مقياس الارتفاع يدل على أن طائرته لا تزال تعلو ٥٠٠ قدم عن أرض المطار ، وإذا به يفاجأ بأرض إرلندية موحلة سوداء تصدمه من حيث لا يدرى . فصدرت الصحف : « طائرة تصدم الأرض — ١٣ قتلوا » . فلما استقصيت الحادثة ثبت أن رجال المطار الذين يعنون بضبط أجهزة الطائرة قد أهملوا بعض ما عليهم ، فإذا مقياس الارتفاع يسجل ارتفاع ٥٠٠ قدم فى الوقت الذى صدمت الطائرة الأرض .

وقد قتل فى الطائرات التى صدمت الأرض عشرون شخصاً أو ١٣ فى المئة من الذين هلكوا فى السنة الماضية فى طائرات الخطوط المسجلة .

إذن فالحقيقة واضحة وهى أن الأجهزة التى توجه الطائرة حين تدنو من المطار وتعينها على أن تحط سالمة على أرض المطار لازمة ولا مفر منها للطيران فى الضباب الكثيف أو فى الليل الدامس . غير أن نفع هذه الأجهزة محدود النطاق ، فهى لا تصلح فوق الجبال ولا تعين على الدوران حول زاوية ، ولا نفع لها فى بعض العواصف . ولا يزال توجيه الطائرة إلى الهبوط على الأرض غير موثوق به حين يكثر الثلج ،

أى حين تكون الحاجة إليه أشد ماتكون .

وقد قام الدليل على أن طـائفة كبيرة من حوادث الطائرات سببها خطأ الرجال الذين يتولون أمر الطائرات ، حتى ليخلق بنا أن نستقصى هذه الناحية من الموضوع .

إن معظم الطيـارين والرجال الذين يعنون بالطائرات على الأرض هم أهل حذق وحرص وتقدير للتبعات الواقعـة على كـواهلهم ؛ ولـكـنك لا تزال تجد بينهم فئة قليـلة لا تصلح من ناحية المزاج الذى ركب فى طبائعها للقيام بتبعات العمل فى طائرة ركاب ، برغم ما يتصفون به من الحذق والبراعة. فهؤلاء الرجال يهملون التعليمات الصادرة إليهم ، ويرسلون تقارير عن مواقع طائراتهم مبنية على التقدير دون القياس الدقيق ، ويغامرون فى الطيران حين تكون حالة الجو غير مواتية، ويوفقون فى ٩٩ فى المئة مما يفعلون . بيد أن عدداً قليلا يعد على أصابع اليدين من هؤلاء الرجال كافٍ لأن يصم سمعة شركة قضى ألف من الطيارين المتـازين ورجال المطـارات سنين كثيرة فى تعزيزها .

ومن المشـــكلات التى تعانيها شركات الخطوط الجوية مشكلة الانتفاع بطيارى الحرب . فمعظم هؤلاء من الطيارين الممتازين قد تدربوا على الطيران زمناً طويلا فى أشد الأحوال بلاءً وشدة وتعرضاً للخطر . وقد كانت القاعدة فى تدريبهم أن يصلوا بالطائرة إلى المكان المقصود غير عابئين بشىء — ولا بحياتهم إذا اقتضى الأمر ذلك. أما فى خطوط الطيران المدنى ، فلا بد من عكس الآية في تدريبهم — فينبغى لهم أن يتعلمـوا ، أن يمتنعوا عن المضى بالطائرة إذا كان المضى بها يعرضها لخطر يمكن اجتنابه .

يدلُّ البحث على وقوع حوادث يضل فيها قوّاد الطائرات طريقهم حين يكون طيرانهم فى جو حسن وعلى طرق معهودة ، أفيكون بعض ضلالهم راجعاً إلى إهمال رجال الإدارة فى شركتهم أن يزوّدوهم بالخرائط المألوفة فى خطوط الطيران، وقلة حرصهم على توصيتهم باستعمالها ؟ من الحقائق المعروفة أن معظم شركات الطيران تستعمل خرائط ورسوماً لا تحتوى ماينفع الطيار، وكثير من الطيارين لا يعتمد إلا على خرائط الراديو التى لا تبين الأعلام البارزة على سطح الأرض . وبعض الملاحين يعتمد الإشارات اللاسلكية وحسب، مع أنه يعلم أن هـذه الإشارات قد تختلط عليه، أو أن الأبراج التى ترسلها قد تصمت أو تتعطل على حين فجأة .

وقد ثبت أن قواد الطائرات لا يلتزمون دائماً النظام الدقيق الذى ينبغى لهم أن يلتزموه حين يقعدون فى مقعد الطيار ، فتراهم يضعفون قدرتهم على البصر حين يقبـلون

على المطار وقبيل النزول فيه، بإضاءة الأنوار في حجرة الطيار ، أو بالاستغراق في قراءة مجلة أو رواية. وقد يعتمدون على الطيار الآلي أو قد يرفعون أقدامهم إلى لوحة الأجهزة أمامهم فتختفي عنهم بعض الأجهزة . فهؤلاء الرجال خطر على الطيران المدني وعلى إخوانهم الذين يبذلون غاية الجهد ليجعلوا الطيران في مأمن من الخطر ، وعلى الركاب الآمنين أيضاً فينبغي أن يستأصلوا .

كان الذي يطلب من الرجل ليكون طياراً جيداً في أيام الطيران الأولى أن يكون ذا حس خفي يجتمع فيه بشيء من الحذق وشيء من الفطرة ، فيعززها في الحين بعد الحين بنظرات يلقيها على الأرض تحته من مقعده المكشوف . أما اليوم فإن الطيار الممتاز لطائرة نقل ينبغي أن يجتمع له من المزايا قبل أن يولى قيادة طائرة ، ما يندر أن يجتمع في إنسان غير ممتاز . وحذقه لا يقتصر على معالجة أذرع القيادة والارتفاع والهبوط ، بل ينبغي أن يكون قادراً على أن يدرك معنى طائفة شتى من المعلومات تتوالى على ذهنه من لوحة أمامه عليها ستة وستون جهازاً ، ومن السماعتين على أذنيه . وينبغي له أيضاً أن يكون صاحب نفس لا تطير شعاعاً من الخوف، فيحسن التفكير الهادىء ساعة تتعطل الوسائل الميكانيكية بين يديه ، أو ساعة تفصله عن سائر العالم وهو في أجواز الفضاء عاصفة من ثلج ، أو نطاق يضربه اضطراب حالة الكهرباء في الجو فتصير أجهزته اللاسلكية لا تجدي ولا تغني . ثم ينبغي أن يكون ذا خلق قوي ، يدرك التبعة الواقعة عليه ، وأن يحافظ على القواعد المرعية ، مهما كانت الحال .

ولعل أهم خطوة تتخذ لضمان الأمن في الطيران هي إنشاء مجلس من كبار الطيارين المرسين لامتحان كل طيار عيّن لقيادة طائرة في بحر السنوات الخمس الأخيرة. وقد وضعت الهيئة التي تشرف على الطيران المدني طائفة من القواعد ، ولكن لابد من طيارين حنكتهم التجارب لتقدير خلق الطيارين ومزاجهم وبراعتهم . ثم ينبغي لشركات الطيران أن تكف عن الطريقة الفاسدة التي تسير عليها ، وهي جعل مرتب الطيار مرتبطاً بعدد الساعات التي قضاها طائرا ، فهي تجعل للطيار مرتباً ثابتاً يضاف إليه أجر يعطى له عن كل رحلة ، فإذا عين الطيار لرحلة ورأى حالة الجو غير مواتية ، أحس بأن إلغاء الرحلة يفقده مبلغاً من المال، فيصير حكمه غير منزه من الهوى .

وفي الوسع أن تتخذ خطوات أخرى تعاون فيها الحكومة بمالها على تهوين مهمة الطيار ، كجعل المدارج أطول وأعرض ،

وتقوية الإضاءة وإنشاء محطات راديو قصيرة الأمواج ، وتبسيط القواعد المرعية .

على أن العامل الأول فى الكفاح من أجل الأمن فى الطيران، هو إدارة الشركات، فقد عاقت الحرب توسع هـذه الشركات ، فلما وضعت أوزارها أقبلت على التوسع السريع حتى كادت لسرعتها تقضى على صناعة النقل الجوى . فقد أقدمت على ذلك بطائرات لا تكفى ، وبطيارين ومطارات وأساليب لضبط حركة المرور ووسائل للملاحة ، لا غناء فيها جميعاً . وخفضت الأجور ، وزادت عـدد الأميال التي يقطعها الركاب من أربعة ملايين فى سـنة ١٩٤٥ إلى سـبعة ملايين وخمس مليون فى سنة ١٩٤٦ . ومع أنها كانت فى أشد الحاجة إلى معدات كثيرة للقيام بعملها الراهن ، فقـد طلبت أن يؤذن لها بفتح خطوط جديدة .

ولكن أهم من ذلك أن الشركات ألفت نفسها مضطرة أن تزيد مدة بقاء طائراتها فى الجو ، وأن تنقص مدة بقائها على الأرض لتعهدها وصيانتها وإصلاحها ، وضمت إلى طياريها عـدداً وفيراً من الذين لم يحرزوا التدريب الكافى أو التجربة الوافية ، فانحط معدل كفايتهم عن المستوى المطلوب بنحو ٣٠ فى المئة . وظهر أن نصف الموظفين من الذين لم يتدربوا على العمل فى شركة طيران سوى سنة أو أقل .

إن التبعات الواقعة على إدارة كل شركة من شركات الطيران لهى تبعات عظيمة . فالمعدات الجديدة تهيء للطيران فرصاً رائعة تلهم الثقة : طائرات ضخمة ذوات محركات متعـددة ، قادرة على أن تحمل فى جوفها مقادير وافرة من الوقود ، وفيها حجرات أعدت خاصة للطيران على ارتفاع عظيم فوق مستوى العواصف ، وفيها غرف للطيارين مزودة بأحدث الوسائل الكهربية . بيد أن الناس لا يقبلون على الطائرات مهما كان الكلام الذي يقال عنها بليغاً ، إلا إذا أفضى علاج الناحية الإنسانية فى إدارة أمورها إلى خفض معدل الحوادث ، حتى لا يكون أعلى من معدل الحوادث التى تحدث للسفن والقطرات وسيارات الركاب .

سئل أحد الموفقين فى الحياة ، عما يشعر به وقد بلغ ذروة سلم النجاح ، فقال : « أشعر بالغبطة ، ولكن لا يسعنى أن أنسى عدد الناس الذين يسندون السلم حتى لا يهوى إلى الأرض » .

[ لستر مايلز ]

الحيوانات الضعيفة تسمو إلى ذرى الشجاعة والبطولة حين تلقى صغارها عرضة الخطر.

# أبطال الحيوان

جو أوستل سمول

صاحب مجلة "الرياضي الغربي" ومحررها

مختصرة من مجلة "الرياضي الغربي"

أعظم ما يفتنك في الحيوان، ضروب الشجاعة العجيبة التي تتجلى في ضعافها حيال أقويائها. وقد قضيت سنوات كثيرة في الخلاء، شهدت فيها آيات تجلّ عن التصديق، ثم سمعت من أقراني قصصاً رائعة تحرّك النفوس.

كان الأستاذ هان العالم يدرس طبائع الأيايل في مزرعة كبيرة، فسمع صراخاً يدلّ على الفزع من بقعة قريبة. فالتفت فرأى ثعباناً طوله خمس أقدام ينساب مصعّداً في شجرة، وكان بين فكيه فأرة تجاهد أن تفلت، وإذا به يرى فأرة أخرى تعدو صاعدة على جذع الشجرة، ثم هجم على الثعبان، فوقف الأستاذ هان شاخصاً مسحوراً بما رأى.

وقد أقبلت الفأرة الثانية تعضّ جسم الثعبان مثنى وثلاث ورباع، ثم أنشبت فيه أنيابها، فجعل الثعبان يتلوّى ويحتال للدغها لكنه عجز، إذ كانت الفأرة الأخرى لاتزال بين فكيه. وإذا به يطرحها وينقلب لينال ثأره من الثانية التي نهشت ظهره.

فأجدت هذه الحيلة على الفأرين، فما كادت الأولى تفلت من شدق الثعبان، حتى وثبت الثانية إلى الأرض، وأخذتا تعدوان معاً إلى مكان مأمون.

وأحبّ أن أذكر مثالا على الشجاعة شهدته في إوزتين كانتا في مستنقع قرب داري في تكساس. فقد أطلق صيّاد ناره عليهما فأصيب جناح الأنثى بأذى منعها من أن تعود طائرة إلى موطنها في كندا. والذكر من الإوزّ يتخذ له زوجة لايفارقها ماعاش، فكذلك أقام الذكر مع زوجته في تكساس، وأنجبا أسرة في المستنقع قرب داري.

واتفق لي ذات يوم أن دنوت من العش فسمعت ضجيجاً، فقد هجم ثعلب على الإوزّة في غياب زوجها وأخذ يجرّها ليمضي بها. وسمع الزوج نداء زوجته الملهوفة، فهرع

إليها ليدفع عنها ، وكان منقاره مشرعاً من شدة غضبه ، فهجم على عدوه القوى ونقره فنتف بعض صوفه ، وجعل يضرب رأس الثعلب بجناحيه القويين وبمخلبيه . فأحدث ضجيجاً عنيفاً .

وسرعان ما أفلتت الإوزة، ولكن هذه الأم التى أضناها الفزع لم ترتدّ بل أقبلت تهجم على عدوها. ولم يكن فى طاقة الإوزتين معاً أن يؤذيا الثعلب أذى فادحاً ، فلو كان له شيء من الشجاعة لظفر بمأدبة من لحم الإوز ليومه وغده . ولكن القلب الشجاع له من الشأن فى عالم الظفر والناب مثل الذى له فى عالمنا نحن ، وما لبث المتهجم الآثم حتى انقلب جباناً قانعاً من الغنيمة بالإياب .

وقد كان عندى كلب فهجم عليه خنزير يوم كان جرواً صغيراً فكاد يفتك به ، فصار الكلب يخشى الخنازير جميعاً حتى الأليف منها . وكان كلبي معى يوم ركبت الجواد لأطوف فى مستنقع يجوس فيه عددٌ من الخنازير البرية ، فرأينا خنزيراً مسنون الظهر من أشرس الخنازير ، يحاول أن يجتاز حاجزاً من الأسلاك فنشب فيه ، فترجّلت ، وفى نيتى أن أشدّ وثاقه بحبل قصير .

وكانت أنياب الخنزير قد استدارت فصارت مأمونة ، وكان أحدها عالقاً بالحاجز . فلما دَنوْت جدَّد الخنزير الملهوف جهاده حتى يفلت من الشرك الذى علق فيه ، فانكسر نابه وانفتل كخطف البصر هائجاً حانقاً وهجم علىّ .

تجنبته فى هجمته الأولى ، وناديت كلبي فقد كان لما تأصل فى نفسه من خوف الخنازير بعيداً من مكان الخطر . وأدرك الكلب أنى فى محنة ، فعدا وهو يعوى — ولكنه ظلّ محجماً . وحاولت أن أبلغ جوادى ولكنه جفل وانقلب وفرّ . فدعوت كلبي مرة ثانية ، وحاولت أن أبلغ الحاجز فأثب من فوقه حتى أصير بمنجاة من الخطر ، ولكن الخنزير أدرك ما فى نفسى فاعترض طريقى إلى الحاجز ، ثم نطحنى فأحسست بنابه يمزق ساقى ، ثم انفتل وعاد هاجماً علىّ . فثنيت ساقىّ أمام بطنى حتى أتقى أن يبقره الخنزير الهائج ، وشبكت ذراعىّ أمام وجهى ، وصرت أتدحرج على الأرض كأنى كرة .

فلما كف الخنزير عن ركلى بقوائمه وطعنى بنابه ، فتحت عينى فرأيت كلبي يطعن بأنيابه الحداد جسم الخنزير الذى استبدت به شهوة الدماء ، فقد صار هذا الكلب كالشيطان الثائر ، يهرّ ويعضّ ويهجم من هنا ثمّ يهجم من هناك ، فشغل الخنزير حتى تمكنت من أن أبلغ جوادى ، فابتدرت بندقيتى

وأطلقت رصاصة أردت ذلك الوحش الفتاك. فقد تغلب حبُّ الكلب لسيده على خوفه، وبث في قلبه شجاعة أنقذت حياتي.

وقلما تجد بين الحيوانات البرية حيواناً لا تسمو به الشجاعة في بعض الأحيان إلى مرتبة البطولة. فقد عرف العلماء بطبائع الحيوان أنثى ظربان قد خاضت نهراً طاغياً لكي تنقذ صغارها من جحرها الذي أحاط به الماء وهدّده السيل. والطائر الطنان، أصغر الطيور، لا يحجم عن الهجوم على عُقاب وطردها إذا هي اعتدت على أرضه. والناس يصفون الأرنب بالجبن والجزع، ولكن ألن ديفو رأى مرة أرنباً تفجأ كلباً أخطأ فدخل عشها الذي فيه صغارها، فلم تفرّ بل انقلبت إلى الكلب تركله بقائمتيها ولا تكفّ، فندّت عن الكلب صيحة ألم ودهشة ولاذ بالفرار.

وأحب القصص إليّ عن شجاعة الحيوان، قصة مبارزة بين ذئب قويّ وظبية تدافع عن صغيرها. وقد شهد هذه المبارزة رجل خبير بطبائع الحيوان هو لنرد ده ويت.

ففي أصيل يوم من شهر مايو كان ده ويت على جواده يعدو به خبباً، وإذا به يرى غباراً يتصاعد من أجمة من نبات الصبر على مسافة منه. فنظر بمنظاره فرأى حدثاً رائعاً، فهذا ذئب يعدو دائراً حول الأجمة وهذه ظبية تطارده.

فأدرك ده ويت أن الذئب حاول أن يقنص خِشْف الظبية، فهجمت عليه الأم التي جُنَّ جنونها. وكان الذئب يعرف بفطرته أنه لا يستطيع أن يسبق الظبية في الطراد، وأحبّ أن يتجنّب ضربات حوافرها الحداد إذا هما اشتبكا في قتال، فحاول أن يثنيها عن مطاردته، بأن يعدو أمامها حول الأجمة.

وقد بلغت حماسة ده ويت أوجها ساعة رأى الخشف ينهض ويتمطى ثم يخطو متعثراً، فما إن رأته أمه حتى دفعها خوفها عليه إلى مضاعفة جهدها.

وقد ضربت بيديها ساقي الذئب فسقط إلى الأرض، ولكن سرعان ما هب قائماً، ولكن الدم كان يسيل من ساقيه، فمشى يعرج. فلما استبدّ به اليأس أنقلب إليها مكشراً عن أنيابه الحداد، فذعر ده ويت إذ كان يعلم أن هذا النوع من الذئاب خصم عنيد فتاك، فإن له أنياباً عُصْلاً معقوفة الطرف يستطيع أن يزق بها الجلد مهما كان غليظاً، ويستطيع أن يأخذ كبشاً فيمزّق حلقومه بحركتين من حركاته البارعة.

ولكنّ قتاله الأول مع الظبية تركه

مثخناً ، فقد كسرت أسنانه فى مقدم شدقيه ، فجرّده ذلك من قدرته الفتـاكة ، وصار كالهزيل الأشعث المغلوب على أمره . فتقدم متمهلا وقد لوى رأسه على جنبه ، وهو منظر لا يعهد من هذا الوحش الضارى .

ثم هجمت الظبية لتجهز عليه ، فوثبت فوق نبات الصبر وحطت على الذئب ، وإذا بقوائمها قد صارت كأنهـا مطارق ، تدق الذئب وتمزق بدنه إرباً إرباً ، فارتفعت ضبابة من الغبار ، أخفت وراءها نهاية هذه القصة الرائعة عن عينى ده ويت .

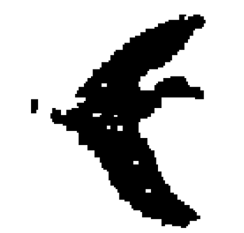
فلما سكنت عاصفة الغبار رأى ده ويت الظبية ترقص رائحة غادية أمام جثة خصمها المغلوب، ثم عادت إلى خشْفها وجعلت تشمه بأنفها وتمسحه مسحاً رفيقاً ، فقد تغلبت بسالتها على أعتى عتاة البرّ .



## هدية الرأى

قد أخالفك فيما تقول ، ولـكننى أجود بنفسى دفاعاً عن حقك فى أن تقوله . [ فولتير ]

من اسـتقبل وجوه الآراءِ عرف مواقع الخطأ .
[ على بن أبى طالب ]



## الوهم علاج

درج الـكاتب كليفتون وب على أخذ حقن من خلاصة الـكبد ، ومضى يقنع أصحابه بأخذها ، فانقادت لنصحه هلين هيز الممثلة ، فسألتها ذات يوم : « أتشعرين حقـًّا بأنك أحسن حالاً ؟ »

فقالت : « إنها لحقن عجيبة تعيد النشاط والقوة » ، ثم خفت صوتها قليلا ثم قالت : « بيد أننى أنسى فى الحين بعد الحين أننى أخذتها — ويا سوءَ ما أشعر به يومئذ » .

[ دوروتى كيلجالين ]

ضلت فتاة فى مفاوز الشمال حتى عثرت على كوخ مهجور لصياد مجنون .

# ليلة ليلاء فى ألاسكا

بارييت وسيلوبى

*مختصرة من كتاب "رحلة فى ألاسكا"*



عثرت بجذر شجرة فانطرحت على الدرب الموغل فى الغابة، ولبثت هنيهة ملقية وجهى على ذراعىّ عاجزة عن الحركة من شدة التعب ، فقد كان من الطيش أن أقدم وحدى على رحلة تمتدُّ عشرة أميال فى مجاهل شبه جزيرة ألاسكا .

كنت قد قضيت ساعات أشقُّ طريقى فى دغل تشابكت أغصانه فوق الدرب ، فلم أعر الأمر التفاتاً فى أول الأمر ولا انتبهت إلى خطأى ، أما الآن فقد شممت وأنا منبطحة على الأرض رائحة دهن عفنة ، وشعرت بأن شيئاً يزحف زحفاً غريباً قد مسّ خدّى ، فإذا هو خصلة من شعر خشن أغبر متدلية من أحد الأغصان .

فنظرت مجفلة ، فأدركت أنها قد نزعت من فروة دُبِّ ألاسكا الأغبر — أكبر الضوارى التى تذرع سطح الأرض اليوم .

وكنت رأيت قبيل العصر ، أثراً ضخماً فى بقعة من الصلصال الطرىّ على مقربة من الدرب الذى أسير فيه ، وكان ذلك الأثر من كعب قدم الدب إلى مخلبها ، أطول من حذائى ضعفين ، وإذا بى أتصور الحقيقة فأفزع — فأنا سائرة فى درب تسير الدببة عليه لا فى طريق يسلكه الناس .

ولستُ أنا بالمرأة التى تحسن الصيد والقنص ، ولا بالمرأة التى فطرت على الشجاعة . وكنت فى صباح ذلك اليوم قد غادرت المدينة فى زورق مع نفر من صيادى السمك حتى صرنا على محاذاة مزرعة لتربية الثعالب ، حيث كانت صديقتى ليونى تقضى الصيف مع أبيها الذى يملك هذه المزرعة . وكنت أجهل هذه الرقعة من ألاسكا ، ولكنّ الصيادين دلونى على درب يفضى إلى المزرعة . فألححت عليهم أن ينزلونى إلى الشاطىء

حتى أتمشى قليلا وهم يصطادون السمك ، واتفقنا على أن يعودوا إلىّ فى المساء فأرجع معهم إلى المدينة .

بيد أننى ألفيت نفسى تائهة فى درب تسلكه الدببة ، فاستبدّ بى الذعر ، وهتف بى هاتف قوى يدعونى إلى الاندفاع بين الشجر غير عابئة شيئاً بوجهتى ، إلا أننى كبحت جماح نفسى وعوّلت على خطةٍ ، ثم مضيتُ .

فلما خرجت من الغابة الملتفة ورأيت كوخاً من خشب قائماً فى مرج برىٍّ صغير كانت قوتى قد خارت أو كادت .

كان يحفُّ بالكوخ شىءٌ يوحى بالخوف ، وقد رأيت على جانبى الباب نافذتين تغطيهما ألواح الخشب ، فأحسست أنهما تحدقان فىّ كأنهما محجران فارغان فى جمجمة قديمة قد أبلاها الزمن . فأدرت وجهى لأعود أدراجى ، فلم أكد ألقى نظرة واحـدة على تلك الغابة السوداء حتى عدلت عما اعتزمت .

أبصرتُ فى الفنـاء أمام باب الكوخ أرومة شجرة رسمت على سطحها خطوطٌ متقاطعة من ضربات فأس ، فدنوت من الكوخ ووقفت أمام الباب الموصد ، فألفيت سيراً من جلد مدلّى مكان مقبض البـاب ، فشددتهُ ، فانفتح وكان لانفتاحه صرير وصريف ، فإذا جوف الكوخ حالك الظلام ، فلم أستطع أن أرى شيئاً . وانبعثت منه رائحة نتنة خفيفة كالرائحة التى تعلق بمكان تنشر فيه الفراء لتجفيفها . ثم اصطدمت بمائدة غير مصقولة ، وإذا بيدى الممدودة تلمس شمعة فأشعلت ثقاباً وأوقدتها ، وانقلبت أفحص المكان .

رأيت فى إحدى الزوايا موقداً يعلوهُ الصدأ ، ورأيت فى أخرى دعامةً من عُمد غلاظ قد شدَّ بعضها إلى بعض بسيور من من جلد الدبّ المجفف ، تصلح أن تكون سريراً . وكان هنالك كرسىٌّ مصنوع من ألواح الخشب ، ورأيت على الأرض فخاً مصنوعاً من صاب لصيد الدببة ، وقد كان أحد فكيه مكسوراً . فليس فى كل هذا شىءٌ يخيف أجبن النساء .

أقبلتُ على رماد الموقد أحرِّكهُ ، وأنا أستعيد ما فى الذاكرة مماسمعتهُ عن أخبار هذه المنطقة . وكان أول ما تذكرتهُ قصة خمسـة رجال من الباحثين عن الذهب قصدوا إلى شبه الجزيرة ثم اختفوا ولم يقف لهم أحدٌ على أثر . وقد روى يومئذٍ أنهم لقوا حتفهم على يد رجل مجنون من صيادى الدببة يسـمّى « بتلر » . فألقيت نظرة جزع إلى وراء ، وتمنيتُ لو أنى لم أتذكر

هذه القصة . وأخذت فأساً بيدى وخرجت أحتطب لكى أوقد ناراً . وكان قرص القمر أصفر أحمر كالذهب ، وقد صار على ارتفاع أفنان الشجر الصغير ، فيلقى ضوءهُ على المرج ظلال الأشجار البواسق . وكان لكل ضربة من ضربات الفأس صدى عنيف غير معهود ، فازداد شعورى بالوحشة .

وقد احتطبت ما أستطيع حملهُ ، ثم انحنيت لألتقط آخر عودٍ ، فإذا أصابعى تلمس شيئاً فارتددتُ مذعورة ، فأشعلت ثقاباً — وإذا بى أحسُّ لشدة رعبي أنني قد سمِّرت فى الأرض لا أستطيع حراكا ، فهذه عظام يدٍ بشرية قد بترت من عند المعصم .

وحانت منى التفاتة ثانية إلى الأرض ، فرأيت بقية يدٍ أخرى ، فأخرى ، حتى صار ما رأيت عشر أيدٍ مبعثرة فى التراب ، ولم أر هناك عظماً آخر غير عظم هذه الأيدى. فحاولت أن أصيح ولكننى عجزت ، وحاولت أن أفرَّ ولكنَّ ساقىَّ خذلتانى .

عدتُ إلى الكوخ ، ولا أدرى كيف عدتُ ، وأغلقت الباب ثم أوصدتهُ بمزلاج متين من الخشب ، وسحبت السير المدلَّى خارج الباب حتى لا يستطيع أحد أن يشده . وكان الباب متيناً لا يقوى أحد على اقتحامه . وكان الخوف قد أخذ منى كلَّ مأخذ ، وكانت يداى ترتعشان ، فكدت أعجز عن أن أوقد النار . وظلت قصة « بتلر » المجنون وطلاب الذهب الخمسة الذين اختفوا ، تلحُّ علىَّ وتتقاذف خواطرى . أفأنا الساعة فى كوخ بتلر هذا ؟ أو تكون هذه الأيدى العشرة هى أيدى الصيادين الخمسة ؟

وعزمت أن لا أنام ، ولكن سلطان التعب غلب أعصابى فأخذ الكرى بأجفانى .

لست أعرف ما الذى أيقظنى ، ولكننى ألفيت نفسى على حين فجأة قاعدة فى سريرى، وكان قلبي يخفق وعيناى مفتوحتين وأذناى ترهفان السمع ، فقد اخترق صوتٌ حجاب النوم ونفذ إلى مسامعى فأيقظنى .

وقد أوشكت أن أشعل الشمعة وإذا بى أسمع دقًّا كأن بالباب طارقاً يريد أن يدخل، وإذا السكون الذى يحفُّ بى قد ضيق خناقهُ علىَّ . وطردت من خاطرى صورة رجل بترت يداهُ ، وحاولت أن أقنع نفسى بأن الطرق إنما هو صدىً لما يجول فى صدرى من مخاوف ، وإذا بى أسمع الدق مرة أخرى ، وخيِّل إلىَّ أن الصوت ليس صوت رجل يطرق الباب بجمع يده ، بل كأنهُ يطرقهُ بطرف ذراع بترت يدها .

فاستبدَّ بى الهلع ، ولكنى تمكنت من الوصول إلى الباب، وأدنيت أذنى منهُ وصحت: « ماذا تريد ؟ »

ثم خيم السكون .

فرفعت المزلاج وفتحت البـاب ونظرت خارجه فلم أر شيئاً ولا سمعت صوتاً .

فتحيرت واشتدّ خوفي ، فعدت إلى داخل الكوخ .

ولم أكد أضع المزلاج في مكانه حتى سمعتُ الدق مرة أخرى ففتحت الباب على عجل ، وعدوتُ حول الكوخ ، وفحصت كل موطيء قدم في أرض المرج في ضوء القمر الضاحي . وكانت أقرب شجرة إلى الكوخ يمكن الاستتار بها ، شجرة باسقة تبعد عنه خمسين قدماً ، وليس في وسع إنسان أن يعبر المسافة بين الكوخ والشجرة بمثل هذه السرعة . ولم يكن ثمة سوى شيء واحد يستطيع أن يطرق الباب وأن يظل محجباً عن الأبصار .

فأوقدت ناراً متأججة خارج باب الكوخ وجلست على عتبة البـاب أراقب الأرض الفضاء بين الكوخ والشجرة ، فلم ألبث حتى نعستُ .

ثم استيقظت بغتة ، فقد خيّل إليّ أني سمعت من يناديني باسمي ، وكانت أشعة الصباح قد غمرت الأرض الفضـاء أمام الكوخ ، ورأيت فتاة شقراء هيفاء تعدو إليّ ، إنها ليوني صديقتي التي نزلت على أبيها في مزرعة الثعالب ، وكان وراءها أبوها وهو عملاق نحيل من أهل ألاسكا .

وقد كدت أطير فرحاً إليهما وأحتضنهما وأقبل أقدامهما ، إلا أن كبريائي صدّتني عن أن أفضح نفسي في عيني هذا الرجل الفاحصتين اللتين ترتقبان أية بادرة مني تدل على ضعف النساء .

وقالت ليوني : « لقد أخذ القلق من أبي كلّ مأخذ حين مضى هزيع من الليل ولم تعودي ، فأرســل رجال المزرعة يبحثون عنك في الغابة ساعة أسفر نور النهار » .

وقال أبوها : « ينبغي أن لا تخرج المرأة وحدها إلى الغابات ، فالنساء عاجزات عن تقدير الموقع والوجهة . وكثيراً ما يتهن . فاحمدي ربك أنك عثرت بكوخ بتلر » .

فقلت : « ليست المرأة وحدها هي التي تتوه . وما قولك في الرجال الخمسة الذين كانوا يبحثون عن الذهب فضلّوا في هذه الغابات منذ سنوات ؟ »

فقال : « يغلب أنهم غرقوا في البحر » .

فقلت : « بل قتلوا . قتلوا . . . هنا في كوخ بتلر » .

فحملق هو وليوني فيّ كأنني قد أصبت بمس من الجنون .

فقلت : « تعاليا معي ، فسوف تريان » .

فتقدمتهما إلى حيث كانت عظام الأيدي

مبعثرة على الأرض بيضاً فى ضوء الشمس ، فرفع الرجل عظمة منها بيديه ثم قال وهو يبتسم :

« أنت كسائر النساء . ليست هذه الأيدى أيدى ناس من البشر يا أختاه ، بل هى مخالب دببة صغار ، وهى تكاد تكون كالأيدى البشرية تماما » .

فقلت : « وَلِمَ لا نرى هنا عظاماً أخرى ؟ »

فقال : « كان بتلر يسلخ الدببة التى يصطادها على مقربة من الفخاخ فى الغابة ولا يترك منها بغير سلخ سوى قوائمها ، فسلخها يحتاج إلى عناية خاصة ، ثم يعود بالجلود إلى كوخه ليسلخ المخالب على راحته . وكان بتلر لا يصطاد إلا صغار الدببة » .

فأحسست بسعة علمه وكثرة جهلى ، فتبعته إلى الكوخ .

فقال : « لقد وجد بتلر المسكين مقتولا خارج بابه ، قتله دبٌّ ، فقد وُجدت آثار دبّ أغبر ضخم الجثة » .

فقلت : « ولِمَ لم يرمه بالرصاص ؟ »

فقال : « لم يتمكن من أن يبتدر بندقيته ، وأغلب الظن أنه كان قد عاد لساعته من الصيد فألقى بندقيته على المائدة ، ثم خرج يطلب ماء على الأرجح . وعسى أن تكون الدبة التى صاد جروها وقتله قد تبعته إلى هذا البيت ، فلما هجمت عليه عدا إلى الكوخ ليأخذ بندقيته ، وكان الباب موصداً ، فشدّ سير الجلد الذى يفتح الباب شداً عنيفاً فقطعه ، فعجز عن فتح الباب ، ففتكت به الدبة .

فارتعدت وأنا أتصور تفصيل ما حدث ومضى الرجل يقول :

« وقد كان أحد رجالى يصيد النمس فى هذه الناحية ، فعاد ذات يوم بحكاية غريبة عن « شبح بتلر » . ولكن هـذا الرجل أكبر كذّاب فى ألاسكا ، وقد قال فى روايته إن بتلر . . . »

وإذا بى أسمع صوت الدق الذى سمعته من قبل ، وكان الباب مفتوحاً فتأدّى إلىَّ هذا الصوت الغريب ، فوثبت إلى قدمىَّ .

فقال : « ماذا بك أيتها الفتاة ؟ إن عينيك جاحظتان ! »

فسألت : « ألم تسمع ؟ »

فقال : « أسمع ماذا ؟ »

فقلت : « صوت الدق ! »

فقال : « آه ، هى السناجيب الطائرة ، إنها تكتسح البلاد . فإذا كانت الليلة قمراء عجز المرء منا عن أن يصيب غفوة ، لأنها تقضى الليل تقفز وتثب على السطح . تعالى قفى هنا ، وانظرى إلى الشجرة التى أمامك » .

وقد كان ، فما هى إلا هنيهة حتى رأيت حيواناً ذا فرو يرتفع من الشجرة وهو

ناشر قوائمه ، ثم يحط على السطح فيحدث ذلك الصوت اللعين . ثم يقفز إلى طنف السطح ويعود إلى الشجرة .

فقلت: « ما أمكره من حيوان! » وتلفت من حولى وعلى ثغرى ابتسامة المضطرب .

فلما فعلت وقع نظرى على الباب ،فرأيت على ألواحه الخشبية الليِّنة علامات غريبة : ثغرات من نوع الثغرات التى تحدثها فيه قبضات قوية تطرقه طرقا قوياً .

فقال : « وأىُّ شىء تحدقين إليه الآن؟ »

فقلت : « هذه العلامات على الباب ! »

فضحك وقال : « يلوح أنك حين بلغت هذا الكوخ فى الليلة الماضية كان إجهاد أعصابك قد برّح بك — ثم سمعت هذا الطرق القوى » .

فلما مضينا تلفتُّ إلى الكوخ الذى قضيت فيه ليلة هول لم أكابد مثله — وإلى العلامات على الباب ، وكنت أعلم أن قبضتىّ الصغيرتين لم تحدثها، لأننى لم أطرق باب ذلك الكوخ الكالح المهجور !



## من نوادر العظماء

كان فولتير يوم بلغ الأربعين من عمره يملك نصف مليون ريال ، ولكنه لم يجن هذه الثروة من مؤلفاته ، بل جمع أكثرها من إقراض المال لذوى الحاجة من النبلاء . فكان يقرض نبيلا من الشباب مبلغا ما ، ويتفق معه على أن يوفيه النبيل فائدة ١٠ فى المئة ما عاشا كلاهما ، أما المبلغ الأصلى فلا يسدد مطلقاً ، فإذا مات فولتير فسخ العقد . وكان لا يتخير لذلك إلا الشبان من النبلاء ، فكانوا إذا رأوه على حاله من السقم والضعف لا يترددون فى قبول ما يعرضه عليهم، ظناً منهم أنه لن يعيش طويلا فتكون الصفقة رابحة . وكان فولتير إذا أنس تردداً من أحدهم ، يسعل سعالا مبحوحاً يشى بأنه مسلول ، وسرعان ما تعقد الصفقة.

دخل برنارد شو فى أحد الأيام مكتبة تبيع الكتب القديمة وجعل يقلب المجلدات التى فيها ، فوجد مجلداً يضم مسرحياته، وعلى صفحته الأولى اسم صاحب له ، وقد كتب برنارد شو تحت الاسم : « مع تحيتى إلى . . . برنارد شو » . فاشترى المجلد وكتب عليه : « أجدد تحيتى لصديقى ... » وارسله إليه بالبريد .

أتت على الإنسان ألوف من السنين وهو يعتمد على الدهاء والارتياب ، أما اليوم فلا نجاة له إلا بطرح الخوف والشكوك .

# مضى زمن الخوف

إرنست [illegible]
[illegible]

إذا نظرنا إلى علاقة البشر بعضهم ببعض — أى إلى ما ينبغى للمرء أن يفعله وما لا ينبغى — رأينا أننا نعرف ما يجب علينا وما لا يجب منذ خمسة آلاف سنة وقد أعرب البشر فيما دوّنته لغاتهم على اختلافها ، عن إيمانهم بأنهم قادرون على أن يجعلوا حياتهم فى الأرض آمنة مطمئنة ، لو هم وجّهوا عقولهم وقلوبهم إلى هذه الغاية .

وقد تقضّت خمسة آلاف سنة وهم يعربون فيما دوّنوه عن إخفاقهم فى بلوغ هذه الغاية .

وليس مردّ هذا الفساد إلى الأرض نفسها — أى إلى تربة الأرض ومائها وخصبها وشمسها — فهذا الكوكب الذى يعمره الآن نحو بليونى نسمة ، لا يزال فيه خلاء كاف وثروةٌ وافرةٌ تكفى لإمداد بلايين أخرى من البشر بأسباب السعادة والرخاء . وقد صدق الأوائل حين قالوا : لا عيب فى الدنيا بل العيب عيب الناس .

فنحن لم نبذل قط جهداً فى طلب جيل من البشر أفضل من هذه الأجيال، كالذى نبذله من جهدٍ فى البحث العلمى . فمنذ أربعة قرون وحسب لم يكن عند البشر شىء يذكر من العلم ، ولكن مضت السنون فإذا بعلمنا اليوم قد بلغ مبلغاً يتيح له أن يقيس درجة حرارة الشمس ويفلق الذرّة .

فما الذى فعلناه للقلب الإنسانى الشديد المراس فى هذه القرون الأربعة ؟

كانت الملكة إليزابيث تتخذ الدسائس السياسية والأساطيل سلاحاً لتحقيق مطامعها العالمية ، وهكذا تفعل الأمم اليوم . وكانت تجارة بلادها قائمة على سياسة الحرب الاقتصادية ، ولا يزال ذلك هو أساس التجارة فى هذا القرن العشرين . ومنذ أربعة قرون لم يكن الإنسان يجد أمناً فيما يحيط به ولا ما يشعره بالاطمئنان على مستقبل أبنائه . فهل يجد أحدنا اليوم فى قلبه اطمئناناً على مستقبل أبنائه ؟

وهذا العصر بكل ما فيه من روائع العلم

من بنسلين ، إلى سلفا ، إلى طائرات تقطع بك الأرض إلى حيث تشاء ، إلى مستشفيات ودور للكتب — هو نفسه العصر الذى أتقن صنع آلة لا تكاد تدير مفتاحها حتى تنسف ملايين من البشر نسفاً وتجعلهم هباءً منثوراً. وهذا هو حال دنيانا اليوم: يوشك أن يدار المفتاح بدافع من الخوف ، خوف الناس بعضهم من بعض .

والخوف فيما أظنُّ هو علة إخفاقنا. فليت شعرى لِمَ صارَ للخوف علينا هذا السلطان المروّع ؟

يوم هبط الإنسان هذه الأرض منــذ ملايين السنين ، داخله الخوف حتى يستطيع أن ينجو مما يخاف ويبقى حيًّا . كان يخاف كل شىء غريب يبرز له فجــأة من خلال الغاب ، وكان يخاف كل حيوان يخشى أن يمزقه بأنيابه أو مخالبــه إرباً إرباً ، وكان يخاف كل شجرة خشية أن يكون ثمرها سمًّا قاتلاً . كانت حياته جهاداً مُرًّا فى سبيل البقاء ، وكان كل شبح يتحرك على الأرض نذيراً يروّعه — كان لا يستطيع أن يأمن شيئاً أو أن يكون عفــوًّا غفوراً ، ولو فعل ذلك لهلك . فمن أجل ذلك كان يلقى الدنيا متأهباً للصراع .

فهذا الجهاد المتطاول منذ القدم قد ثبَّت فى نفســه الخوف والارتياب تثبيتاً عميق الجذور ، حتى صرنا اليوم نظن أنهما طبيعتان فينا لا نملك لهما تبديلا ولا تغييراً .

لقد مضت على الإنسان آلاف من السنين ، واكتوى بنار مئات من الحروب والمجازر والمجاعات حتى تهيأ له أن يثق بجماعة أهله وأسرته وينضم إليهم ليكونوا قبيلة واحدة . ثم أتت عليه آلاف أخرى من السنين حتى اقتنع بأنه لا ضير عليه إذا انضمت القبائل بعضها إلى بعض لكى تكون جماعة واحدة أقوى وأشــد بأساً . وكان الخوف يقبض خطواته إلى غايته ويبطّىء مسيره ، وظلّ يألف القديم لما يجد فيه من الأمن ، ويتنكب الجديد لأنه مجهول ، فهــو لذلك مخوف مخشيُّ العواقب . وكذلك حالنا نحن اليوم .

كان ذلك كله يستبدُّ به ، ولكن لم يخلُ عقله قط من شىء يلمع ثم يخبو ، ثم يعود فيلمع مرة أخرى . فكان وهو يدبُّ فى جوف الغاب خائفاً من الأصوات التى تكتنفه من كل ناحية ، وكان وهو يزجر ويقاتل ويقتل ، وكان وهو قارٌّ ساكن أو متنقل على حذر والقرون ماضية عليـــه تطؤه بأثقالها — كان يجد شيئاً يعتلج فى نفسه ، هو خياله . وكان هذا الخيال أسبق منــه سيراً ، فكان يرى لمحة غامضــة من حياة أفضل من الحياة التى يعيشها .

كان سرُّ بقائه على الأرض هو الصبر والشجاعة والدهاء والخوف ، فحفظت عليه حياته عسى أن يتيح له خياله يوماً أن ينشىء لنفسه دنيا أفضل من الدنيا التي يعيش فيها . وها نحن هؤلاء اليوم ورثة تلك الطبائع والأخلاق ، وخيالنا يرشدنا إلى ما يدخل في طاقتنا أن نفعله ، ولكنّ خوفنا يقبض عزائمنا ويردّنا عن تحقيقها .

وإنه ليكون عجباً إذا استطاعت نواميس التطور البطيئة الحركة أن تبلغ بنا الغاية التي ترمي إليها ، كما فعلت بنا حتى اليوم . ولو كنا قنعنا بأن ندع التطور وحده يفعل مايشاء . لكان الظنُّ به أن يصل بنا إلى الغاية ، ولكننا لم ندع نواميس التطور كلها وشأنها . نعم لقد تركنا نواميس التطوّر التي تمسُّ الطبيعة الإنسانية وشأنها ، ولكننا تعجلنا نواميسه في شئون العلم وحثثناها حثّاً سريعاً . فكانت العاقبة أن خسفنا هُوّةً بين المعارف العلمية والعواطف الإنسانية يحتاج اجتيازها إلى آلاف السنين . وقد استغرق تحولنا من استخدام العصيّ والرماح في الحرب إلى البارود نحو ٣٠٠,٠٠٠ سنة ، بيد أننا تحولنا من البارود إلى القنبلة الذرية في ثلاث سنوات بفضل معاملنا العلمية . فثلاث سنوات من العصر الحديث تقابل ٣٠٠,٠٠٠ سنة من القرون الخوالي . ومع ذلك ينصح الناصحون منّا بأن لا نتعجّل في إحداث تغيير يمسُّ علاقات البشر بعضهم ببعض .

فليس لهذا الضرب من التفكير سوى عاقبة واحدة : أن يصبح الخوف المشتّت الذي حمل قبائل الأولين على اتخاذ السلاح ، دافعاً لقبائل المحدَثين على اتخاذ السلاح أيضاً ، وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى يطلق الخوف هذه الشياطين ، والعلم من ورائها يمدّها بأسباب الدمار .

كان الخوف عند نشأة الإنسان الأولى شيئاً نافعاً حماه أن يهلك ويفنى ، أما اليوم فقد صار الخوف هو الأداة التي يخشى أن تفتك به وتقضي عليه . ونحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى إيمان يجعلنا نعتقد أن قلوب أهل الأرض جميعاً تنطوي على قدر مشترك من حب الخير ، وعلى قدر مشترك من الآمال والأشواق والعواطف ، وعلى قدر مشترك من حسن التقدير ، وأنهم جميعاً سواء عند الله .

ولن ننجو من ذلك المصير المخوف إذا بقيت قلوبنا تحس بالانقباض من رؤية إنسان غريب أو شيء مجهول ، بل لا نجاةَ لنا إلا بأن نفتح صدورنا للمجهول وأن نلقاه بالمودة والرغبة في حسن التفاهم .

بأى سلطان أقام هذا الرجل نفسه ، زمنا قصيراً ، حاكما على ربع مليون من أهل إفريقية ؟

# حاكم قبيلة إفريقية
# فى قلب بلاد الكونغو


جورج كنت
كاتب عاد منذ عهد قريب من رحلة فى أواسط إفريقية



مختصرة من مجلة "كرستيان هيرالد"


**هذا** رجل مديد القامة نحيلها ، لا تراهُ إلا غادياً أو رائحاً فى قميص مفتوح وقد شمَّر كميه عن ساعديه . وقد كان يرتدى هذا الثوب يوم وصله خلخال من نحاس فجعلهُ ملكا على قبيلة باشى باشنجو . وقد ظل يرتديه خلال ستة أسابيع تولى فيها الحكم على قبيلة فيها ربع مليون نسمة ، تعيش فى قلب الكونغو البلجيكى ، إلى الجنوب من خط الاستواء — هذا هو حزقيا وشبرن .

والجوُّ حارٌّ فى مملكة الباشنجو ، وكل سهل فيها إنما انتزعه رجال القبيلة انتزاعاً من براثن الغاب . وهناك يكثر ذباب تسى تسى ، الذى ينقل مرض التهاب الدماغ السحائى ، وبعوض الملاريا ، ومرض الجذام . وترى الثعبان الكبير من نوع الأصلة يلتهم الماعز ، وعلى كل امرىء أن يقدِّم الحذر ساعة يفتح بابه ، لأن الأفعوان الخبيث قد ألف أن يرقد عند عتبة الباب .

على أن الهواءَ رطبٌ على شرفة السقيفة التى يسكنها وشبرن ، وهناك روى لى كيف أفضى به حدث خطير فى حياة القوم إلى أن يصير ملكا عليهم . ومضى فى روايته وأنا أرى رجال الباشنجو يمرُّون بنا ، وعلى رأس كلٍّ منهم قبعة صغيرة أنيقة من القش ، ثبتت فى شعره بدبوس طويل يتدلى منه جرس صغير . أما النساء فكنَّ يلبسنَ ما يستر بين الخصر والركبتين ، ويحملن على رؤوسهنَّ قصاعاً فيها جذور نبات المانوق .

وقبيلة باشى باشنجو ليست كسائر القبائل ، فقد خرجت من السودان منذ أجيال كثيرة

وهبطت وادى نهر كاساى . وأنت ترى رجالهم ونساءهم حِسان القسمات ، تجرى فى دمائهم دماء المصريين القدماء ، وهم يحسنون النسج وزراعة الطباق وأشجار الكاساڤا . ولملك القبيلة اليوم ستمئة من النساء ، وهو رجل ضخم ، يشك ريش العقبان فى شعره ، وقد ورث بعض نسائه عن الملك الذى سبقه ، وبعضهن الآخر من الرقيق ، أو من وجوه الأسر فى القبيلة ، فهى تقدم بناتها إليه شاهداً على ولائها . والنساء يشتغلن فى الحقول ، أو يلزمن الدار ويتولين النسج ، فهنّ لا يكلفن صاحبهنّ مؤونة رزقهنّ .

وفد وشبرن على بلاد الباشنجو منذ ستٍّ وثلاثين سنة . وهو ابن رجل كان يزرع الطباق فى أمريكا ، فلما كان فى الرابعة عشرة من عمره طلب العلم فى كلية « بريا » حيث يستطيع الطالب أن يكفل رزقه ونفقات دراسته بالعمل فى المصانع والمزارع التى تشرف عليها هذه الكلية . فتعلم وشبرن كيف يصلح الأحذية ويبنى بلبنات الآجرّ ، كما تعلم النجارة والسباكة وتصليح السيّارات . وقد انتفع بهذه الحرف ، فقد كان عليه يوم رحل إلى الكونغو أن يبنى بالآجرّ ، بل أن يصنعه أيضاً . وقد بنى بيوته بيديه ، وأشرف على قطع الأشجار وتمهيد طرقٍ فى الغابات طولها ١١٠ أميال ، ثم صار بعد ذلك أول رجل قاد سيّارة فى مجاهل الكونغو .

وقد خانهُ التوفيق يوم رحل رحلته الأولى إلى بلاد باشى باشنجو فى سنة ١٩١١ فقد حدث قبل ذلك ببضعة أشهر أن أحد التجار البيض الذين لا ذمّة لهم ، قتل فئة من أهل البلاد وسرق حمل خمسمئة رجل من العاج ، فأقسم رجال الباشنجو أن يقتلوا أول رجل أبيض يفد عليهم . فلما وصل وشبرن إلى أرضهم ، أحدقوا به وجعلوا يتناقشون أيقتلونه لساعتهم أم يرجئون قتله . وقد جلس وشبرن فى حلقة من رجاله متنكرين له يرمقونه بعيون حمر ، فما كان منه إلا أن أومأ إلى غلام وأعطاه حفنة من الملح ، وهو من أعزّ الأشياء عند القوم ، ففرح الغلام فرحاً عظيماً ، وسرعان ما حفّ الغلمان بالرجل وقد مدّوا أيديهم يطلبون ملحاً .

فقال شيخ البلد عابساً : « دعوه الآن وشأنه ، فلا بدّ أن يكون رجلا طيِّباً ما دام الأطفال يحبونه » .

وسكن وشبرن فى أكواخ القبيلة ، وأكل طعامها ، غير متقزز من شواء الديدان ، وما لبث حتى لحقت به زوجته ، فأنشأ هناك مركزاً صحيًّا ومدرسة ومستشفى

صغيراً ، فظفر على الأيام بمـودة القوم وتبجيلهم .

ويوم تفشى وباء الدوسنطاريا فى القرى، عالج وشبرن المرضى فى داره وأنقذهم جميعاً من الهلاك .

وكانت بلدة « موشنجة » هى عاصمة هذه المملكة ، فانقضّ عليها الوباء انقضاضاً عنيفاً ففتك بأربعمئة من أهلها ، ففرّ الملك هلعاً . وكانت المملكة تقوم على قاعدة سيادة الأم ، ولأم الملك القول الفصل فى أمورها ، وكانت الملكة الأمُّ قد سمعت بنجاح وشبرن فى كفاح الوباء ، فطلبت من الملك أن يدعو الطبيب الأبيض .

ولكنّ الملك ردّ سؤالها لشجار وقع بينه وبين الطبيب منذ أشهر ، فأمرت الملكة الأم بأن يمثل الملك بين يديها ، وجاءوا بحدّادٍ قطع خلخال النحاس الذى فى رجل الملك ، لأنه رمز سلطانه ، ثم أرسلته إلى وشبرن ، فأقامتـه ملكا على شعبها . فربط وشبرن ذلك الخلخال على عود من الخيزران ، وعلقه فى دراجته التى ركبها إلى موشنجة تلبية لدعوة الملكة .

وكان الناس يحيّـونهُ تحية الود بالتصفيق وهو يمرُّ بهم . وكان بعضهم يلبس ثياباً كاملة ، والبعض الآخر يكتفى بمئزر يستر العورة ، وكانت الكلاب والماعز والدجاج طلقة فى طرق البلد تسير أين تشاء . فلما رأى الشيوخ ذلك الخلخال صافحوا وشبرن مصافحة التبجيل ، وساروا معه يطوفون فى القرية كوخاً كوخاً . وعلى أن وشبرن لم يتلقّ علوم الطبّ ، فإنه ألفى نفسه مضطرًّا فى هـذه الحالة الحرجة أن يتخذ قرارات طبية عاجـلة . وأنت تجد اليوم فى تلك المنطقة طبيباً ومستشفى وممرضات ، ولـكن الحالة فى سـنة ١٩١٨ كانت أشد عليه وأعسر .

وكان وشبرن إذا ما وجد رجلا مريضاً لا يزال قادراً على أن يمشى ، يرسله ماشياً إلى المستشفى الصغير الذى أنشأهُ فى قريته . فإذا ألفاهُ ضعيفاً لا يقوى على المشى ، ورأى أن نجاته مستطاعة ، أمر رجلا قادراً بأن يحملهُ . وأنت تعلم أن للطبيب الذى يمثل وزارة الصحة سلطاناً لا يعلوه سلطان حين يتفشى وباء مهلك ، فكذلك كان وشبرن يومئذٍ ، ملكا له حقُّ الطاعة من أهل البلدة جميعاً ، فقتل الدجاج والماعز والخنازير التى رآها تدخل أكواخ المصابين وتخرج منها . ولو فعل ذلك فى أيام الصحة والسلامة، لعدّ عملهُ جرماً كبيراً ، وقد أشعل وشبرن النار فى الأكواخ التى كان المرضى يقيمون فيها .

وذهب وشبرن إلى الساحة التى يدفن

فيها الموتى وفحص القبور القليلة الغور ، فروّعه أن يرى الحياة لا تزال تدبُّ فى أجسام لم يكد يغطها التراب ، فأمر أن تنقل إلى بيوتها . وقد لقيت منذ شهر بعض هؤلاء الناس الذين كانوا « جثثاً » ، فرأيت فى عيونهم وهم شاخصون إلى وشبرن نظرات تجلُّ عن الوصف .

وأعقب وباء الدوسنطاريا موجة مهلكة من مرض الأنفلونزا ، وأصيب به وشبرن ، وكان طريح الفراش يوم استدعاه الملك المريض إليه ، متناسياً ما كان بينهما من جفوة . فلبىّ وشبرن الدعوة ، وحُمل حملا إلى سرير الملك . وكان الملك فى النزع ، فأهاب بحاشيته أن يلقوا بالهم إلى ما يقوله وشبرن ، فهذا « رجل صالحٌ، ولا غاية له سوى خير الباشى باشنجو » .

أما الملك الذى اعتلى العرش بعد مُلك وشبرن القصير ، فكان صديقاً ودوداً له منذ اليوم الأول . فلما وصل ممثلو الحكومة البلجيكية للبحث فيما اتهم به وشبرن من إشعال النار فى البيوت يوم تفشى الوباء ، واجههم الملك الجديد وقال : « فى وسع الرجل أن يصنع بيتاً ، ولكن ليس فى وسع البيت أن يصنع رجلا » .

وبعـــد زمن غير طويل أنعم ملك البلجيك على وشبرن وزوجته بوسام « لما أسدياهُ من خدمة للشعب البلجيكى » .

ووشبرن اليوم فى السبعين من عمره ، وله على قبيلة باشى باشنجو أياد أخرى غير ما تقدم ذكره ، فقد كافح الأطباءَ السحرة ووفّق فى كفاحه ، فزلزل من سلطانهم على نفوس أهل القبيلة ، وإن لم يقض عليه قضاءً مبرماً .

ومن شرور التطبيب بالسحر فى بلاد الباشنجو ما يطلقون عليه اسم « المحاكمة بالسمّ » ، فإذا شرب المتهم سمّاً وظلّ حيّاً فذلك دليل على براءته ، فإذا مات فهو آثم مذنب . ولكن الطبيب الساحر يجعل السم قويّاً زعافاً أو لطيفاً خفيفاً ، وفقاً لما يعطى من مال . وقد أقام وشبرن سنين كثيرة يبحث ويستقصى حتى يقيم الدليل على صدق هـذا القول ، وأخيراً اجتمعت الدلائل بين يديه منطوية على حوادث استقصاها أدقّ استقصاء وأكمله ، وعلى أكياس مكدسة بعظام مئتين من الرجال والنساء هلكوا بالسمّ الذى صنعه الأطباء السحرة وجرعوهم إياه . فلما عرض أدلته على رجال الحكومة ابتسموا ولم يعبأوا بها ، ولكنه مضى فى الكفاح حتى بلغت أقواله مسامع الحكام ، فاهتموا بالأمر ، فأيد البحث رأى وشبرن وصدق نظره .

أما تجاربه فى الزراعة فأقل روعة من

كفاح المرض والسحرة ، ولكنها ليست أقل شأناً . فقد أخذ الذرة السقيمة المألوفة فى بلاد الباشنجو ، والمعرضة لآفة الدود ، وهجنها بصنف آخر قوى صلب قصير السنابل تزرعه قبائل بالوبا ، فأنتج صنفاً جديداً أقوى مراساً وأطيب مذاقاً ، ثم استورد صنفاً جيداً من الذرة لا يقوى على احتمال عواصف الكونغو، فلما هجنه بالصنف الجديد المهجن ( باشونجو — بالوبا ) ولد نوعاً متفوقاً من الذرة وافر المحصول . وقد جلست مع وشبرن على شرفة داره ، ورأيت الأهلين يقبلون بسنابلهم القصيرة الضامرة فسيبتدلون بها سنابل مثقلة بحبوب ممتلئة ليبذروها . فقد كان وشبرن الباحث الزراعى وموزع البذر فى وقت واحد .

وقد صار وشبرن اليوم عضواً فى المجلس الذى يتولى حكم القبيلة ، فهو كأحد أبنائها ، بل إن شيوخها يعتقدون أنه كان منهم حقاً فى زمن مضى ، فرحلت روحه إلى حيث ولد ونشأ لتحل فى بدنه . وقد رغب إليه أحد الشيوخ أن يكتب له اسم مسقط رأسه على ورقة ، حتى توضع فى نعشه بعد وفاته ، عسى أن تهديه الأرواح بعد موته فتسير به إلى البلد الذى جاء منه وشبرن .



## جزع الطيار

يروى الجنرال أيزنهاور القصة التالية : « بعد انتهاء القتال فى أوربة ، أمرت أن أعود إلى الولايات المتحدة لأحضر مؤتمراً حربياً . وكان بين ركاب الطائرة شاب كان من جنود المظلات ، فروى لى نوادر كثيرة مما وقع له . فلما دنونا من المطار الأمريكى بعد رحلة لم تنزل فيها فى أى مطار آخر ألفيتُ الفتى وجلاً مضطرب الأعصاب ، فسألته : « ما بك يا بنى ؟ » فقال وكأن فرائصه ترتعد : « هذه هى أول مرة يا سيدى أنزل فيها إلى الأرض وأنا فى طائرة ! »

[ فردريك سليتر ]



# آيدا وايلى

لا أذكر متى لقيت كرستين أو كيف عرفتها ، فهى طفولتى كلها ، بل هى حياتى كلها .

وهذا الذى سأقصه ما هو إلا نبذ من قصة طويلة بدأت فى لندن أيام الاحتفال بالعيد الخسينى للملكة فيكتوريا ، حينما تزوج المحامى الأسكتلندى أليك وايلى سيدة فقيرة إلى الجمال غنية بعفتها وكمالها . وكان أليك شاباً ظريفاً نزقاً أسود الشعر أزرق العينين ، وأقام الزوجان فى دار كبيرة على سفح تل بريمروز ، وعلى الجانب الآخر من بيت كرستين حيث تعيش هى وأخوها وأختها وأمها الأرملة .

وتوثقت الصداقة بين الأسرتين ، وأصبحوا يتناولون العشاء معاً أو يشتركون معاً فى بعض الألعاب الرياضية فى ليالى الصيف . فلما تهور أليك فى غرامه وافتضح أمره طلبت زوجته الطلاق ، فإذا بأسرة كرستين توصد بابها فى وجهه إلى الأبد ، ذلك بأن الطلاق كان فى ذلك العهد لا يعد نكبة شخصية فحسب ، بل وصمة اجتماعية أيضاً ، حتى ولو كان المطلق ضحية بريئة .

والله يعلم أن أليك لم يكن بريئاً ، ولكننا نرى كرستين تلك الفتاة النحيلة الجسم السوداء الشعر الدقيقة القسمات ، والتى أخذت مع الأيام تزداد جمالا ، والتى لا تقل عن اللبؤة فى شجاعتها — قد انبرت للدفاع عنه إذ رأته ضحية ظلم وسوء فهم . وقد كبر عليه أن يدافع عن نفسه ، فيبين أن رحلاته الصاخبة إلى باريس لم تكن إلا لعمل وكل إليه . وانتهى الأمر بكرستين إلى أنها قبلت خطوبته لها برغم معارضة أسرتها الغاضبة .

ومرت على أليك أيام عصيبة ، إذ قاطعه أبوه الغنى وكف يده عن إعانته ولو بالقليل من المال . ولم تكن أرباحه من عمله ، على

براعته فيه ، تكفيه أن يعيش عيشة البذخ التى اعتادها ، ولا تكفى لســـداد ديونه . وأخيراً صح عزمه ، ككل من كان يعانى الضيق فى ذلك العهد ، على السفر إلى أستراليا طلباً للغنى . واتفق هو وكرستين على أن تلحق به بعد وقت قليل ، أو أن يعود هو إليها منتصراً فيخطبها إلى أسرتها النادمة . واصطحبت كرستين أخاها ، وكان يعلم أنه مخدوع ولكنه كان يميل إلى أليك كباقى من يعرفه ، وذهبا معاً إلى المحطة ليودّعا فتاها الراحل . وحين أزف موعد السفر أخذ أليك يلح عليها حتى ترحل معه ، وكاد ينجح فى جذبها إلى القطار وهو يتحرك ، فمنعها أخوها ، ولا أظن أنها سامحته فيما بعد على فعلته .

ولم تكد تمضى ثلاثة أسابيع على وصول أليك إلى أستراليا حتى تزوّج أمى .

وليس من الإنصاف أن نحكم عليــه كما نحكم على ســـائر الخلق . فبعض الناس مفطورون على التلوّن وقلة الثبات ، ولو أنهم يتمتعون بقسط وفير من السحر والظرف ، مما يلين إليهم جانب الناس حتى يستقرّ فى قلوبهم أنهم على حق فى كل ما يفعلون .

ولا أدرى كيف عرفت أمى أن هنـاك امرأة قد اغتصبت هى مكانها وإن تكن غير مريدة ولا آثمة ، ولكنها حينما علمت بخبرها لم تتوان عن الكتابة إليها ، فوصلها رد من كرستين ، ونشأت صداقة وثيقة خالصة بين هاتين المرأتين برغم ما يفرق بينهما من آلاف الأميال ، وبرغم ذلك الحب الذى كان خليقاً أن يجعلهما عدوّين لدودين .
ولما انتهى الأمر بأن عادت أمى إلى إنجلترا وهى مجهدة يائســة ، تصحبها فتاة فى سن الثالثــة ( هى أنا ) وزوج استفاقت أخيراً فعرفت تهوّره وجنونه — كانت كرستين هى التى رحبت بمقدمها وأحبتها ( وقبل أبى هذا الوضع على علاته بل عدّه من علامات توفيقه وسحره ) . وعاشت أمى سنتين وهى تغالب ما تلقاه من جو إنجلترا ومن يأسها الطاغى ، ثم فاضت روحها وهى تقــول لكرســتين : « أوصيك خيراً بابنتى » فوعدتها كرستين بما قرت به عينهـا ، ولم تنكث كرستين هذا الوعد قط .

وفقدت بموت أمى كل ما كان قد بقى لنا من مظاهر حيـاة الأسرة ، إذ عاد أبى لسبب خفىّ إلى الدار التى شهدت زواجه الأول ، فإذا بى أعيش فى قصر منيف من طراز قديم ، فأجده مرة قد امتلأ بفاخر الأثاث ومرة قد ازدحم بالدائنين . وكنت أجلس أحياناً وأنا فى قميص النوم على رأس السلم وأراقب أبى — وما كان أبهاه فى ثياب السهرة الأنيقــة ! — وهو يرحب

بضيوف أغلبهم من دائنيه ، ويدعوهم إلى مائدة فخمة ، ولكنهم لا يكادون يجدون عليها طعاماً يكفيهم .

وكنت أرى خادمة تجيء وأخرى تذهب، ولم تكن لى مربية ترعانى . وكنت لا أرى أبى إلا قليلا ، إذ كانت تنتابه نوبات من الهياج والغضب فتملأنى رعباً . وكنت وأنا فى نحو الخامسة من عمرى فتاة صغيرة وحشية ، قد أهملوا نظافتها وتسريح شعرها وتعويدها الآداب الاجتماعية، ولكنى تعلمت الصبر على المكاره . ولست أودّ أن أفكر كيف كنت أكون لولا كرستين التى كانت تأتى إلى دارنا كل يوم ، فى الصحو والمطر ، لتغسلنى وتمشط شعرى وتعلمنى القراءة والكتابة ، ولتمسح البلاط أيضاً ، إذا لم يكن من ذلك بدّ ، حتى تدل مظاهر الدار على أنها مأوى أسرة تقيم به .

وكنت حاضرة حينما سألها أبى أن تتزوجه فرفضت . فهى وإن ظلت مقيمة على حبه والإشفاق عليه، إلا أنها عدت نفسها مرتبطة بوعدها لأمى ، وهى تعلم أنها تكون أقدر على الوفاء بهذا الوعد إذا ظلت بعيدة عن العواصف الهوجاء التى تثور فى حياة أبى . لم أكن طفلة سقيمة البنية ، ولكنى كنت أقاسى ألماً مريراً فى أذنىّ ، ولا أزال أذكر تلك الليالى التى سهرت فيها كرستين معى حتى الصباح لتخفف عنى آلامى . وكانت المرأة فى ذلك العهد إذا هى قضت أيامها ولياليها فى دار رجل عزب لأى سبب من الأسباب ، أصبحت مضغة فى أفواه الناس. فخاصمتها أمها ولم تعد تكلمها ، وحرمتها ميراثها ، وأنفقت كرستين كل ما ادخرته من مال لكى تعولنا، بل لكى تنقذنا من الخراب مرة بعد مرة ، ثم بدأت تستدين لتنفق علينا . ولما تقدم بها العمر بدأت تتدرب على الآلة الكاتبة ، والتحقت بمكتب محام حتى سددت ديونها .

ولم تكن كرستين امرأة رقيقة الحاشية لينة العريكة ، بل كانت امرأة صارمة سريعة الغضب شديدة فى الحق، تردّ ردوداً مفحمة، وفيها شجاعة استطاعت بفضلها أن تصد غضبات أبى . لم يكن فى حياتى أحد سواها، فلا جرم أنى أحببتها . وقد كتبت لها أول قصصى ، وأهديت لها أول رواية نشرتها ، وكانت هى بطلة هذه القصة وإن كانت تجهل ذلك . وكانت تحسبنى نابغة فى فن القصص، ولعل هذا كان عيبها الوحيد .

ولما كاد النحس يبلغ بنا منتهاه ، عرف أبى امرأة أخرى ذات خلق ، وإن كان نصيبها من الجمال قليلاً ، وكانت لها ثروة أعانت أبى على أن يعيش فى السرف الذى اعتاده حتى نفدت بنفاد عمره . ولما تزوج

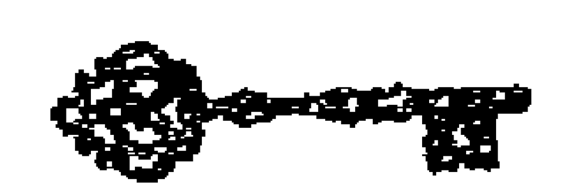
أبى هذه المرأة أغلق بابه فى وجه كرستين ، وإن لم تكن قد جاءت إلا لرؤيتى ، إذ كان يرى نفسه مدينا لها بشىء كثير . بل أكبر من ذلك أنها كانت تذكره بحياة يريد أن ينساها . وكان إذا غلبنى الشوق إليها تسللت من الدار خائفة واجتزت التل لأتطلع إلى نافذتها ، فكانت تطل إلى منهـــا وتلوح بيدها . وكانت حين أركب رأسى تشاركنى فى عصيان أوامر أبى القاسـية السخيفة ، فتنزل إلى وتماشينى تحاول أن تسرّى عنى همومى .

وأخيراً أرسلنى أبى إلى خارج الوطن ليفرق بيننا ، فأخـذنا نتراسل . ولم أرها إلا بعد أن نشرت أولى قصصى ، وصارت لى حرية مكفولة . وكتبت لها فى عيد ميلادى الحادى والعشرين أقول : « هيهـات أن أنساك ... » وكذلك لم ينسها أبى ، إذ دعاها إليه وهو على فراش الموت وقال لها : « لك الله يا كرستين ! ليتك رضيت بى زوجاً » ، كأنما الغلطة كلها غلطتها . وأنا أعتقد أن هذا كان رأيها أيضـاً ، فهى على كل حال لم تلق عليه اللائمة قط ، فإذا أخذتنى فورة الشباب وأنحيتُ عليه باللائمة ، هزت رأسها وقالت لى : « آه يا عزيزتى وأنت أيضـــاً لم تفهميه ، وكذلك لم يفهمه أحد » .

وعاشت كرستين إلى أن بلغت الثمانين فى دار صغيرة مع أختها وهى محتفظة بجمالها ، ثم ضعف بصرها وإن ظل ذهنها صافيـاً كعادته . أما قلبها فكان غضـًا ، وأما نفسها فكانت أبدا راضية ، ولم يقلّ اهتمامها بأخبار عالمنا الذى أخذ فساده يتفاقم . وكانت فخورة بى أشد الفخر . وكانت أقل الأشياء تملأ قلبها غبطة ، كأن ترى شعاع الشمس وهى تميل للغروب ، أو تسمع غناء عصفور على فنن عنـــد المغيب . ولا أزال قادرة أن أسمع صدى ضحكتها الصافية كرنين أجراس من الفضة ، يتردّد فى نواحى قلبى .

لم تكن كرستين مؤمنة بالله ، ولـكنهـا آمنت فى أواخر أيامها ، وماتت كما عاشت فى كرامة وشجاعة . وكان آخر كلماتهـا : « طاب ليلك ياعزيزتى ، وشكراً لك على كل ما فعلته فى سبيل مرضاتى » .

فأودعت فى هذه العبارة كل ما انطوت عليه حياتها من عواطف الإيثار والكرم . ولما رأيتها تلفظ آخر أنفاسها خيل إلىّ أن شبحاً من نور وضّاء قد طاف بحجرتهـا الصغيرة المتواضعة . قد يكون هـذا وهماً ولـكننى لا أظن ذلك .



إن التوسل بالحشرات للقضاء على الحشرات المؤذية ، بل على الحشائش الضارة ، قد وفر على المزارعين ملايين من الريالات

# حشرات لمكافحة الحشرات

فرانك تايلور

مختصرة من مجلة "ذي كنتري جنتلمان"

من الحشائش الضارّة نوعٌ يدعى « كلامات » ، إذا تركت له الحبل على الغارب زاحم النباتات الأخرى وطغى عليها . وهو نبات ذو بذر كثير ، فإذا حششته حتى يصير على مستوى سطح الأرض انتشر عليها كالنباتات المعرشة . وهو سم قاتل للمواشي ، فقد اضطر أصحاب القطعان في ولاية كاليفورنيا أن يهجروا مراعي بلغت مساحتها مئة ألف فدان لأن حشائش كلامات طغت عليها .

فاتجه أصحاب المواشي إلى الأستاذ هارى سميث ، أحد العلماء في معهد الحشرات ، فقد قضى هذا العالم عقدين من السنين أو أكثر وهو يربي حشرات نافعة ، لتقوم كالشرطة على الحشرات الضارة فتراقبها وتكف من شرها . أفتستطيع الحشرات أن تكف من أذى الحشائش ؟ كان ذلك مشكلة لم تدرس من قبل ، فأقبل عليها سميث ورجاله متحمسين ، وسرعان ما عرفوا أن حشائش كلامات ليست خطراً يخشى في موطنها الأصلي ، وهو أوربة الوسطى ، لأن هناك قبيلتين من الخنافس تعيش عليها ، ولكن هتلر كان يومئذ يحول بين صيادي الحشرات وقلب القلعة الأوربية .

ولكن أهل أستراليا يعانون من بلاء الحشرات كل ما بلي به مزارعو كاليفورنيا ، فأبرق سميث إلى بعض زملائه في أستراليا ليسأل أتراهم استوردوا من أوربة بعض تلك الخنافس النافعة . فجاء الرد بالإيجاب ، ووعدوه بأن يرسلوا إليه جماعة منها بالطائرة .

وكبرت الخنافس وخلفت نسلاً كثيراً ، وغشيت حشائش كلامات فالتهمت أوراقها وجذوعها ولم تبق على جذورها ، ولكنها لم تؤذ نباتاً آخر . وحقيقة الأمر أنها كانت تؤثر الجوع أو تكاد تؤثره على أن ترضى بنبات كلامات بديلاً .

وقد أسكنت هذه الخنافس شمال كاليفورنيا منذ سنتين ، فأسفر ذلك عن نتائج تبعث على الرضى ، حتى ليرى العلماء أن سميث ورجال معهده قد فتحوا باباً جديداً

فى «الهيمنة على الأحياء»، فإذا كان فى وسع حشرة أن تسيطر على حشيشة مؤذية، فربما توجد حشرات أخرى تستطيع أن تنقذ الناس من حشائش أخرى ضارة.

وهارى سميث لم يزل منذ ١٩١٣ يوم ذهب إلى كاليفورنيا، معنياً باستدراج الحشرات النافعة إلى الاعتداء بالحشرات الضارة. وكان قد ذهب فى سنة ١٩١١ إلى أوربة يبحث عن حشرات متطفلة تستطيع أن تلتهم دودة البرسيم الحجازى الشائع فى أمريكا، فعاد من إيطاليا بضرب من الزنابير قضى على تسعة أعشار نسل الربيع من ذلك الدود، فكانت طلائع محصول البرسيم حسنة فى تلك السنة.

فاسترعى هذا العمل أنظار الناس، فلما أنشىء معهد التجريب فى الحشرات فى ريفرسيد، عهد إلى سميث أن يتولاه. وللمعهد أجنحة وغرف ختم عليها، يصلح كل منها لتربية نوع من الحشرات المتطفلة أو الحشرات التى تعولها، فصار نموذجاً يحتذى فى إنشاء هذا الضرب من المعاهد. وتبلغ نفقات هذا المعهد ٨٠ ألف ريال فى السنة ولكنه يوفر ملايين من الريالات على الناس.

فمنذ سنوات نزلت حشرة بأرض مساحتها ٧٠ ألف فدان من بساتين الموالح فى كاليفورنيا، فربى المعهد ضربين من الزنابير الاسترالية فاستطاعا أن يكفا أذى تلك الحشرة، فوفر على سكان مقاطعة أورانج وحدها مليون ريال ونصف مليون كل سنة.

وقد اتخذوا حشرة أخرى أنقذت من البوار محصول خوخ التعبئة فى كاليفورنيا الذى تبلغ قيمته ٢٨ مليون ريال. وفى سنة ١٩١٠ يوم وصلت إلى أمريكا فسائل شجر الكرز التى أهداها الميكادو إلى الرئيس الأمريكى وصلت معها حشرات الفواكه الشرقية، فما وافت سنة ١٩٤٢ حتى كانت هذه الحشرات تملأ جو كاليفورنيا، فالتفت أصحاب بساتين الخوخ فى محنتهم إلى هارى سميث.

وقد كانت مشكلة حشرة الفواكه مشكلة عصيبة، فالحشرة تضع بيضها على الثمر أو على الورق، ومنها تخرج اليرقات. فإذا صارت دوداً ثقبت قشرة الخوخة إلى جوفها فتأكل قلبها الريان. ومن عجائب هذا الدود أنه يبصق أول ما يأكله من الثمرة وهو ينقر قشرها، فرشها برذاذ من السم لا يهلكه.

وقد طوف علماء الحشرات فى جميع أرجاء الأرض باحثين عما أعدته الطبيعة من أعداء لهذه الحشرات، فلم يجدوا شيئاً نافعاً. بيد أنهم عثروا على ضرب من الزنابير الضئيلة تبحث بحث الجائع النهم عن يرقات حشرات

الفواكه ، غير أن تربية هذه الزنابير عمل طويل مملّ كثير النفقة. فأقبل سميث ورجاله على هذه المشكلة ، فوجدوا أن إناث هذه الزنابير الضئيلة تضع بيضها فى يرقة تعرف باسم دودة البطاطس ، فتنمو نمواً سريعاً على البطاطس المألوف . فإذا خرجت من البطاطس بدأت هذه اليرقات تصنع شرنقة، ولكن بيضة الزنبور تنتفض حياة فى جوف الشرنقة وتأكل يرقة الخنفسة ، فإذا انفتحت الشرنقة خرج منها زنبور مجنح .

فصنعت طرود من شرانق الزنابير، ووضع فى كل منها ألفا شرنقة، وأرسلت على جناح السرعة فى الصيف الماضى إلى أصحاب بساتين الخوخ المغمومين، فظهرت ملايين من الزنابير فى البساتين ، وجعلت تطير بين الأشجار ، تصطاد يرقات حشرة الفواكه الشرقية ، فكفّت من خطر هذه الآفة .

ومنذ أن شنت كاليفورنيا حربها على آفات الحشرات، أنفقت مليون ريال أو أكثر للبحث عن حشرات تفتك بغيرها من الحشرات ، وقد قال أحد المزارعين يصف ما تمّ : « كان ما أنفقناه على الحشرات خيراً وبركة »

## تصحيح خطأ

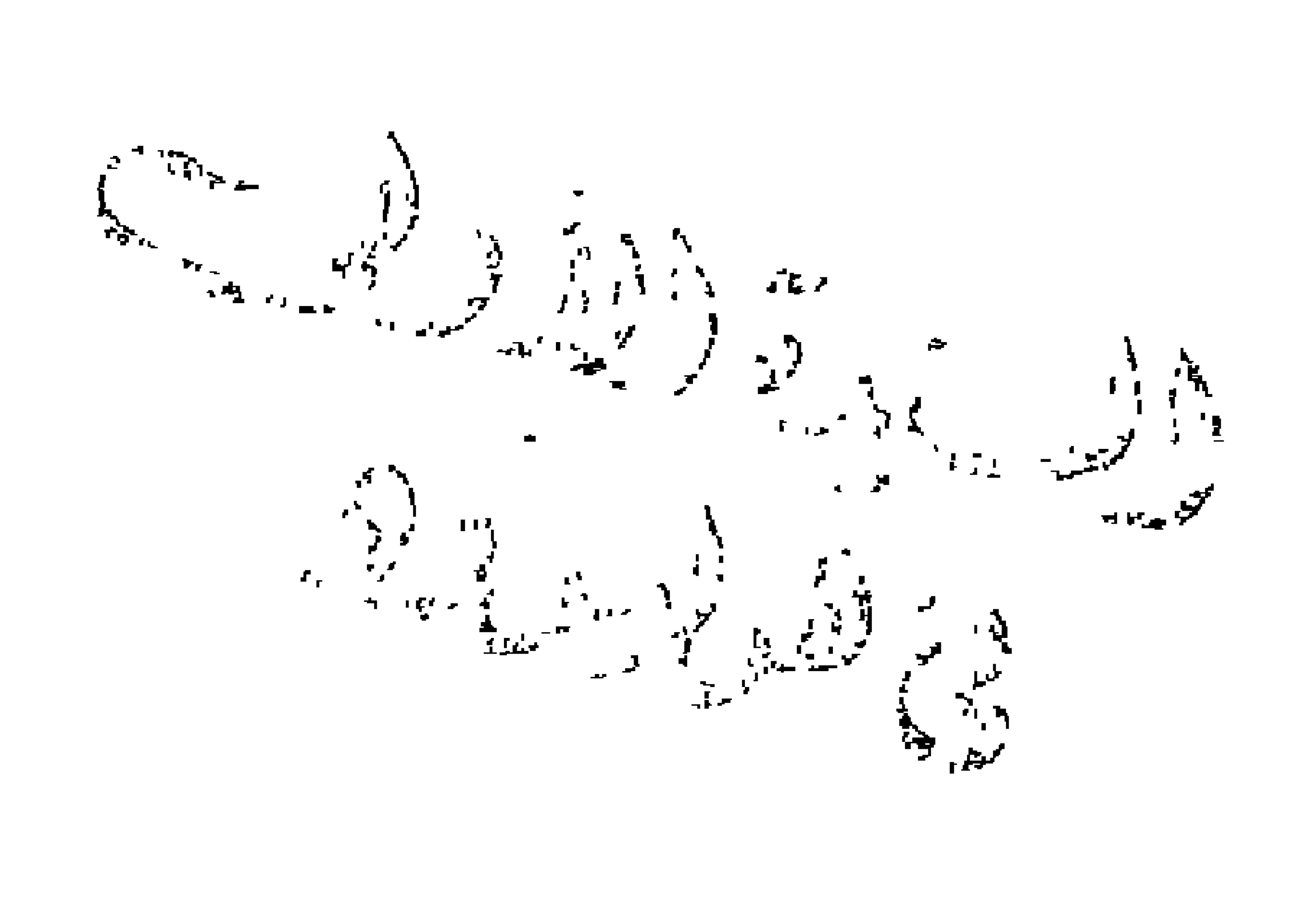
دُعى المخترع إديسون ذات ليلة إلى مأدبة عشاء أقيمت لتكريمه . فلما فرغ المدعوون من الأكل، وقف رئيس المأدبة ليلقى خطاباً فعدّد فيه مخترعات إديسون الكثيرة ، وأسهب فى وصف « الآلة المتكلمة » . ثم وقف المخترع الشيخ وابتسم وقال مترفقاً : « أشكر السيد الكريم على ما تفضل به ، ولكننى حريص على أن أصحح خطأ واحداً وقع فيه . إن الله عزّ وجلّ هو الذى صنع الآلة المتكلمة ، أما أنا فقد صنعت الآلة الأولى التى تستطيع أن تكفّها عن الكلام » .

[ لويس سوبول ]

## مشقة العمل

شكا فلاح مشاق العمل فى زراعة الطباق ، فأعربت له عن عطفى ووافقته على ما قال ، فقال : « اسمع يا بنىّ، ليست المشقة فى العمل ، بل فى أن تعرف ما ينبغى أن تعمله ، ثم فى إجهاد عقلك حتى تنفتق لك حيلة تجنّبك عمله » .

لم ارتفعت إنجريد برجمان إلى القمة بين نجوم السنما ؟



دونالد كلروس بيتى

كانت إنجريد فى الثانية عشرة من عمرها يوم أخذها أبوها لتشاهد تمثيلا على المسرح ،فكان ذلك أول عهدها به . فما أتيح لها من قبل أن تشهد مسرحيـة تمثَّل ولا فلماً يعرض . فلما ارتفع الستار تحرَّكت على خشـبة المسرح مخلوقات كالمخلوقات التى كانت تتراءى لها فى الخيال وإذا المسرح يجسّم لهـا أمام عينيها أحياءً كالأتراب الذين كانت تتخيلهم كل يوم وتلعب معهم ، والأحاديث التى تلقيهـا عليهم ، والمغامرات التى تشاركهم فيها ، فوثبت الفتاة من مقعدها وأشـارت بإصبعها غير عابئة ولا خجلة وصاحت : « هـذا ما أريد أن أصنع » .

ففى تلك اللحظة ولدت ممثلة عظيمة — إنجريد برجمان التى مثلت فى طائفة من أشهر أفلام السنما فى السنوات الأخيرة ، مع أعظم الممثلين . ولن ينسى الناس دور « ماريا » الذى مثلته مع جارى كوبر فى فلم « لمن تدق الأجراس ؟ » ، فهذا الدور فى رأيى هو أشق الأدوار التى عرضت على ممثلة وأعظمها. ولم تكد إنجريد برجمان تمثـل فى طائفة يسيرة من الأفلام ، حتى أجمع أهل الرأى على أنها صارت السيدة الأولى فى هوليوود. فإنجريد برجمان ليست فنانة عظيمة وحسب، بل هى سيدة عظيمة أيضاً .

والفنُّ العالى ليس دائماً هو الطريق المهـد إلى القمة فى هوليوود . وبعضهم يرى أن الوسيلة التى تتيـح لممثلة أن تجذب جماهير المتفرجين حتى تحتشـد بهم دور العرض، إنما هى أن تكون ذات فتنة وجمال، وأن يكون لها صدر ناهد وساقان ساحرتان، وأن تأتى موجـةٌ من الحرّ تدفع الناس زرافات زرافات إلى أن يلجـأوا إلى دور السنما المبرّدة . وأية غادة كانت خليقة بأن تحتفظ بجمالها وفتنتها لو هى هيِّئت لتمثل

دور «ماريا» فى ذلك الفلم . ومع ذلك رأينا إنجريد برجمان ، وقد قص شعرها ، وحيل بينها وبين تحسين وجهها وتصنيعه ، مرتدية قميصاً رثاً وسراويل مهلهلة ، تمثل دور بائسة شردتها الحرب ، فإذا الجماهير المحتشدة فى دور العرض تشهد ذلك الفلم ثلاث ساعات متواليات وقد أخذ الإعجاب منها كل مأخذ. وليس ذلك أثراً من آثار فتنة المرأة ، ولا من آثار التسلية البارعة ، إنه ضرب من التمثيل يسرك فى شيخوختك أن تذكر لحفدتك معجبًا مزهوًّا أنك كنت ممن شهده .

وإرنست همنواى ، مؤلف الكتاب ، هو الذى اختار إنجريد برجمان لدور «ماريا» ولم يرض بها بديلا ، وكذلك فعل جارى كوبر . ولكن هوليوود كانت يومئذ لا تزال غافلة عن مواهب إنجريد برجمان ، فأسند الدور إلى ڤيرا زورينا الراقصة الجميلة ، فقص شعرها ، وبدأ الإخراج ، وإذا أهل الحل والعقد قد أدركوا أنهم أخطأوا ، فاستدعوا الممثلة الوحيدة التى كأنما خلق لها هذا الدور ، أو خلقت هى له .

وبرجمان تأبى أن تحضر الحفلات الفخمة التى تعرض فيها أفلامها أول ما تعرض ، ولكنها تطلب أن يعرض عليها الفلم عرضاً خاصاً قبل توزيعه ، حتى تشاهده مشاهدة من يدرس ويتأمل . فلما رأت فلم «الأجراس» خرجت والدموع تنحدر على خديها ، وقالت : « ما أعظم إرنست همنواى من كاتب ! »

وقد حيرت إنجريد خبراء هوليوود بما اتصفت به من شمائل تخرجها من زمرة الممثلات المتكلفات ، فهى أبداً على سجيتها . فترى المخرجين يعروهم الذهول حين يسمعونها تشدد النكير عليهم لما يتكبدونه من نفقة باهظة على ملابسها ، أو على تصوير المشاهد نفسها مرة بعد مرة ، أو على إضاعة الوقت سدىً . فهى غاية فى البساطة ، فلا يفهمها سوى الجماهير من الناس . ولما ذهبت زوجة شانج كاى شك إلى هوليوود وقدمت لها نجوم السنما ، حرصت كل واحدة منهنّ على أن تقبل مختالة فى أبهى حللها ، وهى تدرك أن هذا يوم فى العمر ، وكلهن فعل ذلك — سوى إنجريد برجمان ، فلم تلبس قبعة ، ولا تختمت بخاتم ، ولا صبغت أظافرها ، وكانت فى حذاء قصير الكعب وثوب رمادى بسيط ، فابتسمت للسيدة الزائرة وصافحتها مصافحة المودة بين صديقين .

وإنجريد تدأب على العمل ، حتى لتراها ترهق أقوى الذين يعملون معها . وقد ضربت فى مكاتب الإخراج رقماً قياسياً

لم يدركه أحد من قبل ولا من بعد ، فقد ظلت تعمل مئتي يوم متوالية ، وهي عرضة لمصابيح الإخراج القوية الحارة . ولم تكد تنتهي من التمثيل في فلم «الدار البيضاء» حتى انتقلت توًّا إلى التمثيل في فلم « الأجراس » الذي مثل في منطقة جبليـة وعرة ترتفع ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وقد كانت إنجريد هي الوحيدة التي لم يتعب رئتيها توقُّل الجبال . ثم صنعت فلماً في الشتاء في إحدى الولايات الشمالية ، فأصيب كل من في الجماعة بلذعة البرد والصقيع ، إلا هي — فهي ابنة الشمال . وقد كان يسرُّها أن تنتقل للتصوير متزحلقة على الثلج من مكان إلى آخر .

وهي تنصرف من عملها في الساعة السادسة مساءً حين تكون في هوليوود ، فتركب سيّارة رثة قديمـة ، ويسرُّها أن تركبها حتى لا يلتفت أحد من الناس باله إليها ، وتمضي إلى بيتها وهو شقة صغيرة ذات خمس غرف ، ولن تجدها مذكورة بين المعالم التي ينبغي لضيف هوليوود أن يزورها ، حين يهبط تلك المدينـــة للتفرُّج على النجوم ومنازلهم . فإذا دخلتْ بيتها صارت « مسز بيتر لندستروم » ، زوجة طبيب سويدي شاب ، وأمَّ فتاة بلغت اليوم السنة الثامنة من عمرها. وهي تدير منزلها أحسن إدارة، وقد ظلت ابنتها حتى السنة الرابعة من عمرها وهي لا تدرى أن أمهـا كوكب لامع من كواكب السنما .

ولا تكاد مسز لندستروم ترسل ابنتها إلى المدرسة في الصباح ، حتى تركب سيّارتها الرثة ، وإذا هي مرة أخرى إنجريد برجمان، التي تتفتح أمامها أبواب الاستوديو ، فتمضي إلى قمة الأكمة . وتصف ما تشعر به فتقول : « أنظر في ضوء الصباح الباكر فأرى الاستوديوهات العظيمـة هناك ، فأحدّث نفسي فأقول: ما أسعدني وما أعظم حظي ، إنني لا أكاد أصدق — فقد تحققت جميع أحلامي » .

وقد كادت أحلامها هـذه تخنق خنقاً وهي في سن المراهقة . فقد يتّمت فمضت لتعيش مع جماعة من أقاربها ، فكانوا جميعاً يهزأون بهـذه الفتاة الحيِّية التي تطمح طموحاً قويًّا إلى أن تصير ممثلة . فكانت تلجأ إلى الأسطوانات القوية تديرها حتى تخفي ما تمثـله في غرفتها من المشاهد والمسرحيات . وهي تقول : « إن الإلقاء والتمثيل وسط هذه الجلبة علمني كيف أحصر انتباهي في دوري الذي أمثله » . وهي ذات ذاكرة خارقة ، وقدرة على حفظ دورها حفظاً سريعاً .

فلما بلغت إنجريد السنة السابعة عشرة من عمرها تجرأت فأعربت عن عزمها على

أن تشترك فى مباراة مدرسة التمثيل فى استكهلم عسى أن تظفر بجائزة تتيح لها أن تدرس فن التمثيل فيها . فأذن لها عمها أن تفعل، وهو يرجو أن تخرج من ذلك بعبرة تنفعها . ويتمُّ الامتحان أمام ممثلى المسرح الملكى السويدى ، ويطلب من كل مشترك فيها أن يمثل طائفة من المشاهد ، ثم يتلقى فى ظرف مختوم رسالة تصرفه عن المسرح أو تدعوه لامتحان ثان .

ولم تكد إنجريد برجمان تبدأ تمثيل الدور الأول حتى قال المحكمون : « كفى ! كفى ! تفضلى بالنزول عن المسرح » .

وهى تقول : « كانت تلك اللحظة أسوأ لحظة مرّت بى. فلم أنتظر حتى أتلقى الرسالة، بل هرعت إلى البيت ، وأوصدت باب حجرتى علىّ ، وأخذت أبكى » .

وفى اليوم التالى تحدّث بالتلفون متحدث من مدرسة التمثيل يسأل لِمَ لم تأت إنجريد للامتحان الثانى، ذلك بأن المحكمين اكتفوا بأن يستمعوا إليها دقيقتين وحسب ليحكموا بأنها قد أحسنت .

وكان من النادر فى المسرح الملكى أن يعهد إلى الطلبة الطارئين على الدرسة بأدوار حتى تتاح لهم فرصة كافية للتدرُّب أدقَّ تدرُّب على التمثيل . أما إنجريد فقد بلغ من إتقانها وإجادتها أنهم ما لبثوا حتى جعلوا يطلبونها للتمثيل فى السنما . ومع ذلك فإنها لم تنصرف عن دراستها حتى تخرّجت من المعهد . وكانت إذا طلبت شيئاً من الراحة بين الدراسة والتمثيل توأمُ المسرح ، وكان يرافقها إليه طالب طبٍّ وسيم هو بيتر لندستروم ، وقد تزوجا سنة ١٩٣٧ يوم بلغت الحادية والعشرين من عمرها ..

ولم يمض على زواجهما وقت طويل حتى رأى دافيد سلزنك فى لندن الفلم السويدى الذى مثلت فيه وكان اسمه « إنترمزّو » ، فبعث من فوره رجلا يمثله إلى السويد ، وتمّ الاتفاق، فأبحرت إنجريد إلى نيويورك فى سنة ١٩٣٩ . وهى تقول إنها أحبّت أمريكا منذ وقع نظرها على تمثال الحرية فى مرفأ نيويورك ، وأن ما رأته من مبان شاهقة ، ومصاعد مسرعة صعوداً ونزولا ، وأنوار متلألئة ،وغيرها من أدوات الترف التى يفرح بها قلب الأمريكى ، كانت كأنها لعب فى ذلك العالم الذى تروده مخيلة الأطفال .

وكذلك رأت هوليوود ، لكنّ نفسها لم تطر شعاعاً لما رأت، فلما ألحّ عليها سلزنك بأنه ينبغى أن تستبدل اسمها باسم آخر أدعى إلى الشوق والفتنة قالت : « إنه اسم حسن وأنا أحبه ، فإذا أخفقت هنا كان فى وسعى أن أعود إلى السويد فأظل فيها ما حييت إنجريد برجمان » .

ثم أقبل عليها رجال التصنيع والتطريف، ولكن إنجريد طردتهم من مقصورتها ، فلبشرتها لون طبيعى بين الورد والجمر ، ولا تريد أن تزيفه ، فإذا أرادت شيئاً من الزينة صنعتها بيديها كما علموها أن تفعل فى السويد . ثم جاء المصورون الذين تتخذ صورهم للإعلان عن الممثلة ،وطلبوا منها أن تكشف ساقيها ليصوروها،فقالت إنها ليست راقصة. أفترضى إذن أن تظهر لهم فى مواقف مغرية وهى لابسة ثياب السهرة التى تكشف عن محاسنها ؟ كلا ، إنها تأبى أن تفعل شيئاً سوى أن تلبس ما ألفته من ثياب، وقد أبت أيضاً أن تسمح لأحد أن يتوسل باسمها أو صورتها للإعلان عن شىء أيًّا كان .

وهى قليلاً ما تغشى مجتمعات هوليوود وحفلاتها ، وتحب أن تتجاذب أطراف الحديث مع أناس لا تعرفهم ولا يعرفون من هى ، وتراسل من يهمها أمرهم منهم، ومن هؤلاء سائق سيارة أجرة .

إذن هذه هى إنجريد برجمان المرأة — تسيل رقة ولطفاً وإخلاصاً وحبًّا للناس . ولكن إنجريد برجمان الممثلة لا تسمح لها أن تتخذ هذه الصورة فى عيون الناس . فقدرتها على التمثيل،مهما تختلف أدوارها، لا تضارعها قدرة ممثلة أخرى . فقد مثلت دور خادمة انتهك عرضها فى فلم « ليليوم » ودور بغى فى فلم « الدكتور جيكيل ومستر هايد » ودور الخلاسية المغامرة فى فلم « نفق ساراتوجا » ودور الزوجة المضطهدة فى فلم « غضب من السماء ». ولو خيرت بين المسرح والسنما لما فضلت أحدهما على الآخر ، بل تريد أن تجنى من الشجرتين أشهى ثمارهما . وأعظم ما تطمح إليه فى حياتها أن تمثل دور جان دارك ، وهى تمثله اليوم فى أحد مسارح نيويورك . وأنت ترى نجوم التمثيل تمر وتتلاحق على المسرح والشاشة البيضاء ، ولكن ملك إنجريد سيدوم زمناً طويلا ، بل إن فنها سيظل حيًّا بعد أن تفقد رونق شبابها . وهى تقيم الدليل على ذلك دون وعى منها فتقول مع أنها لا تزال دون الثلاثين : « لا أطيق أن أصبر حتى يبلغ منى الكبر ، فإذا جاء ذلك اليوم فسوف أجد بين يدىّ أدواراً كثيرة لا أستطيع أن أجيد تمثيلها إلا يومئذ » .

## ذهول

لقى الأستاذ الذاهل ابنه ذات صباح فى أرض الجامعة فقال : « صباح الخير يا بنى ، كيف حال أبيك ؟ »

يحاول العلم أن يحل مشكلة من أعقد مشكلات الحياة

# لغز الشيخوخة

جورج و. جراى

مختصرة من مجلة "هاربرز"

**منذ** مئة سنة سئل الدكتور أليفر وندل هومز كيف يستطيع المرء أن يعمر فقال: « قبل أن تولد ببضعة أعوام اطلب ما تريده من أبوين ينتمى كلاهما إلى أسرة من المعمَّرين ».

ويوم قال هومز ماقال، لم يكن لديه سند علمى يستند إليه، بل بنى رأيه على المشاهدة وحدها، أما اليوم فتجد أدلة كثيرة تؤيد ماهدته إليه بصيرته النافذة. فقد عنى الأستاذ ريموند برل وأعوانه من أساتذة جامعة جونز هبكنز، بجمع تاريخ الأصلاب التى تحدر منها ٣٦٥ شخصاً من الذين بلغوا التسعين أو تجاوزوها، فوجدوا أن متوسط أعمار آبائهم يزيد مابين ١٢ سنة إلى ١٧ سنة على أعمار آباء سواهم من الناس. وقد وجدوا رجلا بلغ المئة، فإذا هو منحدر من صلب أبوين عاش أحدهما ٩٧ سنة والآخر ١٠١ سنة. أما أجداده الأربعة فعمروا إلى ١٠٤ سنوات و ٩٨ سنة و ١٠٦ سنوات و ٩٣ سنة. فقال الأستاذ برل إنه مقتنع بأن الأفراد الذين يبلغون التسعين من العمر هم جماعة اصطفتهم الطبيعة بحسب ناموس بقاء الأنسب، فهم يعمرون لأن لهم « كياناً أقوى من كيان سواهم وأشد مقاومة للعدوى ».

إن تقدم علوم الطب كان محصوراً على الأكثر فى الأساليب الخاصة التى ترجىء الموت. فآجالنا اليوم أطول من آجال أسلافنا، ولكن آلة الجسم البشرى تبلى فى آخر الأمر. ولو أتيح لامرىء أن ينجو من جميع الآفات والعلل، لما كان له مفر من أن تهلكه الشيخوخة.

بيد أن فريقاً من العلماء يشكون فى أن أحداً من الناس قد هلك من جراء الشيخوخة وحسب. وقد شرّح الأستاذ الدكتور هوارد كارزنر ١٩٠٠٠ جثة بعد الوفاة، فلم يعثر على حالة واحدة كان مردّ الموت فيها إلى الشيخوخة وحدها. ومادام عدد كبير من الشبان بل من الأطفال، يصابون بالسرطان وتصلب الشرايين واضطرابات القلب وغيرها من العلل التى اصطلحوا على تسميتها « باسم أمراض الانحلال »، ففى وسع الكاتب أن يقيم حجة على أن الشيخوخة لاتنشىء هذه الأمراض،

وإنما تزيد الشيخوخة احتمال الإصابة بها . فكلما زاد مدى العمر، زاد احتمال التعرض للجراثيم أو الحوادث التي لابد من حدوثها حتى يأتي الموت في أعقابها ، فالناس لايموتون وإنما يقتلون قتلا .

وقد لاتكون الشيخوخة شيئاً سوى نتيجة صراع يدوم مادامت الحياة ، بين البدن وبين المكروبات والسموم والجوع والإجهاد . فإذا صح هذا الرأي لم يكن هناك ضرورة بيولوجية للشيخوخة ، وصار في الوسع أن يكون أجل الناس أطول مما هو الآن، وأن يظلوا ممتعين بالصحة .

وقد أخذ رجال الطب يتوفرون على دراسة مسائل الشيخوخة ، فقد نشر في سنة ١٩٣٩ كتاب جامع عنوانه « مسائل الشيخوخة من ناحية الطب » ، وقد اشترك في كتابة فصوله ستة وعشرون من أكابر الأطباء ، فكان نشره مرحلة ذات شأن عظيم في دراسة هذه المشكلة دراسة منظمة. وفي سنة ١٩٤٠ اشترك عشرون من علماء الطب والحياة والكيمياء في إنشاء نادي البحث في الشيخوخة ، وهم يجتمعون في مواعيد منتظمة ليتذاكروا في نتائج تجاربهم وليخطوا للبحث طرقاً جديدة . وفي السنة نفسها بدأت مصلحة الصحة العامة في الولايات المتحدة أبحاثها العلمية في هذا الموضوع ، وحذت حذوها معاهد شتى .

والذي يطلبه أهل البحث في الشيخوخة ليس زيادة الأجل وحسب، بل ضمان الصحة أيضاً للمعمرين . وأكثر الذين تهولهم الشيخوخة إنما يخشون ما يصاحبها غالباً من ضعف — كتبلد الحواس، ووهن العضلات، وتصلب المفاصل . فهل تكون هذه الآفات شيئاً لامفر منه ؟

كان في معهد ركفلر كلب يبدو عليه كثير من آيات الضعف في الشيخوخة، فقد كان واهن القوى لايكاد يقوى على الوقوف والأكل ، فعزم الدكتور ألكسيس كاريل أن يرى مايكون من أمره لو دفع في عروقه دماً جديداً . فأجرى عليه سلسلة من الجراحات أزال فيها نحو ثلثي الدم من عروق الكلب، وفصل الكريات الحمر عن المصل، وخلط هذه الكريات الحمر بمحلول يحتوي على الأملاح التي توجد عادة في الدم، وحقن هذا الدم المجدد في عروق الكلب . فلما برىء الكلب من غشية الجراحات ، راح يعدو وينبح ، بعد أن قضى سنوات لايعدو ولاينبح ، وبرقت عيناه، ونشطت أجفانهما وبدأ شعره ينبت . وأهم من ذلك كله أن الكلب استرد قوته بعد الكلال ، وصار عرضة للافتتان بمحاسن الإناث — فقد بعث الكلب بعثاً جديداً .

ومضى الدكتور كاريل فى تقصى الموضوع بالأسلوب الذى ابتـدعه لزرع الأنسجة ، وهو الأسلوب الذى أتاح له أن يحفظ الحياة على بَضْعة من قلب فرّوج خمساً وعشرين سنة، مكتفياً بإبقائها مغمورة فى سائل مغذٍّ .
وقد وجد أنه إذا أضاف دماً أُخذ من قلب فروج إلى هذا السائل، لم يحدث تغيير يذكر فى نمو النسيج، ولكن إذا أضاف إلى السائل دماً أخذ من دجاجة كبيرة ضعف نمو النسيج، وضعف نموه يزداد أو يقل تبعاً لعمر الدجاجة

ورأى الدكتور كاريل أن بطء اندمال الجروح فى الشيـوخ إنما هو أثر من آثار شيخوخة الدم. غير أن الاقتصار على استبدال المصل القديم بمصل جديد لايغنى وحده : لأن الأنسجة الهرمة لا تفتأ تصب فى مجرى الدم هرموناتها وخمائرها وفضولها وغيرها من المواد. وقد بلغ ما صب منها فى دم الكلب فى بحر أسبوعين بعد الجراحة، مقداراً عظيماً . فعمدوا مراراً متوالية إلى استبدال المصل القديم بمصل جديد ، فلم يفض ذلك إلا إلى تجديد شبابه زمناً قصيراً سرعان ما انقضى .

ويلوح أن شيخوخة الدم ليست سوى أثر ثانوى، أو هى نتيجة لشيخوخة الأنسجة التى تصنع مئات المركبات التى تنصبّ فى الدم، بل يلوح أن عصارات الهضم فى الشيوخ تختلف عن أمثالهـا فى الشباب . فمقدار التيالين ، وهو الخميرة التى تحول النشا إلى سكر فى اللعاب ، فى رجل بلغ الثمانين لاتبلغ سوى جزء من ٣٤ جزءا من مقدارها فى شاب فى الخامسة والعشرين . فهل يدهشك أن تجد الشيوخ يشق عليهم أن يهضموا الأطعمة النشوية ؟

وفى تاريخ الطب ذكر محاولات مختلفة لتجديد الشباب ، تكاد كلها تقتصر على الغدد التناسلية . فمنـذ خمسين سنة حقن العالم الفرنسى براون سيكار نفسه بخلاصة منها وهو فى السبعين من عمره ، ولكن أثرها كان قصير الأجل ثم مات . ومن أشهر الذين حاولوا تجديد الشباب شتيناخ الذى توسل إلى تنشيط الغـدد التناسلية بربط الحبل المنوى ، وفورونوف الذى حاول تطعيم البشر بالغدد التناسلية المقتطعة من الشمبانزى . وقـد نجح العمل فى بعض الحالات وتحسنت حالة المريض الصحية وتجددت قوته الجنسية — ولكن الطعوم ذوت وذهب ما أحدثته من تغيير ، فكان تجديد الشباب شيئاً عابراً . وحقيقة الأمر أننا لو نظرنا إلى ما تم على ضوء العلم الحديث، لما حق لنا أن نتوقع أن يفضى تجديد هذه الغدد وحده إلى إطالة الأجل ، لأن عدداً كبيراً من الأعضاء يشترك فى إحداث توازن داخلى فى البدن ، هو الذى نسميه الصحة .

ترى ما الذى يغير الأنسجة مع تقدم العمر ؟

شرّح الدكتور كارزنر جثث الشيوخ المتوفين بالتهاب صمامات القلب أو شغافه ، أو بتصلب الشرايين — وهى أهم البواعث على وفاة الشيوخ — وفحص قلوبهم وشرايينهم ، فوجد آثار أمراض قديمة مهدت للالتهاب أو الانحلال. وهو يرى أن تغيرات الأنسجة التى تعزى إلى الشيخوخة، قد يكون بعضها على الأقل عواقب أمراض أصيب بها المرء فى ماضيه البعيد .

وقد وجد الدكتور جريجورى شوارتسمن أن المواد التى تفرزها البكتريا فى أثناء نموها ، تسبب ضعفاً فى أوعية الدم ، فتنشأ فيها العَلَق ( الجلط ) ، وقد يؤدى إلى انفجارها — وهى حالات تشبه ما يحدث فى إصابات السدة والنزف التى يصاب بها الشيوخ. ولعل ما تبيّنه الدكتور شوارتسمن يفضى إلى شيخوخة الدم التى وصفها الدكتور كاريل ، ويحدد ما تصاب به الأنسجة من ضرر فادح بعد تعرضها المتواتر لفضول البكتريا .

وثمة عامل آخر طالما حامت حوله الشكوك ، هو الغذاء . فقد أراد الأستاذ هنرى شرمان والدكتورة هارييت كامبل من جامعة كولومبيا، أن يطيلا عمر الحيوانات بعد تجارب دقيقة مضبوطة ظلا عشرين عاما يجربانها على الجرذان . وقد وجدا أن الجرذان التى تتغذى بطعام يكثر فيه فيتامين ا والريبوفلافين والكلسيوم ، تزيد أعمارها ١٠ فى المئة على أعمار أقرانها التى لم يعزز غذاؤها بهذه المواد. والدكتور شرمان مقتنع بأن هذه النتائج تسوّغ تطبيق هذه الطريقة على البشر . وهو يقول : « إن كيمياء التغذية فى البشر تشبه أكبر الشبه كيمياء التغذية فى الجرذان » ، ويعتقد أن إطالة الفسحة المجدية من أعمار البشر بمقدار ١٠ فى المئة أمر مستطاع ، إذا أطعمتهم طعاماً يكثر فيه فيتامين ا والريبوفلافين والكلسيوم — أى الفواكه والخضر ( ولاسيما الخضراء والصفراء ) واللبن وما يصنع منه .

ويرى الأستاذ كارلسون فى جامعة شيكاغو أن بين العوامل الوراثية التى تطيل الحياة عامل « القدرة على قهر أحوال البيئة غير المؤاتية ، أو القدرة على مطابقتها لها » — ومن تلك الأحوال ضروب العدوى ، والغذاء ، والعمل ، والسموم . فإذا عدلت هذه العوامل غير المواتية ، فربما أفضى ذلك إلى إطالة آجال كثير من الناس ، أو آجال الناس جميعاً

إن الإجهاد فى العمل ، والرياضة العنيفة ، والإرهاق العاطفى المديد ، تستهلك

قدراً من طاقة الجسم ، وتؤدى إلى تراكم فضول التعب ، فتعرقل أفعال البدن الطبيعية ، وقدرته على إصلاح ما يتلف . وليس التعب أو الخوف أو القنوط سوى نذر بأننا جاوزنا حدود السلامة .

وقد وجد الأستاذ برل أن طمأنينة العواطف ، هى الصفة البارزة فى الذين بلغوا التسعين أو المئة . قال : « إن السواد من هؤلاء المعمرين قوم يتصفون بسكينة النفس ولا يستبد بهم قلق . فقد عبروا الحياة بخطوات ثابتة متزنة معتدلة . والعمر يطول إذا قلت سرعة السير فى الحياة ، ويقصر إذا زادت السرعة » .

إن الشعور القوى الذى تجيش به النفس يطلق فى الدم مواد كيميائية تزيد خفقان القلب وتقبُّض العضلات فى جدران الشرايين الدقيقة ، وترفع ضغط الدم ، وتركز الدم فى أجزاء من الجسم دون أخرى ، وتزيد معدل سرعة الحياة ، فإذا تكرر مثل ذلك فقد يؤذى الجسم أذى لا برء منه .

وعسى أن يكون أقسى حكم على حضارتنا المندفعة الباهظة التكاليف ، أن أكبر أسباب الشيخوخة هو مخاوفنا المكظومة ، وعواطفنا المرهقة ، وميلنا الدائم إلى الهمّ والقلق .

كانت ألفاظ السباب كثيرة الورود على لسان مارك توين ، فتستنكرها زوجته أشد استنكار ، وقد حاولت أن تجعله يهجر هذه العادة الفاسدة فلم توفق . وكان ذات صباح يحلق ذقنه فجرحها ، فانهالت منه ألفاظ كثيرة بذيئة ، فما كاد يفرغ حتى أعادتها زوجته لفظة لفظة ، كأنها تريده أن يسمعها على لسان غيره عنى أن يتوب . فالتفت إليها دهشاً وقال : « تعرفين الألفاظ يا عزيزتى ، ولكن أين منك لهجة إلقائها ! »

منذ سنوات زرت بلدة هنيبال التى قضى فيها مارك توين أيام حداثته ، فدخلت ذات يوم دكاناً على قارعة الطريق ، فألفيت صاحبه شيخاً ذا لحية بيضاء فسألته : « أتعرف مارك توين ؟ » فردَّ علىّ من فوره بلهجة تنمُّ على ضيق الصدر فقال : « طبعاً عرفته ، وأنا أعرف من النكات والنوادر قدر ما كان يعرف ، ولكن الفرق بيننا أنه دوَّنها » .

كان الخفاش المصاص أسطورة للتخويف ، فإذا هو حقيقة ثابتة :

# كَهْفُ الخفافيش

دانيال مانكس
مختصرة من مجلة "كوليرز"

رأيت الخفاش المصاص أول ما رأيته مع رجل من المتخصصين فى دراسة الكهوف والخلائق التى تسكنها ، وهذا الرجل هو شارلز موهر ، الذى تتبع مأوى هذه الخفافيش إلى أقصى الشمال فى كهف لوس سابينوس فى المكسيك ، وقد وعدنى ذات يوم أن يصحبنى إلى ذلك الكهف .

كان دليلنا شيخاً من الهنود الحمر ومعه ولده ، فكنت أسمعهما يتحدثان عن الخفافيش المصاصة بلا اكتراث ، كما يتحدث الفلاح عن فراخ الصقور ، فهذه الخفافيش تهجم عليهم كل ليلة لتقتات من دماء أغنامهم وأبقارهم وخيلهم . ومن أجل ذلك ترى أهل القرى يجمعون كرام ماشيتهم وأنعامهم لتقضى ليلها معهم فى الأكواخ التى ينامون فيها ، أما سائر الحيوان فيتركونه للقدر المكتوب عليه . ومهما يكن ، فالذى تمتصه الخفافيش من دمها قليل لا يضيرها .

قال الغلام : « لقد رأيت بعينى خفاشاً يمتصّ دم ديك ، فإذا به قد أنشب مخالب جناحيه فى ساق الديك ، واعتمد بإحدى قوائمه على الأرض ، فلما مشى الديك مشى معه الخفاش وهو لا يزال ممسكا ساقه ، ولم يكفّ عن امتصاص دمه » .

وقادنا الأدلاء إلى منحدر شديد الميل يغشاه نبات متسلق له أعوادٌ كأنها حبالٌ ضخمةٌ ، فانحدرنا متسلقين فى شق مظلم ، فإذا بنا نرى فجوة واسعة تفضى إلى الكهف يبلغ ارتفاعها ٧٠ قدماً .

فظللنا ننحدر وننحدر فى ظلمات طامية لا يجلّيها إلا شعاع المصابيح التى يحملها الأدلاء ، وكان دليلنا الهندى وولده يلصقان فى الحين بعد الحين شمعة فى جدار المنحدر حتى نعرف بها طريق عودتنا . فلما نزلنا نحو نصف ميل كنا نرى هذه الأضواء الصغيرة تلمع كأنها نجوم السماء .

ثم انتهى المنحدر إلى جُرُف هارٍ يفضى إلى فجوة واسعة مظلمة ، فأخذنا حبالاً وتدلينا إلى جوفها ، وكنت أنا أول من هبط وجاء على أثرى الآخرون . فكنت أسمع

خلال ذلك جلبة يخيل إلى السامع أنها خليط من أصوات تداعى الخفافيش وصوت الماء وهو يغلى فى مرجل ، ثم إذا بى أرى شارلز قد وثب إلى جانبى وهو يقول : « هذا صراخ الخفافيش » .

هبطنا بعدئذ إلى أرض الكهف ، ثم سرنا إلى غرفة تتشعب من جوانبها مسالك متعددة ، ولم نلبث أن رأينا على إفريز فى الكهف أشباحاً صغيرة تعدو عليه وتقفز ، فلما سددت إليها أنوار المصابيح صار لها ظل طويل ، فصارت كأنها عفاريت مجنونة تعدو وتركض . ويشرئب أحدها فى الحين بعد الحين وينظر مصوّباً نظره إلينا ، بيد أنها ظلت مصغية بآذانها الضخمة لتتسمّع الجلبة التى أحدثناها فى كهفها .

وهذه الخفافيش تعدو على قوائمها معتمدة بطرف جناحيها على الأرض، فإذا هى كأسرع ذوات الأربع عدواً . فلما قربنا من مكانها أخذت طائفة كبيرة منها تعدو على أفاريز الكهف ثم تنطلق طائرة فى الجوّ ، وظلت طائفة أخرى فى مكانها كاشرة عن أنيابها الحداد ، صارخة صراخاً مفزعا . فأهويت إلى واحد من هذه الخفافيش المتحدّية وأخذته بيدى ، فظل يكافح للخلاص من يدى المستورة بالقفاز وهو يصيح من فرط الغضب. وقد تبينّ لى أخيراً أنه اقتطع من القفاز السميك قطعتين صغيرتين بأنيابه الحداد . ولو كان اقتطعهما بموسى لما كان القطع أدق مما فعل بأنيابه . وقد حاول شارلز أن يصطاد بعض هذه الخفافيش بشبكة صيده ، ولكن يخيل إلىّ أنها كانت تدرك أتم الادراك ماذا كان يبغى ، فاجتنبت شبكته بأيسر جهد .

ورأيت بعض هذه الخفافيش تعدو على الجدار القائم وهى معلقة بإصبعين طويلتين نابتتين فى طرف الجناحين . وهذه الأصابع جوارح عجيبة ، ففى طرف كل واحد منهما ظفر معقوف، ورأينا عشرات من الخفافيش متعلقة فى السقوف التى فوقنا وهى مقلوبة ورؤوسها إلى أسفل، فاغرة أفواهها ومسددة أنيابها الحداد إلينا . واستطعنا أخيراً أن نصطاد أنواعاً مختلفة منها ، ثم غادرنا الكوخ

وهذه الخفافيش المصاصة أسطورة للتخويف قد انقلبت حقيقة . ومن عادة هذه الخفافيش أن تغتذى بدم الحيوان ، ولكنها فى بعض الأحيان تغتذى أيضاً بدم النائمين من البشر، فإذا رأى الخفاش فريسته لم يحطّ عليها ، فإنه لو فعل لاستيقظ النائم فمن أجل ذلك تراه يهبط هبوطاً رفيقاً على الغطاء الذى يتغطى به ، ثم يثبُ برفق معتمداً على أطراف جناحيه ويزحف ميمماً شطر وجه النائم ، وهو يفعل ذلك بأدق الحذر وأتمه .

ثم يختار من فريسته أوفق مكان لما يريد بحيث يكون قليـل الأعصاب كثير الدم ، كشحمة الأذن أو أرنبة الأنف. ثم يقرص هذا المكان برفق ، فإذا ذاده النائم عنه ، قفز الخفاش متراجعاً وانتظر صابراً حتى تستغرق فريسته فى النوم ثانية ، ثم يجرب هذه التجربة فى مكان آخر .

فربما جرب ذلك فى مواضع كثيرة حتى ينتهى إلى مكان لا يشعر فيه النائم بمس أنيابه الحداد ، وبعدئذ يفتح فاه أوسع فتح ، ثم يضرب بأنيابه الحداد ضربة سريعة تقطع الجلد كأنما قطع بموسى حادة .

والخفافيش لا تمتص الدم من الجرح ، بل تلعقه بلسانها كما تفعل القطط وهى تلعق اللبن . وكأنها تعرف أحسن المعرفة كيف تفصد عروق الدم حتى يظل الدم سائلا منها لا ينقطع ، ويظل الخفاش يلعق الدم حتى يمتلىء جوفه امتلاء يجعل الطيران أمراً شاقاً عسيراً.

ومع ذلك فليس الخطر الذى يهـدد الإنسان هو مقدار الدم الذى امتصه ، بل ما ينقله الخفاش أحياناً من جراثيم الأمراض كالحمى الصفراء وداء الكلب ، وقد روى بعض الهنود الحمر أن داء الكلب الذى حملته الخفافيش مرة أخرى قد تفشى مرة فى بعض مناطق جنوب المكسيك ، فأفنى نحو تسعين فى المئة من الماشية ، فقـد جاءت الخفافيش مسعورة ، وأخذت تعض كل شىء تلقاه فى طريقهـا ، وقد مات فى جزيرة ترنداد وأرض بناما ناس كثيرون من عضة هذه الخفافيش المسعورة .

يقول الدكتور ألفريد جيرون ، وهو أشهر الثقات فى شئون الخفافيش : « ربمـا كانت هذه الخفافيش بلاء شديداً ، غير أن استئصالها يحتاج إلى جهد فادح » .

كان تكرى كلما مر بالبيت الذى كتب فيه روايته « فانيتى فير » يرفع قبعته إجلالا . أما شارلز لام فحضر الحفـــلة الأولى التى مثلت فيها إحدى مسرحياته ، فكان هو أشد النظارة المستنكرين صفيراً .

إذا تحدثت المرأة عن ماضيها فهى تريد التوبة منه ، أما الرجل فإنه إذا تحدث عن ماضيه فإنه يريد التبجح به .

# هل الحب وحده كاف ؟

لودفيج لويسن

مختصرة من مجلة "هاربرز"

**الحب** ولا ريب أجمل العواطف الإنسانية وأسماها ، وقد بلغ من صدق هذا الرأى أنك ترى كثيراً من الناس يعتقدون أن الحياة الطبيعية المطمئنة يمكن أن تنال بالحرص على بقاء هذه العاطفة حية نابضة . ولكن من منّا لم ير عشرات من علاقات الزواج ، ولا سيما ما كان منها بين المثقفين، قد انفصمت وأعقبت حسرة وألماً، ولا أقول بغضاً وسباباً ؟ وكل ذلك لأن هذه العلاقة نشأت بين الزوجين وهما يظنان أو يعتقدان أن الحب وحده كاف لتوثيق ما بينهما.

والحب ليس غاية فى نفسه ، بل هو وسيلة وسبب إلى غايات كثيرة . ومن الممكن أن تجدّد نشوته السامية بين الحين والحين بين الزوجين ، ولكن لا سبيل إلى ذلك إلا بين زوجين . وذلك لأن الزواج يحدث بينهما ضروباً مختلفة من الرغبات ، سوى الرغبات الجنسية والعاطفية الخالصة، يستطيع كلا الزوجين أن يجعلها لساناً ناطقاً بما انطوى عليه قلبه من حب ، ودليلاً على توثق العلاقة التى بينهما ، وهذه الرغبات المختلفة المستقرة فى نفسهما وإحساسهما انهما حليفان يكافحان معاً دنيا بأسرها ، تيسر لهما أن يستريحا فى الفينة بعد الفينة من جهد العلاقة الجنسية المجردة ، وأن يتيحا لنشوة العاطفة أن تجدّد نفسها .

ولكن من البين أن هذا التجديد لا يمكن أن يتم بين متعاشرين لا تربط بينهما عقدة الزواج . فإن هذين المتعاشرين اللذين ضحيا بكل شىء فى سبيل هذه المعاشرة ، سوف يستبدُّ بهما الخوف أن يكون حبهما قد أخذ يذبل ويموت . ثم ينقلب هذا الخوف إلى شعور بالضعف فى العلاقة الجنسية، ثم يعقب هذا أن يسأل كل منهما نفسه : أترانى أصبحت أعجز من أن أرضى أحداً أو أفتن أحداً ؟ وهذا السؤال هو أقصر طريق يفضى بالمرء إلى أن يلتمس تحقيق قدرته الجنسية بالبحث عن حب جديد ، وبذلك تنفصم أواصر تلك العلاقة الأولى . بيد أن العلاقة الجديدة التى تنشأ بين إنسانين هذا شعورهما ، سوف تنفصم أيضاً ولا ريب ، وكلاهما سوف ينتهى إلى سن الشيخوخة وهو وحيد منبوذ تأكل قلبه الحسرات .

ومن منا لم يعرف ، كما عرفت ، زوجة

فى ريّق الصبا والجمال ، قد أبت على علاقتها بحليلها أن تنضج وتصير زواجاً حقاً ، لأن رأسها قد اكتظ بصور الحب الخداعة التى تراها فى السنما وأرادت أن تحققها فى « الحياة » ؟ ولم تجد هذه الزوجة من يقول لها إن آخر ما انتهى إليه البحث العلمى هو أن أولئك الفنانين الذين يجعلون أعضاء أجسامهم وسيلة للتعبير عن فنهم ، قد بلغ منهم غرورهم واستغراقهم فى الإعجاب بأنفسهم ، حتى صاروا أعجز من أن يحيوا حياة طبيعية مطمئنة . وأن مشاهير النجوم هنّ من شواذ النساء ، وأن شهرتهنّ تورثهنّ شعوراً بالوحدة وبفراغ الحياة وتفاهتها ، فيفضى ذلك بهنّ إلى اختلال الأعصاب ، فيلجأن إلى الخمر والمخدرات يلتمسن بها نسيان ما يعتلج فى نفوسهن .

وليس ينفع أن ننكر حقيقة ثابتة ،هى أن الإنسان حيوان ، بيد أنه على الأقل حيوان ليس كسائر الحيوان. فجميع وظائف بدنه ، ولا سيما ما كان متعلقاً بالتناسل ، مرتبطة ارتباطاً عجيباً بالمراكز العصبية العليا وبمجموع عواطفه فى الحياة . وهذا هو سر الفساد فى أمثال تلك الآراء التى يقول بها برتراند رسل، الذى يزعم أن الزواج عند عقلاء الناس قد يكون قائماً « مدى الحياة،ولكنه لا يمنع المرء من أن تكون له علاقات جنسية أخرى ».

ولندرس الآن حقائق هذا الموضوع . فالرجل والمرأة إذا أحب أحدهما الآخر حبًّا صادقاً ، يجد كل منهما فى نفسه دافعاً غريزياً يدفعه إلى أن يستأثر بصاحبه استئثاراً كاملا . وهذا الاستئثار ليس نزوة عصبية، بل هو أصل ثابت من أصول الحياة الإنسانية، وهو ينطوى على حقيقة خالدة يدركها عامة الخلق ويعمى عنها بعض كبار الفلاسفة . ومؤدى هذه الحقيقة هو أن الدوافع التى تضم بدناً إلى بدن ، تضم أيضاً شعور الرجل والمرأة وعواطفهما ضما لا فكاك منه .

ورأى الفيلسوف رسل وأتباعه من المتطرفين فى المسائل الجنسية والزواج ، خليق أن يعد رأياً فظيعاً ، لولا ما فيه من سخافة . فهو يزعم أن الزوج ، أو الزوجة، يستطيع أن يخلص للزواج ذلك الإخلاص الكامل الذى لا خير فى الزواج إلا به ، على حين ترى الزوج الآخر تنهش قلبه أفاعى الشعور بأنه لا يستمتع بالحب وما فيه من نشوات ولذات . ومن أعراض الاختلال فى أبناء عصرنا هذا ، أنك تراهم يقرأون آراء لفيلسوف فيحملونها على محمل الجد . ولو أرادت جماعة من أصحاء الناس أن تطبق تلك الآراء فى حياتها ، لأفضت بهم إلى مآسٍ دامية أو إلى مهازل مضحكة سخيفة.

ومن العجب أن يحتاج المرء إلى إثبات

هذه الحقيقة بالبرهان ! فالحكمة المستقرة فى تاريخ البشر ، والتى انطوت عليها آدابهم ودياناتهم وفلسفاتهم ، تبين مايستطيع هذا الإنسان أن يفعله وما لا يستطيع . فالأشياء المحرمة ليست شراً لأنها حرمت ، ولكنها حرمت لأنها عقيمة، ولأنها لا تصلح للبشر. وقد عرف الناس أن الرجل إذا تزوّج بعد زوجته الأولى كان أسعد فى زواجه الثانى ، لأنه يفعل ذلك وهو أنضج معرفة ورأياً . أما أن يكون متزوجاً وله خليلة فى الوقت نفسه فذلك مُنَافٍ لطبيعة الزواج،ولا يثاب عليه إحساساً بالسعادة . فالحافز إلى الزواج يوجب على المرء أن يختار لنفسه ما يؤثره ، وأن يزهد فيما لم يقع عليه اختياره . وإذن فالزواج القائم على الحب يقتضى انصراف الزوجين عن سائر العلاقات الجنسية الأخرى.

فالحبُّ الذى يدفع المرء إلى اختيار زوجة والزهد فى سواها ، يتطلب مكاناً يحقق له غايته . فإذا توثقت علاقة الحب بين رجل وامرأة ، فلابد عندئذ من أن يلتمسا مثوى لهما ، هو البيت الذى يدلّ على اتحادها، وعلى وحدة آمالهما ومآربهما .

ثم يأتى بعد ذلك ما يضمه البيت من ممتلكاتهما . فكل ما يكون فى البيت من أشياء الزوجة كدواليبها ، وستائرها التى صنعتها بيديها ، وألعاب أطفالها ، وصورها المعلقة — وكل ما فيه من أشياء الزوج من كتب على رفوفها ، أو من كرسىّ يجلس عليه ليقرأ أو يستريح ، أو حديقة يتعهدها بنفسه ، كل ذلك يصبح عند كل منهما رمزاً للحب الذى بينهما. فإن هذه البيئة التى أنشآها معاً تعبر عن ذوقهما وعن خصائص نفسهما ، وتصير رمزاً للحياة فى نظرهما .

وليس كل الناس يصلح للزواج ، وأنا لا أرى بأساً فى أن يصبح عقد الزواج أشقّ مما هو ، وأن يصبح الطلاق أسهل مماهو ، وأن يكون من خاصة شأن الزوجين وحدهما. ولن تهولنى كثرة الطلاق أو زيادته. بل الذى يهولنى أنى تدبرت كثيراً من عُرَى الزواج التى انفصمت، فرأيت أن الزوجين لم يحاولا قط أن يدركا حقيقة الزواج ، بل كل مافعلاه هو أنهما تعاقدا تعاقداً شرعيًّا يتيح لهما علاقة جنسية يرتضيانها ، وظنَّا أن ذلك حسبهما حتى تظل هذه الرابطة متينة لا يلحقها وَهَن ولا اضطراب .

بيد أنى أستطيع أن أتخيل يوماً يكثر فيه الطلاق ، وتكون كثرته دليلا على أن الرجال والنساء قد صاروا أحسن إدراكا للعلاقة التى بينهما فيكون سبب الطلاق عندئذ هو أن المتعاقدين قد اهتديا إلى علة لا يحسن تقدير خطرها أحدٌ سواهما ، وأن هذه العلّة تجعل زواجهما أضعف من أن

يكون زواجاً يرجى خيره ويطول بقاؤه .
وقد قال أحد الظرفاء من الفرنسيين : «من العسير أن تجد زواجاً كله بهجة ومتاع» . وهذه كلمة تنطوي على حق كثير ، فالزواج إذا أريد به تحقيق غايات الحيـاة ، كان فى وسع الزوجين أن يديما بهجته ومتعته زمناً طويلا . أما إذا تزوجا من أجل المتعـــة وحسب، فمصيره عندئذ كمصير سائر الحماقات، وهو أن يهدم نفسه بنفسه . فالإنسان كما قلنا حيوان يمتاز بالقدرة على الاختيار ، فإذا أراد أن يبلغ غاية ما يرضيه ، فعليه أن يسترشد بالعقل فى تعيين غاية يسعى إليها ، وأن يزهد فى كل شىء سوى ما يختاره . وهذا هو السبيل الوحيد الذى يدرك به غايته.

## الجواب اللبق

كانت مارى ملكة رومانيا ـ جدّة الملك ميخائيل ـ شديدة الإعجاب بنفسها . فأشارت إلى ذلك إحدى صديقاتها ،فروت الملكة الرواية التالية عن نفسها، قالت: «قلت ذات يوم لصديق قديم ما أشد توافقنا فى الرأى ، مع أننى لا أكاد أجد شيئاً مشتركا بيننا » فقال : « بل أجد ما لا تجدين. فجلالتك غفلت عن اشتراكنا فى شىء خطير ، فأنا أرى أنك امرأة مدهشة وأنت ترين الرأى نفسه » .

نشرت صحيفة إنجليزية ذات مرة الكلمة التالية : « رأى بعضهم أمس المصور الأمريكى ويسلر والكاتب الإرلندى أسكار وايلد يتمشيان على ساحل البحر ويتحدثان كعادتهما عن نفسهما » . فأرسل ويسلر القصاصة إلى وايلد مع رقعة كتب فيها : « حبذا لو تحرى الصحفيون الدقة فى الرواية ، ولعلك تذكر يا أسكار أننا كنا نتحدث عنى » . فأرسل وايلد برقية إلى ويسلر جاء فيها : « حقا كنا نتحدث عنك ، ولكننى كنت أفكر فى نفسى » .

كانت شوارع لنـــدن بغير أرصفة فى أيام لورد تشسترفيلد صاحب الرسائل المشهورة إلى ابنه ، فكان الذى يسير فيها حذاء جدار المبانى يسير فى أجف جزء من الطريق الوحل . وفى ذات يوم لقى تشسترفيلد رجلا مقبلا عليه حذاء الجدار ، وإذا الرجل يرفع رأسه ويقول « أنا لا أخـلى الطريق لوغد كائناً من كان» فانحنى تشسترفيلد ، وأفسح له الطريق وهو يقول : « أما أنا فأفعل» .

عشرات من المدن تلجأ إلى هـذا الرجل ليبين لرجال الشرطة فيها كيف يصان الأمن وينفذ القانون

# ممهد الطريق لكفاح الجرائم



دين جننجز

*مختصرة من مجلة "ذى بروجرسيف"*

هذا رجل مديد القامة رقيق الحاشية أبيض الشعر ، ذو عينين شهباوين تلمعان من وراء نظارتيه اللتين يطوقهما طوق دقيق من الذهب . وهو فى الحادية والسبعين من عمره ، فإذا رأيته فى بيته ألفيته يدندن على قيثارة ، أو يتصفح كتب الطهى ، أو يضع كشوفاً بأسماء الزهور فى اللغة اللاتينية ، فلا يخطر لك قط أنه من رجال الشرطة .

ولكنّ بسمة الهدوء التى تخيّل إليك أنه أستاذ فى جامعة ، تخفى وراءها عقلا متوقداً ، هو الذى ابتكر نهجاً جديداً لرجال الشرطة فى كفاح الجرائم . فبفضل ما سبق إليه هذا الرجل — أوجست فلمر — نرى الهيئات التى تعهد إليها الحكومات بتنفيذ القانون ومناضلة المجرمين ، قد صار لها معامل للبحث وسيّارات توجّه بالراديو، ومدارس لرجال الشرطة ، وجهاز يفضح الكذب حين يستجوب المشبوهون ، وطريقة نافعة للتعرف على اللصوص، وغيرها من الوسائل التى أنقذت أرواحاً كثيرة من الهلاك ، ومالاً وافراً من أن يضيع .

ومنذ عهد قريب أراد شانج كاى شك أن يعيد تنظيم دائرة الشرطة فى الصين ، فأحيل إلى فلمر ، فقال فلمر : « هذه مهمة تحتاج إلى نشاط رجل أصغر منى سنًّا، فيسرُّنى أن أوصى أحد الذين درّبتهم بقبولها » .

والرجال الذين قام فلمر على تدريبهم موزعون فى أرجاء الأرض ، فتجد بينهم رؤساء دوائر الشرطة ، أو رجال المباحث ، أو علماء معامل البحث ، أو مديرين أو مشرفين على تنفيذ القانون ، وجميعهم يسير على النهج الذى درّبهم عليه ، فقد قال منذ اثنتين وأربعين سنة : « الجريمة معركة ،

وأحسن الجيشين تدريباً ينال الظفر فيها . والشرطىُّ العادى هو الأصل فى هذا الجيش، فإذا أحسنت تدريبه، وزدت مرتبه، وقدرّت عملهُ، فإنك لن تبوء بالهزيمة » .

كان فلمر فى سنة ١٩٠٥ ساعى بريد فى مدينة بركلى القريبة من سان فرنسسكو يوم استوقفه فى الطريق رجل يدعى رتشردسن وكان يومئذ صاحب صحيفة « بركلى جازيت » ثم صار حاكماً لولاية كاليفورنيا .

قال رتشردسن : « نحبُّ أن ترشّح لمنصب « مارشال المدينة » حتى تطهر المدينة من المجرمين الذين جاءوها من سان فرنسسكو » .

فقبل فلمر ما عرض عليه بعد تردد ، وتم انتخابه . وكان مكتب مدير البوليس حجرة رثة قائمة وراء دار المطافىء ، وكان فيها دفتر مهلهل سجلت فيه أنباء الجرائم . فعين فلمر ثلاثة رجال وكساهم كسوة رجال الشرطة ، وعهد إليهم أن يضعوا له نظاماً للبطاقات تسهل العودة إليها عند الحاجة إليها. ثم اشترى دراجات لرجاله، فصاروا أول قوة من رجال الشرطة تتحرك على عجلات .

وكان فى مدينة لوس أنجيليس رجل أقام نفسه حارساً على حيه ، فكان يوفق إلى إلقاء القبض على عدد من اللصوص يفوق العدد الذى يوفق إليه رجال الشرطة مجتمعين فى الناحية كلها . وكان قد ركب مصابيح حمراً وتلفونات صغيرة على عُمُد الشوارع فى جيرته ، فإذا تحدث أحد أصحاب البيوت بالتلفون يشكو وجود رجال مشبوهين يجوسون فى الحى ، تولت زوجته إرسال الإشارة إلى جميع الجهات بهذا النظام المبتكر لتنبيه الحراس . فقال فلمر : «هذا هو الشىء الذى نريده» . ثم أجرى انتخاب خاص، فوافق أهل المدينة على إرصاد ٢٥ ألف ريال لإنشاء نظام على مثاله ابتكره فلمر يتيح لرجال الشرطة أن يذيعوا أنباء الحوادث بأسرع ما يستطاع ، ثم أخذت به مدن كثيرة .

وكذلك تمكن فلمر ورجاله من إيقاع طائفة من المجرمين فى شركهم، وبينهم القاتل والسفّاك ولص المصارف ، وكانوا جميعاً ذوى شهرة وخطر فى إحدى المدن الكبيرة، ولكنهم نجوا من الوقوع فى حبائل رجال الأمن . وقد قضى فلمر أيضاً على أوكار المقامرة التى يديرها الصينيون ، وعلى باعة المخدرات والنشالين . فلم تكد تنقضى سنتان عليه فى هذا المنصب حتى صار معدل الجرائم فى مدينة بركلى أقلّ مما كان فى سائر المدن الأمريكية، ولايزال، وكذلك جدّد انتخابهُ بغير معارضة . فلما وضع دستور جديد للمدينة وألغى فيه منصب

«مارشال المدينة» عين فلمر مديراً للشرطة، وظلّ مديراً لها سبعة وعشرين عاما .

ودأب فلمر على زيارة السجون والمحاكم وفحص سجلات دوائر الشرطة فى المدن الأخرى ، وجاس فى عالم المجرمين ، وتعرف إلى العتاة من القتلة وكاسرى الخزائن والمبتزين ، والمحكوم عليهم ، فتبين أن معظم المجرمين لهم صورة بيّنة من العادات الرتيبة . فالمجرم رينولدز « الحافى » كان يرتكب ما يرتكب وهو حافى القدمين ، وكان يدخل البيوت من نافذة فى الدور الثانى من البيت ، فى الساعة الثالثة صباحاً ، وكان يسرق النقود ولايسرق الحلىّ ، وكان يستعمل قطعة حديد لفتح النوافذ والأبواب طولها نصف بوصة . فقال فلمر لنفسه ، لو استطعنا أن نضع فهرساً لهذه الخصائص ، لصار فى وسعنا أن نتعرف بسرعة على المجرم من آثار جريمته . فاستدعى إليه رجلا من أهل علم الإحصاء ، وصنعا أول فهرس من هذا القبيل فى العالم ، فصار يُعَدُّ الآن وسيلة لا غنى عنها فى دوائر الشرطة .

وقد أدرك فلمر فى تلك السنوات الأول أنه يواجه مع رجاله مشكلات كثيرة لم يتدربوا على علاجها ولا تأهبوا له . فقد حدث مرة أن مات رجل بعد أن أصيب فى حادثة قطار ، لأن الشرطىّ الذى شهد الحادث كان لا يعرف كيف يعقد العقدة التى تمنع النزف . وحدث مرة أخرى أن جاء حكم المحكمة ضدّ فلمر ودائرته ، لأن رجاله كانوا يجهلون ما ينبغى أن يعرفوهُ من أصول القانون وتسجيل الدليل .

فقد وجد رجلٌ ميتاً فى مدينة بركلى ويده منقبضة على زجاجة سيانيد ، فقرر الضابط الذى تولى بحث الحادثة أنهُ انتحار بيد أن فلمر ارتاب فى صواب هذا القرار فبحث الموضوع مع جاك لوب العالم بالكيميا الحيوية فقال لوب : « إذا تجرّع امرؤٌ قليلا من السيانيد مات لفوره ، واسترخت عضلاتهُ . فمن المستحيل أن تنقبض يدهُ على الزجاجة ، ولا بدّ أن يكون أحد الناس قد وضعها حيث وجدتموها » . فطلب فلمر تجديد بحث القضية ، ولكن الدليل المادىّ كان قد زال . قال فلمر : « لقد نجا مجرم قاتل ، وأدركت يومئذٍ أننا لسنا سوى جماعة من رجال الشرطة البلهاء » .

فساءه أن يبوء بهذه الخيبة ، فطلب من لوب أن يلقى محاضرة على رجال الشرطة فى موضوع السموم ، ثم استدرج غيره من الخبراء إلى المحاضرة. فجاء الأطباء والمحامون وعلماء النفس وخبراء المجاهر ، بل استدعى فلمر بعض المجرمين الذين كفوا عن الإجرام ليحاضروا رجاله . فقال : « وأهم ما تعلمناه

منهم أن المجرمين لا يبدون أبداً أنهم أهل إجرام » .

وقد صارت هذه المحاضرات بعد زمن منهجاً ينبغي لرجال الشرطة أن يتدارسوه ، وجعل بحث خريجى الجامعات على أن يتخذوا عمل الشرطة عمـلا لهم فى الحياة . فأقبلت عليه فئة من أذكاهم وأعلاهم كعباً ، وزاد عدد الذين أقبلوا عليه من خريجى الجامعات حتى اقترح على جامعة كاليفورنيا منهجاً فى دراسة الإجرام . فاجتمعت الفصول الأولى فى يوم من أيام يونيو ١٩١٦ — فكان ذلك اليوم يوم مولد الشرطى المثقف .

وكان فلمر لاينى فى البحث عن أسلحة جديدة تعزز قدرة رجاله على النهوض بمهامهم. وقد سمع ذات يوم عن تجارب أجريت فى الجيش فدلت على أن ضغط دم المجرم يتغير ساعة يستجوب. فنقل الخبر إلى شرطى شاب يدعى جون لارسن ، وإذا هذا الشـاب يستغرق مدة أسبوع كامل فى معامل الطبيعة فى الجامعة ، فلما عاد كان معه جهاز غريب الشكل زعم أنه يقيس فى وقت واحد معدل العرق المتصبب من الجسم ، وضغـط الدم ونبض القلب . وربط لارسن سيوراً حول ذراعه وصدره وقال لرئيسه: «وجه أسئلتك إلى ، ولتراقب إبرة الجهاز وأنا أجيب » .

وقبل ذلك ببضع ليال حدثت سرقة فى المنطقة التى وكل لارسن بها ، وكان هو فى تلك اللحظة يتعشى فى مطعم قريب، وهذا مخالف للقواعد المتبعة . وكان فلمر قد رآه فى المطعم ولـكنه لم يذكر له أن رآه ، فثبت الرئيس نظره فى نظر جون وقال : « لم تكن فى مركزك ساعة حدثت السرقة منذ ليال ، أليس ذلك صحيحاً ؟ »

فقال جون : « بل كنت » .

وإذا إبرة الجهاز تثب وثبـة عنيفة ، فنظر جون إليها وقد جحظت عيناه وقال : « إن هذا الجهاز ينفع فى فضح الـكذاب » . ومن سخريات القدر أن كان مخترع الجهاز أول من وقع فى حبـائله . ولم يمض زمن طويل حتى جاء طالب من المدرسة الثانوية يزور دائرة البوليس، فسحره ما رآه من هذا الجهاز الذى يفضح الـكذب ، فأذن له فلمر أن يجربه . وأنت ترى ذلك الفتى قد صار اليوم أكبر ثقة فى موضوع الجهـاز الذى يفضح الـكذب . أما لارســن فقد وضع بعد ذلك نظاماً لبصمة الإصبع الواحدة ، واشتهر فى الطب النفسى .

وكان بين فتيـان فلمر فتى آخر يدعى كلارنس تيلور ، وكان يعنى عنـاية خاصة بموضوع حوادث التصادم على الطرق . وقد لاحظ ذات يوم شعاعاً من ضوء ينعكس من شظية زجاج مدفونة فى الأسفلت على الطريق ،

فخطر له أن يصنع كرات من الألومنيوم اللامع وأن يدفنها على خط فى منتصف الطريق ، فيردّ جزؤها الأعلى النور أيا كان مصدره . وقد شجعه فلمر فوضع هذا النظام الذى ذاع الانتفاع به فى أقطار الأرض .

وفى ربيع ١٩١٤ تفشت فى مدينة بركلى موجة من الإجرام — من نهب وتدمير ، وكان المجرمون فتياناً صغاراً . فقال فلمر لرجاله المكدودين : « لن نبلغ غايتنا إذا اكتفينا بإلقاء القبض على هؤلاء الفتيان الآثمين ، فهم يلعبون لعباً يفضى إلى جدٍّ ، فيتولى بعضهم تمثيل رجال الشرطة ، ويتولى البعض الآخر تمثيل المجرمين . فلنقلب الآية ، ولنلحقهم فعلا برجال الشرطة ، ولنعط كلا منهم الشارة التى تميّزه ، ولنضع على ذراعه النطاق الذى يعطيه بعض السلطة ، فخير لنا أن يكونوا أعوانا لنا » .

وسرعان ما توافد الفتيان على مقر دائرة الشرطة — جاء خمسون أولا ثم مئة ، ثم صاروا جمهوراً صاخباً عدد أفراده ٣٠٠ فتى . وكان منهم كثيرون قد ارتكبوا آثاماً خطيرة ، وكان غيرهم ممن دأب على الفرار من المدرسة ، فقطعوا جميعاً عهداً ووقعوه بأن يحترموا الشارة التى يلبسونها ، وأن ينفذوا القانون . ومن ثم وقف الاعتداء على مركبات الشحن وعربات الفاكهة ونهبها ، وانقطع عن دائرة الشرطة سيل الشكاوى من نوافذ كسرت ، ودراجات سرقت ، وسرقات أخرى صغيرة وقعت فى المدارس والكنائس .

ثم وكل إليهم فلمر أن يعملوا فى شرطة المرور برياسة تيلور ، فكان ذلك منشأ جماعة صار لها شأن فى الولايات المتحدة كلها .

وفى تلك الأيام نبتت فى ذهن فلمر فكرة السيارات البوليسية المزودة بالراديو .

وقد دعى فلمر إلى كتابة فصل البحث الجنائى فى دائرة المعارف البريطانية ، فكتب فصلا شمل بضع صفحات دون أن يذكر نفسه فيما سبق إليه فى أساليب البحث الجنائى . وانتخب رئيساً للجمعية الدولية لرؤساء دوائر الشرطة ، فصار مكتبه كعبة لرجال الشرطة فى جميع أرجاء الأرض . وقد أرسلت إليه اسكتلنديارد ثلاثة من رجالها ، وحذت حذوه دوائر الشرطة فى طوكيو وبرلين وبراج .

وفلمر يثق ثقة عظيمة بفتيانه ، ولكن عددهم كان غير كاف يوم بدأت طائفة من المدن تسأله أن يعينها فى كفاح المجرمين . وقد حدث أن ازدادت الجرائم ثلاثة أضعاف فى مدينة لوس أنجيليس حتى هددت شركات التأمين بإلغاء جميع العقود . فذهب وفد من أهل المدينة إلى فلمر وأقنعوه بأن يتولى فيها رياسة دائرة الشرطة زمناً محدوداً .

فأمر أولا بأن يحضروا له خريطة كبيرة للمدينة ، وجعل يغرز فيها دبابيس ملونة ،

فكل لون يدل على نوع بعينه من الجرائم . فتبين أن بعض مناطق المدينة تغطيها هذه الدبابيس الملونة دلالة على كثرة الإجرام فيها، فوضع خطته ليهاجمها منطقة بعد منطقة . واختار ٣٠٠ رجل من رجال الشرطة ، وكساهم بالثياب العادية ووزعهم كما يوزع القائد رجال كتيبة من الفدائيين ، وجعل غرضهم أن ينقضوا على لصوص السيارات أولا ، وأعطاهم كشوفاً بالسيارات التى سرقت ، والسيارات المحفوظة فى حظائرها ، أو على قارعة الطريق. فما انقضت أيام حتى قل معدل ما يسرق من ٢٥ إلى ٦ فى اليوم . ثم انتقل فلمر بكتيبته إلى منطقة تكثر فيها السرقات، وأقام فيها ما يغرى اللصوص ، فترك البيوت والشقق مفتوحة غير موصدة الأبواب ، بل اشترك بعض رجاله مع اللصوص فى اقتحام البيوت ، فإذا مئات من المجرمين يقعون فى حبالته. وكان من أثر النجاح الباهر الذى أحرزه فى لوس أنجيليس أن توالت عليه الطلبات من مدن أخرى ، فما أنجز العمل فى المئة الأولى من هذه المدن حتى كان قد انتهى إلى رأى صار منذ ذلك الحين بعض دعوته إلى شن الحرب على الجريمة ، قال :

« إن دوائر الشرطة تتفاوت اليوم من الصالحة الممتازة إلى عديمة الجدوى ، ومعظم رجال الشرطة يريدون أن ينهضوا بعملهم على أفضل وجه ، ولكنهم لا يعرفون كيف يفعلون ذلك. فنحن نختار أيا كان من الرجال، ونعطيه الشارة ونقول له إنك اليوم من حماة الأمن والقانون. وليس نادراً أن يكون هو أضعف ذهناً من المجرم الذى ينبغى له أن يكشفه ويلقى القبض عليه. ولن نتقدم تقدماً مجدياً فى كفاح الإجرام حتى يتاح لكل رجل فى دوائر الشرطة أن يدرب أوفى تدريب على مهمته » .

ولا يزال الطلب يجىء فى أثر الطلب يدعو فلمر لكى يتولى تنظيم دوائر الشرطة فى هذه المدينة أو تلك، ولكنه اليوم مستغرق فى تأليف كتابه الخامس عن « العلم البوليسى » . وهو يسكن وحده فى مسقط رأسه، ويستقبل زواره من رجال الشرطة ، ويكتب عدداً عظيماً من الرســائل إلى رؤساء الشرطة والمدربين فى مدارس الشرطة فى أمريكا نفسها وفى إنجلترا والصين وغيرها . وكثيراً ما يزوره بعض المجرمين فيدور الحديث على أمور تهمهم جميعاً .

ومنذ عهد قريب ذهب أحد أصدقاء فلمر إليه حاملا طائفة من القصص البوليسية فأخذها فلمر بيده ثم ردها وقال : « شكراً ياصاحبى فلم أقرأ فى حياتى سوى قصة بوليسية واحدة ، وقد وجدتها مملة » .

# قصة شبح

لويس أنز باكر
مؤلف مسرحي ، وعضو الجمعية الأمريكية للبحوث النفسانية

مختصرة من مجلة "منادي البلدة".

هذه قصة إنذار خفي مهول أنقذ حياة رجل عظيم مشهور هو لورد دفرين الذي كان يومئذ سفير بريطانيا في فرنسا ، وكان من قبل حاكما عاما لكندا وسفيراً في إيطاليا ، ثم حاكما عاما للهند . وقد تولى ده ماتاري العالم النفسي الفرنسي الذائع الصيت تحقيق هذه الحادثة ، ثم عرضها على الجمعية البريطانية للبحث النفساني .

لبي لورد دفرين دعوة صديقه القديم السر هنري .. ليزوره في قصره في إرلندة . كانت ليلة قمراء وكل شيء هادئ ساكن وقد نضا لورد دفرين ثيابه وأوى إلى فراشه، وسرعان ما ران النوم على عينيه . وإذا به يستيقظ على حين فجأة دون أن يكون ليقظته سبب ما ، فجو الحجرة ممتلئ بشيء غريب — كأنما هو مشحون بالكهرباء ! فيحس دفرين في قرارة نفسه بهاتف من حوله ينذر بالشر ، فلم يعرف له تعليلا .

كان ضياء القمر الشاحب يملأ الحجرة ، فأنار دفرين المصابيح ، فأعانه ذلك على أن يطرد الظلال الغريبة التي ألقاها ضياء القمر على أرض الحجرة وجدرانها ، ثم انتفض انتفاضة قوية حتى يستوثق من أنه مستيقظ لا نائم حالم . ثم أشعل لفافة ودخنها وهو يحاول أن يجمع شتات نفسه ، فألفى حواسه مرهفة متنبهة تنبها عجيباً ، ولكنه عجز عن أن يكشف شيئاً يمكنه من تعليل هذا التطير الذي يملأ جوانحه .

وحدث دفرين نفسه : «حقاً لقد صرت كالفتاة الغريرة ، يستبد بي الخوف والجزع لأهون سبب ، وعلى كل حال فالشائع أن الأرواح تسكن هذه القصور الإرلندية القديمة، وعسى أن تكون إحدى تلك الأرواح قد خرجت تطوف الليلة » .

بيد أنه لا يصدق كل هذا الهراء، فليس لهذه الأوهام مكان ولا أثر في حياة الرجل من ذوي الأعمال ، وهذا فصل الخطاب .

كانت نوافذ الحجرة مفتوحة، ترى ما هذه الأصوات ؟ ربما كان ذلك صوت طائر

يرفرف بجناحيه، ولا تنسين الصراصير وضفادع الشجر. نعم — ولكن ماهذا الأنين الطويل الخافت . ليس فى الفضاء نسمة من هواء، وليس فى الشجر غصن يميل ، فلن يكون مصدر الأنين زفيف الريح فى الشجر أمام الحجرة ، ولا حفيف الستائر المدلاة على جوانب نوافذها . قد يكون بومة — فكل صوت يبدو غريباً فى هذه الليلة القمراء !

مهلا ! لقد عاد الأنين ، بل يخيل إليك أنه إنسان يلهث أو يئن، لعل أحداً أصيب بأذى . وإذا به يثب من فراشه ويذهب إلى النافذة .

كانت النوافذ كبيرة متسعة ، إذا فتحتها صارت كالأبواب ، فتفضى بك إلى المرج السندسى المنبسط أمام الحجرة ، وقد قامت على جنباته أشجار بواسق تلقى عليه ظلالا ضخمة. فوقف دفرين يحدق إلى هذه الظلال، وإذا به يرى بغتة شيئاً قد أخذ يتحرك، أما الأنين فلم يزل متصلا. وإذا شبح يخرج من الظلام حتى يغمره ضياء القمر ، إنه رجل ينوء بحمل ثقيل قد رفعه على كتفيه، وهذا الحمل يشبه صندوقا أسود، ويخفى عن دفرين وجه الرجل الذى يحمله .

لقد صار الرجل فى الرحبة التى يضيئها القمر، فيتبين دفرين أنه يحمل نعشاً ضخماً. ترى أهذا مجرم يفر بقتيل ، أم لص يفر بجثة ميت؟ فيهرع دفرين إليه ويسبقه فيعترضه ويناديه : «مهلا أيها الرجل ، ماذا تحمل فى هذا الصندوق ؟ »

وما كاد الرجل يسمع هذا النداء حتى رفع رأسه من تحت العبء الذى ينوء به ، فرأى دفرين وجهاً كأنه وجه غولة ، فيه دمامة مشوبة بالكآبة ، فتغثى نفس دفرين من بشاعة مارأى ، فيرتد خطوة ، إنه وجه كتبت عليه الآثام بحروف بغيضة ملتوية ، حتى انطبعت صورته فى فؤاد دفرين كأنما هى وسم لايزول .

ولكن دفرين قوى عزيمته وصاح بالرجل « إلى أين تذهب بما تحمل ؟ » فلما دنا من الرجل والنعش ليكفه عن المضى، اختفى الرجل والنعش من أمام عينيه ، فكأنه فى تقدمه قد اخترق الرجل والنعش كليهما ، وليس فى العشب الندى آثار أقدام، بل ليس فى الدنيا من حوله سوى ضياء القمر يسخر منه ، وهمسات الليل الغريبة المفزعة .

فقف شعر دفرين ، ولكنه أبى أن يزعج نوام القصر، فقفل راجعاً إلى حجرته ودون فى مذكراته جميع تفاصيل هذا الحدث الغريب.

فلما فرغ من طعام الفطور فى صباح اليوم التالى جعل يوجه السؤال فى إثر السؤال إلى مضيفه السر هنرى ، فعرف منه أن القرية لم تشهد فى الأيام القريبة وفاة أحد ولا دفن

أحد فى مقبرتها ، وعجز الذين سألهم جميعاً عن أن يتبينوا بين معارفهم رجلا له تلك اللامح .

وكذلك ظل مارآه دفرين لغزاً مغلقاً . ولو لم يكن لهذه القصة ذيل ونهاية لظلت وصفاً لحدث من تلك الأحداث المحيرة التى يشق تفسيرها ، ثم تصير على الأيام أسطورة من الأساطير .

وبعد ذلك بسنوات عين لورد دفرين سفيراً لبريطانيا فى فرنسا ، فدعى ذات مرة إلى حفل رسمى أقيم فى « جراند أوتيل » فى باريس ، وكان بهو الفندق مزدحماً بممثلى الدول ، فسار به سكرتيره الخاص إلى أحد المصاعد فى الفندق ، فألفى أمام بابه فئة من رجال الدولة فأفسحوا الطريق ليتقدمهم إذ كان له حق التقدم ، فمر بهم وهو ينحنى ويحيى .

كان باب المصعد مفتوحاً ، فلما هم دفرين بأن يدخله حانت منــــه التفاتة فرأى الرجل الموكل بالمصعد ، فيرتد فزعاً ! ويمد ذراعه فيمنع سكرتيره من الدخول . ترى ماذا جرى ؟

لقد رأى أمامه ذلك الوجه الذى طبع على صفحة فؤاده بخطوط من نار فى إرلندة ، فيحملق فيه فزعاً . نعم هذا هو ، فهذه هى بالملامح المشوهة المخيفــة ! ولــكن كيف استطاع هذا الوجه العابس المفزع ، وهذا البدن المربوع الذى لا يمكن أن ينسى ، كيف استطاع هذا الرجل أن يعبر السنين من أرض إرلندية موحشة فى ليلة قمراء ، إلى مصعد جراند أوتيل فى باريس ؟ وقد مرت هذه الخواطر فى ذهن دفرين كالبرق ، كما يتصور المشرف على الغرق فى لحظة خاطفة مشاهد حياته السابقة .

بيد أن دفرين السياسى رجل رابط الجأش يملك نفسه ، وما خطر لأحد رآه يومئذ إلا أن السفير البريطانى قد غير رأيه فى اللحظة الأخيرة ، إذ التفت إلى من حوله واعتذر وطلب منهم أن لايطيلوا الانتظار ، وانقلب عائداً إلى البهــو مخلفاً سكرتيره واقفاً معهم .

دخل المصعد فريق من رجال الدولة ، وأوصد الباب وأخذ المصعد يرتفع ، وهرول دفرين إلى مدير الفندق يريد أن يسأله عن الرجل الذى وكل بالمصعد ، ومن أين جاءوا به . وما كاد المدير يهم بالجواب حتى سمع الناس صوت اصطدام عنيف ، فتعالت صيحات الفزع حتى ملأت البهو والأروقة ، وإذا بسكرتير دفرين قد أقبل جاحظ العينين ، فقد حدث حادث مروّع : إن المصعد الذى انثنى اللورد عن دخوله ، المصعد الذى وكل به ذلك الرجل الذى رآه فى إرلندة منذ

سنوات قد ارتفع بركابه إلى الدور الخامس وإذا بأحد حباله قد انقطع فهوى إلى قرار البئر ، فهلكوا راكبوه جميعاً .

وحادثة سقوط المصعد مسجلة فى تاريخ باريس، وقد حفلت بأنبائها جميع الصحف فى ذلك العهد . أما الرجل الذى كان موكلا بالمصعد قد قتل مع الذين ركبوه ، ثم عجزنا بعد ذلك عن معرفة أصله وفصله. وقد تضافر رجال الشرطة السرية فى بريطانيا وفرنسا على البحث والاستقصاء ، ولكن دفرين لم يزدد علماً بما أراد .

فهذه هى الحقائق، والأدلة ثابتة لا تدحض، ولكننا لم نجد أحداً يستطيع أن يمالى الحقائق . وكلُّ ما نعلمهُ هو أن حياة دفرين قد أنقذت بهذه الوسيلة الخفية . ولست أزعم أننى أعرف كيف تحدث هذه الحوادث، وإنما أكتفى بأن أروى القصة كما وقعت

## هذه طبائع الأزواج

يسرُّ الرجل أن تسير الأمور فى بيته على ما يألف ، فمَن زوجة تستطيع أن ترضى زوجها إذا حرصت على أن تقدم له طعاماً لا يتبدّل، وقد جربت ذلك إحدى صاحباتى . كان زوجها يحب حساء الذرة فدأبت على تقديمه له كل ليلة شهراً كاملا ، فكان يحسوه متلذذاً به ، فلما أشرف الشهر على نهايته أحست هى أنها كرهت هذا الحساء ، فصنعت حساء الطماطم . فلما فرغ من احتسائه التفت إليها وقال : « عسى أن تتفضلى يا عزيزتى فتصنعى لنا فى الحين بعد الحين حساء الذرة فإنه ألذ حساء ذقته فى حياتى » .

[ كارول بيرد ]

مرضت طفلتنا عشرة أيام ، فسهرت عليها كل ليلة حتى أرهقنى التعب والنعاس ، فقلت لزوجى : عليك أن تستجيب إلى ندائها إذا استيقظت فى الليلة التالية . واستيقظتُ فى الليل على صوت ضعيف محموم ينادى : « ماما ، أريد ماء» فأيقظت زوجى النائم وذكرته بما يجب عليه ، فرفع الغطاء دون أن ينبس ، فقام وذهب إلى الحمام ، وملأ كوباً من الماء فشربه ثم أعاده إلى مكانه ، ورجع إلى سريره فنام .

[ مسز كاهد ويزمن ]

# المرأة فى حياة رجل عظيم

لديل كارنيجى

مؤلف "كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس"

**ليست** المأساة الكبرى فى حياة لنكولن هى مقتله ، بل زواجه . فإنه لم يمض طويل على خطبته لمارى تود ، حتى بدأت تعمل على صوغه فى غير قالبه ، وكانت تعد ستيفن دوجلاس ، منافس لنكولن السياسى ، مثلاً أعلى للرجال . وقد ظل مدة يتحبب إليها ولكنها لم تظفر منه بطائل . فلما بلغ منها اليأس أجمعت عزمها على أن تبذل أقصى جهدها فى الظفر بلنكولن .

## صور من التاريخ

وكانت تكره لِبْسته ، فلم يكن عنده فعلا غير حمالة واحدة لسراويله ، فإذا انقطع زر من أزراره بَرَى خشبةً وشدّ أطراف السراويل إليها ، وكانت هذه البداوة منه مما يهيج سخطها عليه . وكان يبلغ من مضايقتها لنكولن أنه كان فى بعض الأحيان يطوى أياماً لا يرى وجهها .

وفسد ما بينهما [illegible] وصار [illegible] وبان للمرء جلياً أنه لا [illegible] له . [illegible] الخطبة . وكان [illegible] يتعجب على [illegible] ليلة [illegible] إلى [illegible] الحقيقة [illegible] عاد لنكولن [illegible]

سأله سبيد : « حسن ، هل فعلت ما وعدت به ؟ »

فأجاب لنكولن مفكراً : « أجل فعلت ، ولما قلت لها إنى لا أحبها أجهشت بالبكاء وجعلت تعصر كفيها من فرط الألم . وذكرت شيئاً عن الغادر الذى يقع فى مثل غدره » ثم سكت .

« وماذا قالت أيضاً ؟ »

« أقول لك الحق ، لقد رأيت الدمع يجرى على خدى ، فأخذتها بين ذراعى وقبلتها » .

فقال سبيد : « وهكذا كان فسخك للخطبة ! »

فكان رد لنكولن : « إذا كنت قد بورطت ثانية ، فليكن . كذلك [illegible] قضى الأمر ، [illegible] أمضى فيه إلى غايته » . [illegible] وتطورت [illegible] لنكولن متمردة على هذا الزواج نافرة منه .. فمكث يجلس فى حجرته لا [illegible] رغبة فى الخروج لا إلى مكتبه ( وكان [illegible] ) ولا إلى الجمعية التشريعية فى الولاية [illegible] أول يناير ١٨٤١ ، [illegible] مغرقاً ،

وقد خرج العلية من أهل سبرنجفيلد فى أبهى الحلل فى مركبات الجليد يتبادلون الزيارة للتهنئة بالسنة الجديدة. وفى الساعة السادسة والنصف من مساء ذلك بدأ المدعوون لحفلة الزواج يتوافدون ، وفى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين جاء القسيس .

ودقت الساعة السابعة ، ثم السابعة والنصف ، ولنكولن لم يصل . . . وتعاقبت الدقائق ، ومضت الساعة متثاقلة لا ترحم . ربع ساعة ، ثم نصف ساعة ، هذا كله ولم يظهر لصاحب العرس أثر .

وفى الحجرة المجاورة مارى تود مزينة بخمار العرس تنتظر ، وهى تعبث هائجة بالأزهار التى تزين شعرها ، وكانت تغدو وتروح إلى النافذة وعينها إلى ساعة الحائط لا تتحول عنها ، ومرت ساعة أخرى فظيعة. وفى الساعة التاسعة والنصف أخذ المدعوون ينصرفون واحداً إثر واحد فى سكينة ولطف متعجبين حائرين . وقبيل أن يغيب آخرهم عن النظر [illegible] فى [illegible] صاعدة إلى غرفتها وهى تنتحب . [illegible] على لنكولن فى إمكانه [illegible] أصدقاؤه [illegible] . [illegible] يتجاهل

« مارى تود » كل التجاهل . وفى أوائل أكتوبر سنة ١٨٤٢ طلبت إليه المسز فرنسيس فى سبرنجفيلد أن يزورها فى دارها، فدخل الرجل عليها فى غرفة استقبالها وهو يعجبُ لهذه الدعوة ، فإذا به يرى عندها مارى تود .

وكثر لقاؤهما بعد ذلك ، ولكن لم يلتقيا قط إلا فى دار هذه السيدة . وفى عصر يوم من الأيام ، تقدم لنكولن وهو يتحامل على نفسه وفى قلبه مضض ، وطلب إلى مارى تود أن تكون زوجته، وكان أخوف ما تخافه التأخير، فرغبت فى أن يتم زواجهما فى تلك الليلة بعينها . وأعدّت العدة على عجل حتى إن السكر على كعكة العرس كان لا يزال حاراً لم يجمد بعد، فشق قطعها دون أن تتفتّت حين قدمت للمدعوين . وقد وصفه صديق شهد عرسه فقال : « كان كأنه يساق إلى الموت وهو ينظر ».

وبعد أن تم الزواج بقليل ، كان لنكولن وزوجته يتناولان فطورهما فى نزل السيدة إيرلى فى سبرنجفيلد ، فكان من لنكولن ما أهاج غضب زوجته [illegible] ما الذى كلفه منه [illegible] غضبت [illegible] تقذف بقدح القهوة الساخنة فى وجه زوجها على مرأى من [illegible] النزلاء ، ولم ينبس لنكولن بكلمة [illegible]

جالساً فى مكانه مستكيناً صامتاً ، وجاءت صاحبة النُّزل وجعلت تمسح وجهه وثيابه .

ثم كثرت فورات غضبها ، وازدادت حدة على كرّ الأيام . وكانت تكثر انتقاد زوجها ، ولم يكن يرضيها منه شيء : فهو مقوس الكتفين،وليس فى حركته رشاقة . وكانت تقلد مشيته، وتندد بعاداته فى الأكل وعلى المائدة .

ومنذ ذلك الحين إلى أن مات ، ظهرت عليه سِيماء حزن عميق يقصر الوصف عن بلوغ غايته . ويروى عن شريكه فى المحاماة وليم هرندون أنه قال : « كان يمشى والأسى يقطر منه » . وقد أجمع ألصق الناس به على أن علة هذا الحزن البعيد الغور هى مأساة زواجه ، فهو لم يكن يعيش فى بيت كبيوت الناس ،حتى إنه لم يدع يوماً ما أقرب أصحابه إليه للعشاء عنده . وكان هو نفسه يجتنب مارى ما استطاع ، فيقضى لياليه مع زملائه فى المكتبة . وكان يرى أحياناً فى آخر الليل هائماً وحده فى الشوارع غير المطروقة ، ناكس الرأس كئيب النفس حزيناً . وكان يقول : « إنى لأكره الرواح إلى البيت» ،فإذا كان الصديق عارفاً بدخيلة أمره فقد يدعوه إلى بيته يبيت عنده تلك الليلة .

ودخل سائق عربة ذات يوم على لنكولن يطلب إليه أن يحمل زوجته على الاعتذار إليه مما قدمته إلى من أهانة ومن ضرب . وأصغى لنكولن إلى قصته، ثم قال محزوناً : « إنى آسف لما أسمعه ، ولكن دعنى أقول لك بكل صراحة: ألا يمكنك أن تحتمل لحظاتٍ قصاراً ما لا أزال أنا ألقاه منها كل يوم منذ خمسة عشر عاماً ؟ »

ولوأن لنكولن كان تزوج آن رتلدج لكان من المرجح أن يكون سعيداً ، ولكنه لم يكن ليبلغ رياسة الجمهورية . فقد كان بطيئاً فى تفكيره وفى حركته ، ولم تكن آن رتلدج من النساء اللواتى يدفعن رجلا إلى طلب الرفعة وعلو المنزلة السياسية . أما مارى تود فكانت شديدة الطموح إلى المعيشة فى « البيت الأبيض » ، فلم تكد تتزوج لنكولن حتى دفعته دفعاً إلى الكونجرس .

فلما انتخب نائباً فى المجلس وجاءت هى إلى وشنطن لتلتحق به ، وجدت الأمر يختلف أشد الاختلاف عما كانت تتوقع . فقد وجدت لنكولن معدماً فقيراً حتى إنه اقترض من دوجلاس ما ينفقه إلى أن يتسلم المكافأة البرلمانية . ومن أجل ذلك نزل لنكولن فى نزل مسز سبرجز ، وكان الشارع غير ممهد ، والرصيف من رماد وحصباء . وكانت غرف النزل باردة الهواء

معرضة للريح ، وليس فيها أنابيب للماء . ولم يكن فى مدينة وشنطن مصلحة للنظافة ، فصارت مسز سبرجز تربى البقر والخنازير والأوز وتتركها سارحة فى الشوارع .

وألفت مارى باب مجتمعات وشنطن مغلقاً محكم الإغلاق فى وجهها ، وبقيت بمعزل عن المجتمع قابعة فى غرفتها الباردة الكئيبة تستمع إلى صبى مسز سبرجز وهو يطرد خنازير الجيران من الحديقة .

وظلت مارى على تلك الحال التى لم تتبدل حتى بعد عشر سنوات حين عاد لنكولن إلى وشنطن رئيساً للجمهورية. فقدكانت تتوقع غير مرتابة أنها ستكون واسطة العقد فى مجتمع وشنطن ، لأنها هى زوجة الرئيس ، ولكنها دهشت واستخزت حين ألفت نفسها وقد صُدّت ثانية وردت على أعقابها. وقدكان من عجزها عن كسب الحظوة عند الناس أنها كانت شديد الحسدلكل من بلغ ذلك .

وفى أثناء الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب ، وقبل سقوط رتشموند بقليل، دعا الجنرال جرانت المستر لنكولن رئيس الجمهورية وزوجته لقضاء أسبوع معه على مقربة من ساحة القتال . وكان آدم بادو — ياور الجنرال — منوطاً به حراسة مسز لنكولن ومسز جرانت ، وقد روى لنا هذه الحادثة :

« ذكرت مصادفة أن الأمر قد صدر بأن ترد نساء الضباط إلى المؤخرة — وهى أمارة تدل على أنه توشك أن تدور معركة. وذكرت أنه لم يؤذن لسيدة بالبقاء إلا لزوجة الجنرال جريفين التى نالت إذناً خاصاً من رئيس الجمهورية .

«عند ذلك هبت مسز لنكولن مغضبة وصاحت بى : ماذا تعنى ؟ أتعنى أنها قابلت الرئيس منفردة به ؟ ألا تعلم أنى لا أبيح للرئيس أن ينفرد بامرأة ؟ فاجتهدت أن أهدىء ثائرتها ، ولكنها كانت تغلى من الغيظ . فأردفت تقول : إنك تبسم ابتسامة مريبة جداً . دعنى أنزل من هذه المركبة حالا . سأسأل الرئيس هل قابل تلك المرأة منفرداً بها .

«وعبثاً حاولت مسز جرانت أن تخفف من حدتها ، بل لقد أحفظها ذلك وأثار موجدتها على مسز جرانت ، فانثنت اليها تقول : ما إخالك إلا تتوهمين أنك صائرة إلى البيت الأبيض ، أليس كذلك ؟ فما زادت مسز جرانت على أن أجابتها بأنها راضية بمكانها الراهن كل الرضى .

« وكان الرئيس وزوجته قد دعوا للعشاء تلك الليلة الجنرال جرانت وزوجته وأركان حربه ، فأثارت مسز لنكولن مخاصمة أخرى. وظل لنكولن صابراً وعليه

سيماء يتفطر لها القلب حزنا، ولـكنه حزن يصحبه وقار ناهيك من وقار . وكان يتوسل بنظرته ولهجته ،ويجتهد فى توضيح ما تعتده زوجته إساءة إليها من الناس ، ويلتمس الأعذار لهم ، حتى ثارت به كالبجرة . فقام الرجل منصرفاً ، يوارى طلعته النبيلة الدميمة حتى لا تطلع عيوننا على ما تنطق به أساريره من شقاء » .

وكانت ملكة المجتمعات فى وشنطن يومئذ هى الحسناء المشهورة« أديل كاتس دوجلاس » وهى المرأة التى تزوجت صديق مارى قبل لنكولن ، فأذكت هذه الحظوة نار الحسد فى صدر مارى، فاعتزمت أن تجذب أنظار المجتمع إليها بالثياب الفاخرة والحلى النفيسة . وتورطت فى الدين حتى بلغ سبعين ألف ريال ! وهو مبلغ يدير الرأس إذا ذكرنا أن مرتب الرياسة الذى كان يتقاضاه لنكولن لا يتجاوز خمسة وعشرين ألف ريال . ويوم كان لنكولن يجاهدفى ميدان السياسة جاداً فى طلب الرياسة مرة ثانية ، كان دائنو امرأته فى نيويورك يهددون برفع الأمر إلى القضاء . وكانت مارى تخشى أن يستغل خصوم لنكولن ديونها فى إثارة الغبار حول زوجها ، فكاد هـذا الخـاطر يذهب بعقلها . وكانت تقـول والدمع يخنقها : « إذا أعيد انتخابه للرياسة كان فى طاقتى أن أبقيه على جهل بهذه الشئون . أما إذا هزم ، فعندئذ ترسل إليه كشوف الديون ، ويعرف كل شىء » .

ولقد قال أحد المعقبين : « لم يكن فى مصرع لنكولن من خير سوى أنه مات وهو يجهل أمر هذه الديون » .

ولم يمض أسبوع على طى الرجل فى قبره حتى كانت مارى تسعى جادة فى بيع قمصانه وهى معلمة بالحروف الأولى من اسمه ، وقد أودعتها للبيع فى حانوت ، وانتهى علم ذلك إلى صديقه سيوارد ، فذهب والحزن ملء قلبه فابتاعها جميعاً .

وفى صبيحة اليوم الذى غادرت فيه مارى البيت الأبيض ، لم يحضر لتوديعها أحـد ولا الرئيس الجديد نفسه . وسافرت ومعها ولداها إلى شيكاغو ، وهناك عاشت فى بعض الغرف المفروشة . ولما تمت تصفية ما خلفه لنكولن ، بلغ ١١٠٫٢٩٥ ريالا قسمت بين مسز لنكولن وولديها بالتساوى. ثم رحلت مارى إلى خارج أمريكا وعاشت فى عزلة عن الناس تطالع القصص الفرنسية وتجتنب الأمريكيين أجمعين. وعادت مسز لنكولن إلى الاحتجاج بالفقر ، فقدمت ملتمساً إلى مجلس الشيوخ تطلب إجراء معاش سنوى قدره خمسة آلاف ريال ، فاستقبلت العريضة بالصفير من شرفة الزائرين . ثم بعد شهور

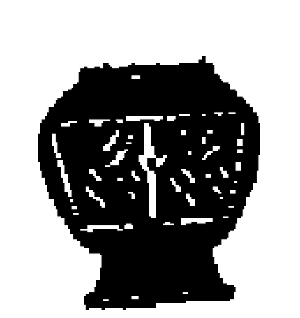
من المطاولة والاستنكار تمت الموافقــة على معاش لها قدره ثلاثة آلاف ريال فى السنة.

وعادت مسز لنـكولن آخر الأمر إلى موطنها ، وقضت أخريات أيامها فى بيت أختها . وكانت تملك ستة آلاف ريال نقداً، وما يساوى خمسة وسبعين ألف ريال من سندات الحكومة ، ومع ذلك كان الخوف من الفقر لاينفك يساور عقلها ويعذبهـا . وكانت تعتزل الناس جميعاً، وتقفل نوافذها وتسدل الأستار، وتوقد شمعة حتى فى الوقت الذى تكون الشمس فيه أشد ماتكون إشراقا.

وفى وسط هذه العزلة، وفى نور الشمعة الهادىء اللطيف ، تبسط الذكرى جناحيها وتطير إلى ماوراء السنوات الأخيرة القاسية فترى نفسهـا تراقص مرة أخرى ستيفن دوجلاس وهى مسحورة بشمائله الحلوة ، مصغية إلى نبرات صوته الجهيرة الشجية .

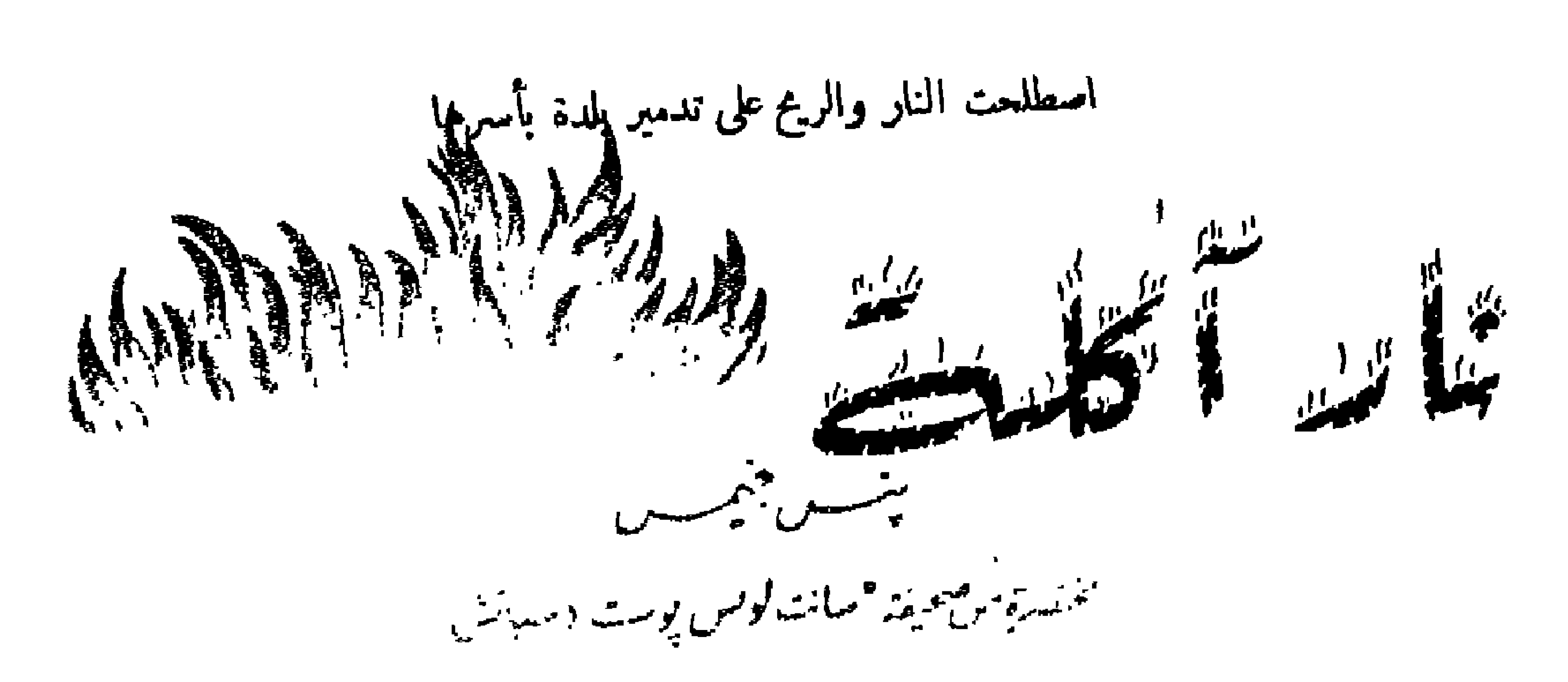
وكانت تتمثل الحبيب الآخر أحياناً ، وهو فتى اسمه لنكولن — أبراهام لنكولن — وكأنه جاء تلك الليلة ليتصبّاها ويخطب ودها. نعم إنه لم يكن إلا محامياً فقيراً بسيطاً يجاهد فى سبيل مجده ، وإنه كان يبيت فى علية فوق مخازن « سبيد» ، لكنها كانت على يقين من أن فى طاقته أن يصير رئيساً للجمهورية إذا استطاعت أن تستحثه على مضاعفة الجهد ، وأنها كانت فى حرصها على كسب قلبه شديدة الحرص على التجمل والزينة ، لتكون جميلة فى عينه . وعلى الرغم من أن مارى لنكولن لم تكن تلبس غير السواد طوال هذه السنوات الخمس عشرة ، فإنها كانت حين تعرض لها هذه الأحوال تنطاق إلى مخازن الأقمشة ، فتشترى وتكدس — كما يقول طبيبها المعالج — « ملء مركبة نقل من الحرائر والأثواب لم تستعمل واحدة منها قط » .

وفى سـنة ١٨٨٢ ، وكانت ليلة صيف ساكنة ساجية ، شاء الله أن يفرج عن هذه الروح المجهدة الثائرة، فقد أصابها فالج قضت على أثره نحبها فى سكينة وسـلام . وكانت وفاتها فى نفس البيت الذى شهـد أبراهام لنكولن ، منذ أربعين سنة خلت ، يضع فى إصبعها خاتم الخطبة منقوشـاً عليه هـذه الكلمة : « الحب لايموت »



صورة لفظية

يشيع السرُّ على لسانه كما يشيع الضوءُ فى الظلمة [ الجاحظ ]




في يومَ الإثنين الموافق للتاسع من أكتوبر ١٨٧١ ذهب جون ميليجن رئيس جماعة من قطاع الحطب في بلدة بشتيجو ، إلى مدينة مارينت الواقعة على سبعة أميال إلى الشمال، قطعها سيراً على قدميه. وكانت عيناه غائرتين ذاهلتين ، وقد غطاه سخام الحطب المحترق ، وفاحت من ثيابه رائحة الحريق .

وقال : « دمرت بشتيجو ، لم يبق فيها عود، وأهلها موتى منطرحون جثثاً هامدة في الشوارع » ، فذهل القوم مما سمعوا .

كانت بشتيجو في الثامن من أكتوبر ١٨٧١ ، بلدة مطمئنة يسكنها ألفان من الأصحاء الأشداء في منطقة الغابات الكثيفة على ساحل البحيرة في ولاية ويسكونسن ، وكانت صناعتها الأولى صناعة الخشب، وكان مصنع الخشب المتراحب فيها قائماً على الضفة الشرقية لنهر بشتيجو الذي يشق البلدة نصفين، وكان حي الأعمال فيها يشمل عدة مصانع لقطع الخشب ونشره ، ومصانع للشبابيك والأبواب ، ومسبكا ، ونحو خمسة عشر متجراً وفندقاً، أما بقية البلدة فكانت تضمّ نحو ٣٥٠ بيتاً أنشئت على جانبي النهر .

تلك كانت ، حالها في أصيل يوم الأحد ٨ أكتوبر ١٨٧١

وفي صباح الإثنين لم يكن ثمّ بناء واحد باقياً ، وكان من العسير أن تعرف أين كانت الطرق ، ومات أكثر من ستمئة شخص، وصارت الغابة الكثيفة التي كانت مورد السكان ومفخرتهم قفراً مسوداً مدخناً ممتداً إلى آخر مدى البصر .

ولم يكن لحريق بشتيجو نظير سابق ، فقد انطلقت النار مع ريح عالية خرقاء ملتوية الهبوب ، فأحدقت بالبلدة كلها قبل أن يتنبه السكان إلى الخطر . وكان أول نذير بدا بعد دخول الليل بقليل، وهجاً أحمر متضرماً في الناحية الجنوبية من السماء ، وتلا ذلك بعد بضع دقائق صوت مروع كقصف الرعد أحدثه انفجار الغاز الخارج من لهب الحطب المحترق ومن المستنقعات .

وسرعان ما صار الجو لا تطاق حرارته، ثم حدث انفجار عال آخر ، وهبت على البلدة من كل ناحية تيارات هواء سُخْن كأنه خارج من أتون ، ورفعت الريح السقوف عن البيوت ، وأوقعت المداخن ، وأمطرت البلدة رمالا حارة وجذوات مستعرة . وكانت صرخات الرجال والنساء والأطفال لا تكاد تسمع من فرقعة انفجار الغاز وانهيار الأخشاب ، وصارت النار تستطير فى البيوت من أرضها إلى سقفها دفعة واحدة ، وتندلع فى عشرين مكاناً فى وقت واحـد .

واستطاع رجال المطافىء المتطوعون أن يستعملوا خرطوماً ، ولـكنه احترق فى التوّ وصار رماداً . وأخرس الفزع الناس فما كانوا يرون إلا النار فوقهم ومن حولهم .

وتلاقت الجمـوع الجزعة فى الشارع الرئيسى المؤدى إلى جسر النهر فصارت خليطاً من الآدميين والخيل والمركبات ، وكانت الشعاليل والأغصان المضطرمة تقذف فى الهواء وتنقض على الضحايا ، وما كاد بعضهم يصلون إلى حافة النهر حتى اشتعلت النار فى ثيابهم ، وحرقت النار شوارب الرجال ، وكان اللهب كأنه جدار متين من الضرام، وجعل يثب فوق النهر من بناء إلى بناء ، فيكون كأنه قوس من مارج من نار فوق الذين عاذوا بالماء ، وكانوا يصبون الماء على أبدانهم وعلى ذويهم ، ولـكن كثيراً من الرؤوس أصابتها النار مع ذلك . وإنها لمعجزة أن ينجوَ أحد .

وكان الحال على جسر النهر فوضى ، فإن الذين كانوا على الجانب الشرقى راحوا يلتمسون النجاة على الجانب الغربى ، والذين فى الغرب ظنوا أن المنجى الوحيد لهم هو أن يصلوا إلى الشاطىء الشرقى ، فالتقوا على الجسر الذى ما لبث أن شبت فيه النار ، فتقوض ورمى فى النهر بحمله من المركبات والخيل والناس .

ومما زاد الهول أن مصنع الخشب انفجر كالبركان وأطلق وابلا من الدّلاء المحترقة وأيدى المكانس على المعذبين فى الماء . وكانت أجذال الحطب المقـذوفة من المحتطب تقع بين الضحايا ولها أجيج وصفير مفزعان .

وذهب نحو خمسين يعدون إلى نزل مبنى بالآجر حين أحاطت النار بالبلدة ، وفى ظنهم أن الجدران تقيهم ، فلم يبق منهم فى اليوم التالى سوى رماد أبيض وساعتين وقفتا عند العاشرة والدقيقة الخامسة ، والعاشرة والدقيقة العاشرة .

أما الذين لجأوا إلى الأرض المستصلحة لتربية الحيوان ظناً منهم أن فيها السلامة ، فقد وجدوا بعد الأوان أن النار لم تبق على

شىء، فقد بلغ من شدة الحرارة أن الصخور فى قلب رقع من الأرض فضاء تتسع مقدار ميل، كانت تنشق، وكانت أرومات الأشجار فى هذه الأماكن تحترق كلها بجذورها .

وقبيل الفجر بدأت النار تهمد ، فخرج الناجون الذين وقفوا فى الماء البارد ساعات، وانطرحوا وقد نال منهم الإعياء على الأرض الرملية الحارة . وكانت قطعة مطمئنة من أرض ذات نز قد آوت نحو خمسين ومئة رقدوا فيها فلم يصبهم أذى من حر أو لهب. وكان هؤلاء هم الوحيدين الذين لم تؤذهم النار فى أبدانهم ، أما الذين قضوا ليلتهم فى الماء إلى الأعناق ، فقد أصابتهم حروق بالغة أو برد خطر .

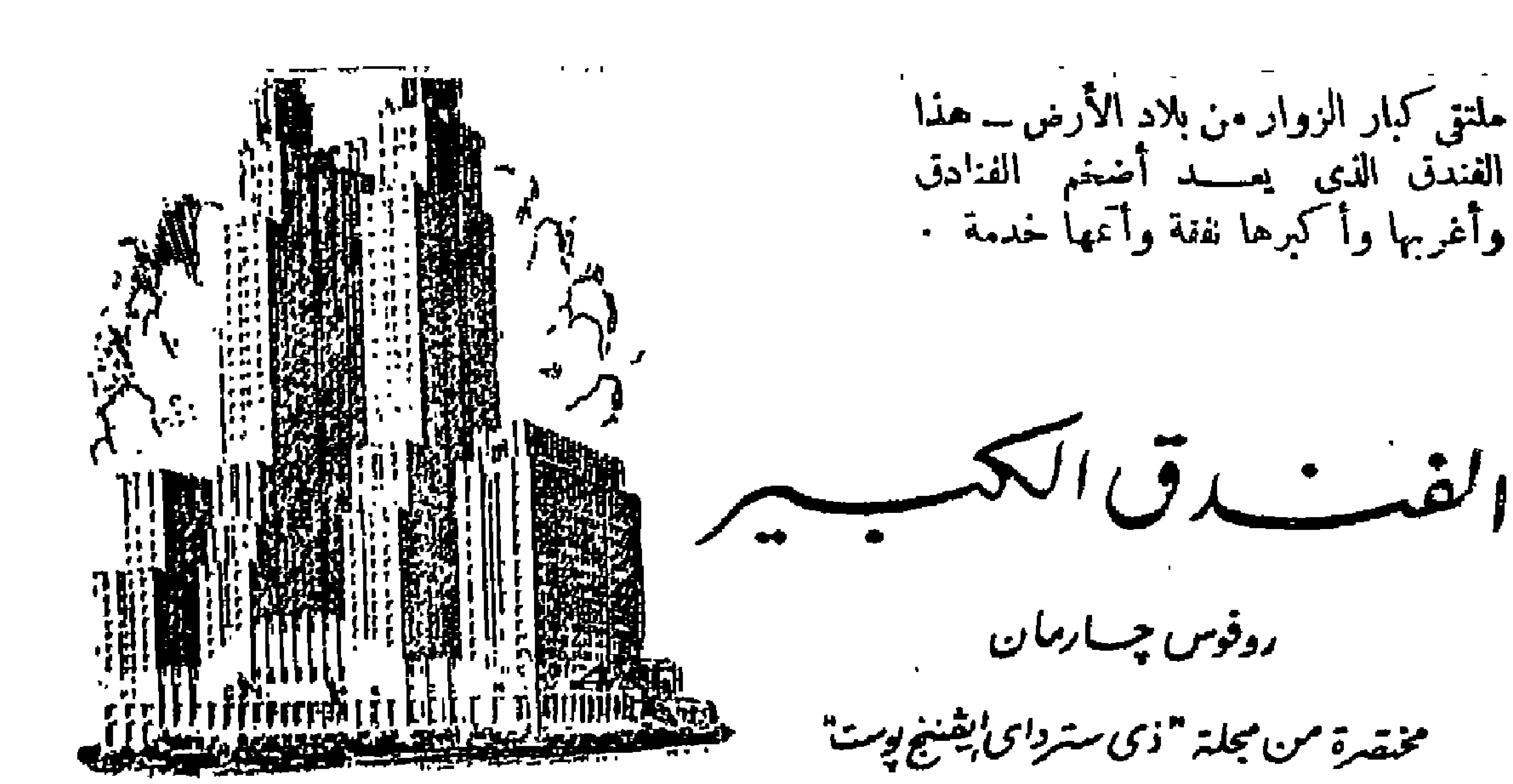
وكان بين الناجين دافيد ماسون وكان حديث عهد بالبرء من حمى، وكانت امرأته طريحة الفراش من الحمى ، فلما شبت النار ساق أولاده الخمسة أمامه واستمد من اليأس قوة ، فجر امرأته بسريرها إلى النهر ، ودفع السرير فيه حتى غطى الماء بدنها دون رأسها ووسادتها ، وضم الأولاد إليه طول ذلك الليل الفظيع ، فلما طلع النهار كانوا جميعاً من السالمين .

ولم تكن هناك ضمادات ولا إسعاف ، ثم وصلت فى صباح الاثنين خيمة حولت إلى مستشفى ، وعند العصر نقل الناجون إلى فندق فى بلدة مارينت . وفى المساء ، بعد الأوان بيوم ، نزل المطر فى بشتيجو !

وقد فعلت النار بعض الأعاجيب . ففى دكان انصهرت ستون فأساً فصارت كتلة واحدة . وفى مركبة الإطفاء ذاب بعض حديدها، أمّا خشب المركبة نفسها فلم يصب بسوء ! وشوهد جماعة من السويديين كانوا يحفرون أرضاً ، وهم موتى منطرحون فى حيث كانوا عند اشتداد النار ، غير أن عمال الإنقاذ لم يستطيعوا أن يعثروا على شىء يعرفون منه المكان الذى كانوا فيه سوى حديد المجارف .

وكان السبب فى مأساة بشتيجو الجفاف والإهمال، فقد ظلت ولاية ويسكونسن أكثر من ثلاثة أشهر لا يكاد ينزل فيها المطر ، ومع أن الغابات الجافة اليابسة كانت متهيئة من جراء ذلك للاحتراق عن آخرها ، إلا أن جماعة من عمال السكك الحديدية أشعلوا ناراً فى أجذال الحطب جنوبى بشتيجو ، والمظنون أن الحريق الكبير شب لما سرت النار من الشعل إلى المقادير الهائلة من غاز المستنقعات.

وقد وقعت كارثة بشتيجو فى نفس اليوم ونفس الساعة التى شبت فيها النار التى أكلت قلب مدينة شيكاجو واشتهرت باسم «الحريق الكبير» ، فكان ذلك من أعجب المصادفات فى التاريخ .



ملتقى كبار الزوار من بلاد الأرض — هذا الفندق الذى يعد أضخم الفنادق وأغربها وأكبرها نفقة وأعمها خدمة .

# الفندق الكبير

روفوس چارمان

*مختصرة من مجلة "ذى ستردای ايفننج پوست"*

كان أول الفنادق الضخمة الفخمة التى عرفتها أمريكا هو فندق والدورف أستوريا القديم فى نيويورك ، وقد يكون آخرها هو فندق والدورف الجديد . ذلك أن الخبراء متفقون على أن فنادق المستقبل ستنصرف عن الفخامة والضخامة إلى العناية بخدمة نزلائها .

وقد تم بناؤه فى سنة ١٩٣١ وبلغت نفقات بنائه ٤٠ مليون ريال . وهو مكون من ٤٧ طابقاً فيها ٢٢٠٠ حجرة تبلغ مساحتها ٤٠ فداناً ، وفيه عدد وافر من الأجنحة الفسيحة الأنيقة ، ومطاعم ممتازة، وحجرات تؤجر للمآدب الخاصة . وفيه مقاصف للشراب وردهات للاستقبال، وأبهاء فسيحة للرقص ، وهو أول فنادق أمريكا فى الضخامة والفخامة ، وهو أغلاها أجراً .

وهو أيضاً أشهر الفنادق . ولما أعدت العدة لعقد الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة طلب رجالها من فندق والدورف أن يخصص ٥٣ جناحا لرؤساء الوفود الأجنبية ، خشية أن يستاء من يفوته أن ينزل هذا الفندق .

ولما عقد مجلس وزراء الخارجية خصص لهم الفندق ٧٠ حجرة للمكاتب ، وجعلها متصلة بمركز تلفونى مستقل تقوم عليه عاملات يجدن الإنجليزية والفرنسية والروسية . ولعل هذه كانت أول مرة يجتمع فيها ممثلو الدول الكبرى لينجزوا أعمالهم السياسية فى فندق .

وقد نزل بهذا الفندق منذ نشأته كل عظماء أمريكا وزوارها من كبار الأجانب.

وقد حدث منذ بضع سنين أن دق تلفون الفندق وسمعت العاملة صوتاً يقول : « هل الملك موجود ؟ » فأجابته بعد أن نظرت فى سجل النزلاء : « أى الملوك تعنى ؟ فعندنا منهم أكثر من واحد » ، وكانت صادقة فى قولها إذ كان من بين

النزلاء فى ذلك الوقت الملك جورج اليونانى والملك بطرس اليوغسلافى .

وقد خصصت وزارة الخارجية الأمريكية هذا الفندق منذ إنشائه لسكنى كبار زائرى نيويورك من الأجانب . ولعل من أسباب ذلك أن للفندق ممراً خاصاً يؤدى إليه ومدخلا خاصاً أيضاً ، تسهل حراستهما . وجاء يوم كان يسكن هذا الفندق ٣٥٠ سياسياً أجنبياً سوى تسعة من السفراء . وقد لقى الفندق من جراء ذلك شيئاً من العناء . فمن عادته أن يرفع على مداخله العديدة علم الدولة التى ينتسب إليها الزائر الأجنبى ، فإذا كثر عدد هؤلاء الزائرين اضطر الفندق إلى دراسة التقاليد المتبعة ليعرف ترتيب دولهم فى التقديم ، حتى يرى مثلا أيليق أن يتقدم سفير أفغانستان على رئيس وزراء إحدى الولايات الهندية . ولن تجد فندقاً آخر يلقى مثل هذا العناء .

ومشاكل رجال السياسة أهون من مشاكل نجوم السينما ، فالهوس من صفات أشياع فرانك سناترا وڤان جونسن مثلا ، فإذا نزل به أحدهما اتخذ الفندق أهبته للمعركة ، فتحتاط عاملات التلفون علما بأنواع الحيل التى يلجأ إليها أشياع الممثل لمحاولة الاتصال به . فقد يدق التلفون ألف مرة فى اليوم الواحد ، ويسمع صوت نسائى يقول : « أنا زوجة سناترا » . ويجند الفندق ٤٨ حارساً لصد تيار المعجبين والمعجبات بالممثل ، فهؤلاء الأشياع سرعان ما يعلمون — ولا تدرى كيف — فى أى طابق ينزل الممثل ، ويتسللون إليه من طريق سلم المطافىء ومن الممرات المظلمة ، حتى يقعوا فى يد الحراس ويقذف بهم إلى خارج الفندق .

وفندق والدورف مشهور أيضاً بمآدبه الفخمة ، فقد أعدت فيه كافة المآدب الكبرى التى أقيمت منذ سنة ١٨٩٠ ولا يشق على إدارة الفندق الجديد أن تهيء الطعام لأى عدد من الضيوف فى أى موعد مضروب . وقد حدث مرة أن اضطر الجنرال دى جول إلى إقامة مأدبة عاجلة ، فأعد له الفندق مأدبة لثلاثة آلاف ضيف فى نصف ساعة ، قدم فيها ألف رطل من لحم المحار و ١٥٠٠ صدر دجاجة ، وألف رطل من البطاطس ومثلها من الخضر ، و ٦٠٠ رطل من الثلجات ، و ٢٠٠ رطل من الفاكهة ، و ٣٦ ألف كعكة صغيرة ، وثلاثة آلاف فنجان قهوة . وبعد المأدبة رفعت إدارة الفندق عن المائدة ٢٤ ألف قطعة فضية من الملاعق والشوك والسكاكين و ٣٦ ألف طبق صينى ، و ١٢ ألف كوبة ، وقد اقتضى إنجاز هذا العمل تجنيد ٨٤٣ خادماً . وقد يهون عليك تصديق أن يكون

فى فندق ٥٠٠ من النُدل و ٥٠ طاهياً و ٥٠ خادماً لغسل الأطباق ، ولكن ماذا تقول إذا علمت أن فى فندق والدورف سبعة من المهندسين الكهرباثيين وسبعة من النجارين و ١٥ محترفة تعمل على الآلات الكاتبة .

وعلى رغم ما بلغه فندق والدورف الجديد من المجد ، فإن قدماء موظفيه لا يزالون يتحسرون على أيام فندق والدورف القديم .

وأول من بنى فندق والدورف ، هو ولم والدورف أستور وابن عمه جون جاكوب أستور ، وقد اختارا له موقعاً يجاور قصورهما . ثم أجرا الفندق إلى جورج بولدت ، وهو من مهاجرى السويد ، فبهر أهل نيويورك باستضافته للأسر المالكة الأوربية ، وأقام حفلات موسيقية اشترك فيها كاروزو وملبا المغنية الشهيرة . وأقام مرة مأدبة بلغت نفقاتها نصف مليون ريال وطار صيتها فى كافة أرجاء أمريكا .

وهكذا كان بولدت سباقاً فى هذا المضمار . وجرت على آثاره سائر الفنادق ، فهو أول من ندب مديراً مساعداً للوقوف فى ردهة الاستقبال للترحيب بالضيوف القادمين . وكان فندق والدورف أول فندق أنيق يسمح للرجال بالتدخين فى حجرة العشاء وللنساء بالتدخين أينما أرادوا . وقد أصبح أوسكار رئيس خدم الدعوة ، حجة فى تذوّق أطايب الطعام .

وازدهر الفندق بفضل هذا الصيت ، ولكن حين بدأت حركة العمران فى نيويورك تنتقل إلى شمال المدينة ، خبا نجم الفندق ، ثم تقرر هدمه فى سنة ١٩٢٨ لتبنى مكانه عمارة كبيرة للمكاتب هى عمارة إمبير ستيت .

وبعد أن بيع الفندق القديم ببضعة أيام قرر بعض الماليين فى نيويورك بناء فندق جديد بدلا منه ، ووقع الاختيار على موقع فى أهم أحياء المدينة ، وساهمت بعض الشركات فى نفقات البناء بعشرة ملايين ريال ، وساهم آخرون بسبعة ملايين ريال ، وتم تحرير العقد يوم ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٨ ، وهو اليوم الذى تلاه يوم الثلاثاء الأسود الذى انهارت فيه السوق المالية وحل الكساد . ولكن هذا لم يثن عزم الشركاء ، فساروا فى مشروعهم قدماً ، فهم لا يبنون فندقاً أيا كان ، بل يبنون فندقا يخلد اسم والدورف . ولم يرضوا لفندقهم إلا أن يصنع له خاصة كل مايدخل فى بنائه وتأثيثه ، حتى مقابض الأبواب وإطارات النوافذ وأحواض الحمام ، وقد نقلت من القصور الإنجليزية العتيقة جدران بعض حجراتها كما هى ، وأعيد بناؤها فى الفندق . ونال جوزيه ماريا سيرت المصور الإسبانى

مبلغاً هائلا من المال ليزخرف برسومه جدران حجرة الأكل الفخمة فى الفندق .

وهرع إلى الفندق يوم افتتح فى أول أكتوبر سنة ١٩٣١ خمس وعشرون ألف شخص ليشهدوا ويعجبوا ، وأرسل رئيس الولايات المتحدة تهانئه بافتتاح الفندق .

ولكن لم تمض ثلاثة شهور حتى أصبح الفندق خاوياً أو يكاد ، وجاء عليه يوم فإذا حجراته التى يبلغ عددها ٢٢٠٠ لاتضم إلا ٣٠٠ نزيل، فأوصدت أبواب طوابق بأكملها، فإذا جن الليل تسلل بعض الموظفين إلى الطوابق العليا ليضيئوا أنوارها حتى لا يبدو الفندق موحشاً . وبلغت خسائر الفندق فى أربع سنين عشرة ملايين ريال ، وتوالت الخسائر بعد ذلك بمعدل سبعة آلاف ريال فى اليوم الواحد . ومع ذلك ظل الفندق محتفظاً بفخامته وأناقته ، فهؤلاء مديروه تحسبهم لفرط أدبهم وأناقتهم من النبلاء ، وعمال المصاعد والخدم لايزالون فى ثيابهم الجميلة الأنيقة، ومخازنه لاتزال ملأى بألوان الأطعمة وأطيبها وأجود الخمور من فرنسا، حتى يخيل إليك أنها دار أسرة كريمة أخنى عليها الدهر ، ولا تزال تزهى أمام ضيوفها بما لديها من الذخائر الموروثة ، وتنفق آخر درهم تملكه على أجود الشراب وأطيب الطعام . وظل الفندق فى عسر حتى كانت سنة ١٩٤٣ أيام عادت الفنادق إلى عهد ازدهارها ، فتضاعف دخله مرة ومرتين حتى بلغ فى سنة ١٩٤٦ مايقدر بستة عشر مليوناً من الريالات ، وهو رقم قياسى لدخل الفنادق .

وانصرف الفندق عن الاستزادة من عدد نزلائه إلى صد الوجوه الجديدة حتى يتسنى لزبائنه القدماء أن ينزلوا به . ويضم سجل الزبائن أكثر من ستة ملايين اسم قيدت فيه أذواق هؤلاء الزبائن. فمنهم مثلا من يتشاءم من الطابق الثالث عشر، أو قد يكره لوناً معيناً لغطاء فراشه ، فإذا كره اللون الأخضر مثلا وضع له مكانه غطاء أبيض وهكذا . وإذا كان أحدهم يضيق ذرعاً بالتلفون فإن الكاتب المقيم فى طابقه يتولى بنفسه إجابة من يطلبه .

ومن عادة الفنادق فى هذه الأيام أن تقبل من نزلائها حوالاتهم المالية، ولكن قد لا يكون هناك فندق غيره يعتمد حوالات بمبلغ ١٨ مليون ريال فى السنة ، إذ لا يسع فندق والدورف أن يحرج أحداً من نزلائه البارزين . والذى يحدث فى أغلب الفنادق أنه إذا تقدم إليها شخص وقال إنه من أمراء الهند وأراد أن يصرف حوالة ، لم يكن من الهين تصديق كلامه لأول وهلة ، ولكن إذا تقدم شخص إلى فندق والدورف وقال

إنه أمير هندى كان عنده من الصادقين . وخسائر الفندق فى هذا الباب لا تكاد تذكر .

ويقوم على لوحة التلفون فى الفندق ١٤٠ عاملة وهى تكفى مدينة يسكنها ٢٥ ألف شخص . وهذه اللوحة مزودة بإشارات إضافية ، فإذا أضىء لون أحمر دل هذا على أن صاحب الحجرة لا يريد أن يتصل به الصحفيون ، أو إذا أضىء لون أخضر دل هذا على أن صاحبها لا يريد مكالمات خارجية. وقد ابتدعت هذه الإشارة لقطع الطريق على من يدور الشراب برأسه فيطلب مكالمة خارجية مع لندن مثلا ، ثم يسأل أن تضاف الأجرة إلى حساب حجرة يذكر رقمها .

ويقدم الفندق فى اليوم الواحد من ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف وجبة طعام . وأهم ما يواجهه من المشاكل هو نقص خدم الدعوات . ويوزع الفندق على الخدم الجدد كتابا من ١٨٠ صفحة يتضمن الإرشادات التى ينبغى لهم اتباعها . ومحرم على خدم الدعوات أن يحملوا فوطة على أذرعهم ، أو أن يتجمعوا معاً فى حجرة الأكل للتحدث ، أو أن يضربوا بأصابعهم لينادى بعضهم بعضاً ، أو أن يظهروا أقل امتعاض حين تدفع لهم نفحة ضئيلة .

ويجتمع الخدم معاً مرتين فى الأسبوع لسماع محاضرة من مارتين بلاك وهو يقول لهم : « إذا تأففتم من مهنتكم فلستم بأهل لها . فينبغى لأحدكم أن يتوفر له من العلم مالا يتوفر لباقى الناس ، فعليه أن يجيب إذا سأله الزبون عن مصدر قطعة اللحم التى يأكلها . كما ينبغى له أن يلم بالموسيقى والجغرافيا ، حتى إذا سألته سيدة عن الفرقة حين تعزف لحناً لبراهمز أو باخ أجابها من فوره . وعليه أن يكون ذا دراية بالمسرح ، فإذا سألته سيدة لماذا يطلق على طبق البطاطس اسم ساره برنار ، جاءها بالجواب الصحيح . ولا تنسوا أن هذا العلم يدر عليكم أيضاً كثيراً من المال » .

وكانت أجرة الخدم مقدرة عند افتتاح الفندق بمبلغ ١٫٦١٣٫٧٠٠ ريال فى السنة ، أما الآن فقد زادت على ضعف هذا المبلغ ، وذلك برفع أجرة الفندق بحيث يشق دفعها على كثير من الناس ، ولكن إدارة الفندق مؤمنة بأن رخاء أمريكا سيسمح بازدهار هذا الفندق الفخم عدة سنوات قادمة .

وقد قال أحد موظفيه أخيراً :

« لن تخلو الدنيا من هذا الصنف من الناس الذى يصعب إرضاؤه ، وأذواق الناس وحدها هى التى تتبدل . وسيظل الفندق قائماً ما قام بنيانه ، وما دمنا نحن نرضى زبائننا أياً كانت مطالبهم » .

# قصة التجسس على الطاقة الذرية



مختصر كتاب

رتشرد هيرش

*كان لفتننت كولونل في فرقة المخابرات العسكرية التابعة لهيئة أركان الحرب العامة بوزارة الحربية في الولايات المتحدة*

لما أذاعت الحكومة الكندية فى ربيع ١٩٤٦ قصة أعمال التجسس السوفيتى المدهشة فى كندا ، نشر الخبر بعناوين كبيرة فى صحف العالم ، غير أن الجمهور فاتته تفاصيل كثيرة مثيرة . والبيان الدقيق التالى مستندٌ إلى أقوال موظفى الحكومة الكندية ، وإلى التقرير المنشور الذى وضعته لجنة التحقيق الملكية .

# قصة التجسس على الطاقة الذرية

في رقم ٢٨٥ بشارع شارلوت في مدينة « أتوا » — عاصمة كندا — يقوم بناء من الطوب الأحمر، مائل السقف، ذو ثلاث طبقات، وشرفات بيض عالية. وهو من ذلك الضرب الذي كان يؤثره الأثرياء من الناس الذين كانوا في أخريات القرن التاسع عشر، يشيدون الدور الكبيرة ليؤسسوا فيها أسراً كبيرة. وفي أوائل ١٩٤٢ اتخذته السفارة السوفيتية مقراً لها. وكان الجزء الرئيسي من الدار يشغله السفير زاروبين ومساعدوه. أما الجناح الخلفي الذي كان فيما مضى مطبخاً ومسكناً للخدم، فقد فصل ما بينه وبين بقية البناء بأبواب مزدوجة من الصلب، ونوافذ ذات قضبان من الحديد وشبابيك من الصلب. وفي هذا الجناح يوجد قسم الشفرة السرية، وفيه تكتب الرسائل السرية إلى موسكو، وتحل رموز ما يرد منها.

وكان لكل قسم من الأقسام الخمسة في السفارة شفرتها الخاصة والموظف الموكل بها، في غرفة موصدة ضماناً للسرية المطلقة. مثال ذلك أن القسم العسكري الذي يرأسه الكولونيل نيقولاي زابوتين كان يتولى شفرته من يدعى إيجور جوزنكو، وهو موكل بالمكاتبات التي ترسل إلى مدير المخابرات العسكرية في موسكو. وكانت دفاتر الشفرة الموكولة إلى موظفها جوزنكو تحفظ كل ليلة في خزانة كبيرة من الصلب، تحفظ فيها أيضاً مذكرات الملحق العسكري اليومية السرية. وكذلك كان للبوليس السري الروسي وسائله الخاصة لمراسلة موسكو، ومثل هذا يقال عن السفير والملحق التجاري ورئيس القسم السياسي.

وكان جوزنكو شاباً في الخامسة والعشرين رزيناً جاد النظرة، وقد اختير خاصة لهذه المهمة الجسيمة التبعات. وكان وهو ملازم في الجيش الأحمر قد تدرب زمناً طويلا تدريباً خاصاً قبل أن يوفد إلى أتوا. وهو خريج مدرسة مخابرات خاصة تديرها هيئة أركان الحرب للجيش الأحمر. وقد خاض الحرب في الصفوف الأولى أيضاً، وشهد معاركها عاماً كاملا في ١٩٤٢، واشترك في حملة الشتاء على أبواب موسكو. وأخيراً، بعد العمل في الفرقة الرئيسية للمخابرات التابعة للجيش الأحمر حيث قام البوليس السري بفحص سيرته الماضية، واختبار مبلغ الثقة به، ألحق بالخدمة في الخارج وأرسل إلى كندا في يونيه ١٩٤٣،

وحمل معه زوجته « سفتلانا بورسوفنا » الطويلة السوداء الشعر . وبعد وصولهما إلى أتوا بقليل ولد لهما ابنهما أندريه ، وكانت لهم شقة صغيرة فى العمارة رقم ٥١١ بشارع سمرست تطل على حديقة عامة . وكان الجيران يثنون على الزوجين الشابين ، فقد كانا هادئين ، مؤدبين ، وقورين .

ولم يكن فى مظهر جوزنكو ما يشى بالصراع الذى يمزق روحه ، فقد كان من مرقبه الفذ يرى تفاصيل أعمال التجسس تتراكم أمام عينيه ضد بلد أصبح يزداد احتراماً لأسلوب حياته وإعجاباً به .

ولما انصرف إيجور جوزنكو من مكتبه فى الساعة الثامنة من مساء اليوم الخامس من سبتمبر ١٩٤٥، لم يقطع ما بينه وبين وطنه فحسب ، بل عرض نفسه أيضاً لخطر القتل . وكان طول النهار يعمل كالمحموم ، وهو مطمئن إلى يقينه أن ما يأتيه سيكون جزيل النفع آخر الأمر للشعوب الحرة فى العالم. واختار من الخزانة، ومن أكداس الشفرة ، الوثائق التى تعد مفتاحاً لغيرها ، وكان بعض هذه برقيات ، والبعض يوميات ، والبعض قصاصات ورق ممزق أعطيت له ليحرقها ، وكانت المجموعة كبيرة الحجم ، ولكنه وزعها على جيوبه ، وشبكها بالدبابيس تحت قميصه ، فاستطاع أن يتقى إثارة الشكوك فى نفس حارس الباب ، وهو من رجال البوليس السرى .

وخرج بسلام من الباب ونجا من حارسه ، ومضى فى طريقه لا يتلفت ، وغاب بين الذين يتمشون فى المساء ، دون أن تلفت مشيته أو هيئته النظر إلى شخصه النحيف الدقيق . على أن أعماله كان مقدراً لها أن تكون بالغة القيمة عميقة التأثير فى العلاقات المستقبلة بين الأمم .

وكان قد فكر بعناية فى المهمة التى أخذها على عاتقه ، وكان قد اعتزم أن يكشف عن خطة السوفيت لإنشاء قاعدة للجاسوسية فى كندا — لا ضدها فحسب ، بل ضد الولايات المتحدة وبريطانيا أيضاً . وكان ينوى أن يؤيد أقواله بما لا سبيل إلى نقضه من الوثائق والأدلة ، ولن يطلب فى مقابل ذلك إلا أن تتكفل الحكومة الكندية بحماية زوجته وابنه ، أما هو فقد قدّر الأخطار التى تواجهه ، ورجح أن يقتل قبل أن تتم مهمته .

وذهب جوزنكو إلى دار صحيفة « أتوا جورنال» وطلب أن يقابل رئيس التحرير، واعتذر عن أن يبين الغرض من المقابلة .

وقيل له : « إن رئيس التحرير ليس هنا . ولكن فى وسعك أن تقابل أحد مساعديه » .

وقال جوزنكو للمساعـد إن عنده معلومات على أعظم جانب من خطر الشأن ، لا لأهل كندا وحدهم ، بل لسلام العالم واستقراره . وأخرج من جيب سترته ورقة من الأوراق العديدة الرقيقة المكتوبة على الآلة الكاتبة بالروسية ، وقال : «عندى وثائق كثيرة ، وينبغى أن تدرسها » .

واستمر حديثهما نحو ساعة . وكانت رواية جوزنكو ووثائقه من الغرابة بحيث حار المحرر فى الأمر ، وأخيراً قال : «يحسن أن تقصد رجال البوليس . فإن هؤلاء ، لا الصحفيين ، هم المختصون بالنظر فى مثل هذا الأمر » .

وكانت الساعة قد قاربت العاشرة، فليس فى الوسع عمل شىء قبل صباح اليوم التالى .

وفى صباح اليوم التالى قصد جوزنكو وامرأته إلى وزارة العدل ومكتب المدعى العام ــ راؤول مرسييه ، فخاطب المسز فرناند جوبارن سكرتيرة المستر مرسييه شارحاً ما فعل وما ينوى أن يفعـل ، وأمر زوجته ففتحت حقيبتها التى أصبحت مستودعاً للوثائق .

وقال : « كل شىء هنا ، وفى جملة ذلك معلومات سرية عن القنبلة الذرية . فيجب أن تبلغى حكومتك هذا » .

فقالت المسز جوبارن : « إن المدعى العام فى المحكمة ، ولكنى سأحاول أن أصلك بالرجال المختصين » .

وطلبت وكيل الوزارة للشئون الخارجية ــ نورمان روبرتسن ــ فقال « خله ينتظر ، وسأطلب تعليمات من رئيس الوزارة » .

وكان جوزنكو يريد أن تسمع قصته بسرعة ، فقد كان يعلم أن غيابه عن السفارة الروسية سيثير الشكوك ، غير أن الاتصال برئيسى الوزارة فى صباح اليوم السادس من سبتمبر كان عسيراً ، فقد كان ذلك يوم افتتاح دورة جديدة للبرلمان .

وكان النواب فى الساعة الحادية عشرة على مقاعدهم ، وما هو إلا أن يدخل رئيس الوزارة وليم ليون ماكنزى كنج حتى تبدأ المراسيم .

وكان كنج فى غرفة الانتظار على مقربة من البناء الرئيسى، فدخل عليه ضابط وأسر إليه شيئاً ،فقصد رئيس الوزارة إلى التلفون.

وقال وكيل الوزارة روبرتسن: «آسف يا سيدى لتعطيلك ، ولكن هذا أمر ليس له سواك » وحدثه عن جوزنكو .

فأجاب ماكنزى كنج ــ وهذه ألفاظه بالحرف فى جلسة البرلمان الكندى ، كما أذيعت فيما بعد ــ « هذه مسألة يجب أن نكون حيالها فى منتهى الحذر . فما ندرى

أهذه الوثائق مزيفة أم صحيحة . ولا نعلم شيئاً عن حالة عقله ، أو الظروف التي تدفعه إلى هذا العرض . ولست ارى أن حكومة كندا تستطيع أن تتخذ أية خطوة من شأنها أن تحمل حكومة السوفيت على الاعتقاد أننا نتجسس على شئونها . فقل لهذا الشاب أن يرجع إلى سفارته بالأوراق التي يحملها » .

ولكن رجوع جوزنكو كان قد مضى أوانه ، فلما عاد هو وزوجته إلى شقتهما — رقم ٤ — نظر من النافذة إلى الحديقة وراء الشارع ، فرأى على دكة ما كان يخشى ويتوقع أن يرى : رجلين كان من الواضح أنهما يراقبان نوافذه .

وفى المساء طرق بابه، وسمع صوت الضابط من رجال السفارة يقول : « جوزنكو — افتح الباب ! »

فحبس جوزنكو وزوجته أنفاسهما ، ولكن أندريه الصغير ذهب يدرج على أرض الغرفة فى أثر لعبة ، فتعثر ووقع على الباب . ولم يحاول الضابط لافرنتييف أن يدخل ، ولكنه عرف أن الشقة ليست خالية .

وحمل جوزنكو الطفل وخرج من باب خلفى يؤدى إلى الشرفات الخلفية المشتركة بين الشقق الأخرى فى الدور الثانى .

وكان يجلس فيها جاويش من سلاح الطيران الكندى وزوجته ، وكان يدخن ويقرأ فى صحيفته .

فقال له جوزنكو : « معذرة . هل أستطيع أن أكلمك ؟ »

فرفع الجاويش إليه عينه مستغربا .

وقال : « طبعاً . ماذا تريد ؟ »

« أرجو أن تأخذ ولدى الصغير ليبيت عندك الليلة ، فقد يقع لى ولامرأتى حادث» .

« ماذا عسى أن يحدث ؟ »

« نقتل» . وكان هذا هو الجواب الوجيز .

وكان جوزنكو والجاويش واقفين فى الشرفة ، فأبصروا لافرنتييف يمشى فى الشارع ، فامتقع وجه جوزنكو ، وهمس : « هذا هو ! وقد يكون الأفضل أن تأخذ زوجتى أيضاً إلى شقتك » .

وبينما هما يتحادثان أقبلت المسز أندرسن ، وهى سيدة عطوف تسكن الشقة رقم ٦ . فلما سمعت القصة قالت : « إن بيتى يتسع لأسرتك كلها، ولك أيضاً يامستر جوزنكو . وإنه يسعدنى أن يكون مثواكم عندى ما رغبتم » .

وقال الجاويش : « اذهب أنت معها ، وسأدعو البوليس ، فإن هؤلاء القوم لا يجرؤون على اقتحام بيت مواطن كندى» .

كان هذا فى الساعة السابعة، وفى منتصف الساعة الثامنة استجاب للدعوة الشرطيان

توم والش ، وماك كالوك اللذان كانا يجوبان المنطقة فى سيارتهما .

ووجدا أسرة جوزنكو فى الشقة رقم ٦ فعرفهما جوزنكو بنفسه ، وقال إن عنده معلومات على أعظم جانب من خطر الشأن للحكومة ، وسألهما حمايته ، فأكدا له أنهما سيراقبان الشقة .

« دع النور فى الحمام ، فإننا نستطيع أن نراه من الحديقة ، فإذا احتجت إلينا فأطفئه » .

وعادا إلى سيارتهما وانتقلا بها إلى مكان فى الحديقة .

ولم يحدث شىء حتى انتصفت الساعة الثانية عشرة ، فجاء أربعة رجال فى سيارة إلى الدار رقم ٥١١ بشارع سمرست وقصدوا على الفور إلى شقة جوزنكو ، وبدأوا بطرق الباب ، وكان الدق من الشدة والإلحاح بحيث ظن الجاويش أن الطارقين هم الشرطيان، وأنهما عادا للقيام بتحرٍ آخر، ففتح بابه وأطل .

وأدرك أنه أخطأ فهم بإغلاق الباب ولكن أحد الرجال أقبل عليه مسرعا وسأله « أين جوزنكو ؟ »

فألقى إليه الجاويش نظرة جامدة وقال : « من أدرانى يا صاحبى » وأحكم إغلاق الباب .

وعقد الطارقون مؤتمراً فى الرواق ، ثم أهوى الرجال الأربعة بأكتافهم على باب شقة جوزنكو فانفتح .

وكان جوزنكو فى الشقة رقم ٦ يراقب ما يجرى من ثقب قفل الباب، فنهض ومضى إلى الحمام وأطفأ النور .

ورأى الشرطيان فى الحديقة هذه الإشارة، فأسرعا إلى الشقة عدواً ، ووجدا الأنوار كلها مضاءة فى الشقة رقم ٤ ، وأبواب الخزانات كلها مفتوحة . وكان القنصل بافلوف فى إحداها ، والكولونل روجوف فى أخرى ، ومعهما فى الغرفة اثنان من رجال السفارة السوفيتية .

فسألهم والش : « ماذا تصنعون هنا يا قوم ؟ »

فأبرز بافلوف بطاقته وقال إن الحاضرين جميعاً من رجال السفارة ، وإنهم يبحثون عن أوراق رسمية معينة، قال : « إن صاحب الشقة قد برح المدينة ، ولكنه أذن لنا فى الدخول وأخذ ما نريد » .

فأشار والش إلى القفل المكسور ، وكان بعضه لا يزال ملقى على الأرض وقال : « إنها لطريقة عجيبة للدخول ومعكم إذن » .

فهز بافلوف كتفيه: « وقال أضعنا المفتاح. وهذه أشياء تملكها حكومة السوفيت ، فلنا أن نصنع ما نشاء . تفضل بالانصراف».

فهز الشرطيان رأسيهما : « حتى يحضر مفتش » . فشاور القنصل بافلوف رجاله ، فقرروا أن ينصرفوا ، ولم يحاول الشرطيان منعهم ، فعادوا إلى السفارة السوفيتية .
وقضى آل جوزنكو بقية الليلة فى الشقة رقم ٦ فى رعاية الشرطة .

وبعد طلوع النهار بقليل فى السابع من سبتمبر ، نقل آل جوزنكو الوثائق إلى ديوان الشرطة الكندية ، وأبلغ الضابط س . ت . وود بنفسه رئيس الوزارة ماكنزى كنج ما كان فى الليلة السابقة .
فعاد رئيس الوزارة يبين الحاجة إلى التحرز : « استوثقوا من أن بواعث هذا الرجل لا يرتقى إليها الشك ، وأن وثائقه صحيحة » .
وكان أول ما حاول الضابط وود أن يتبينه هو الدافع لجوزنكو على ما قرره من ترك السفارة السوفيتية .
فكان الجواب : « يسرنى أن أشرح لك ذلك » وهذه أقواله نثبتها هنا لما فيها من عبرة .
« أنا إيجور جوزنكو ، أود أن أفضى بالبيان التالى بمحض إرادتى :
جئت إلى كندا منذ عامين ، فأدهشتنى فى الأيام الأولى الحرية التامة التى يستمتع بها كل فرد فى كندا والتى لا وجود لها فى روسيا .
وكانت الأباطيل التى تذاع فى روسيا عن البلاد الديمقراطية ، تتبدد كل يوم ، فلن تجد دعاية كاذبة تستطيع أن تثبت فى وجه الحقائق .
«وبينما ترى الحكومة السوفيتية تتشدق فى المؤتمرات الدولية بأقوال معسولة عن السلام والأمن ، إذا بها فى الوقت نفسه تستعد لحرب عالمية ثالثة. ولكى تتهيأ لمواجهة هذه الحرب، شرعت تنشىء فى البلاد الديمقراطية وفى جملتها كندا طابوراً خامساً يساهم فى تنظيمه الممثلون الدبلوماسيون لحكومة السوفيت .
« وفى أثناء مقامى فى كندا رأيت كيف أن الشعب الكندى وحكومته يرغبان رغبة صادقة فى أن يساعدا الشعب السوفيتى ، فأرسلا مؤناً إلى الاتحاد السوفيتى ، وجمعا المال فى سبيل الأمة الروسية وخيرها ، وضحيا بحياة أبنائهما لإرسال هذه العونة فى عرض البحار ، وبدلا من أن تشكر الحكومة السوفيتية هذا الجميل أخذت تتوسع فى أعمال التجسس فى كندا ، وتستعد لطعن كندا من الخلف — وكل هذا بغير علم الأمة الروسية .

«ولما كنت مقتنعاً بأن هذه السياسة ذات الوجهين التي تتبعها حكومة السوفيت حيال البلاد الديمقراطية ، لا تتفق ومصلحة الأمة الروسية، وأنها تعرض المدنيـة للخطر ، فقد قررت أن أنفض يدى من النظام السوفيتي، وأن أعلن قرارى هذا جهرة » .

وكانت المسألة الثانية هي فحص الوثائق وترجمتها وإثبات صحتها ، وكانت كوماً من الأوراق من كل لون وشكل وحجم ، وأدرك الموظفون من نظرة واحدة إلى مقدراها واختلافها أن مهمة ترتيبها ومراجعتها لن تكون سهلة .

وتقرر اتخاذ مقر خاص للعمل في ثكنات روكايف التابعة للشرطة الكندية ، وهناك بدأت فرقة مكافحة التجسس برياسة المفتش جون ليوبولد تكشف عن قصة من الدس والتآمر والخيانة لا نظير لها في تاريخ التجسس في شمال أمريكا .

وفي أثناء ذلك لم تكن السفارة السوفيتية نائمة ، فوجهت إلى حكومة كندا مذكرة وصلت في الثامن من سبتمبر جاء فيها :

« تخلف عن العمل موظف في السفارة اسمه إيجور سيرجيفتش جوزنكو من يوم ٦ سبتمبر ، وقد تبين فيما بعد أن إيجور جوزنكو اختلس مقداراً من مال السفارة ، واختفى هو وأسرته .

« وترجو سفارة الاتحاد السوفيتي من وزارة الشئون الخارجية أن تتخذ تدابير سريعة للقبض على إيجور جوزنكو وتسليمه لترحيله » .

فطلبت حكومة كندا تفاصيل عن المبالغ المسروقة ، فلم تجب السفارة بشيء عن هذا. ولكنها في الرابع عشر من سبتمبر بعثت مذكرة أخرى للاستعجال جاء فيها :

« إن السفارة بناء على تعليمات من حكومة الاتحاد السوفيتي تكرر ما طلبته من حكومة كندا من القبض على جوزنكو وزوجته وتسليمهما بلا محاكمة للسفارة لترحيلهما إلى الاتحاد السوفيتي » .

ولم تكن حكومة كندا في ذلك الوقت تنوى أن تسلم جوزنكو لأحد ، فقد امتحنت إخلاصه وصحة وثائقه أشد امتحان وأدقه ، فاجتاز الامتحان مرفوع الرأس .

وثبت أن الوثائق غير مزيفة ، وكانت عشرات منها مكتوبة بالحروف الروسية، وقال جوزنكو إنها بخطوط الكولونل زابوتين ، والكولونل روجوف ، والكولونل موتينوف . وقام المحققون بتحريات في البيـــوت المختلفة التي كان هؤلاء الضباط

ضيوفاً فيها ، وحصلوا فى أحدها — وهو استراحة للصيد — على دفتر دونت فيه أسماء الضيوف ، وفيه توقيعات كثيرين من رجال الحكومة وموظفى السلك السياسى الذين كانوا ضيوفا فيه ، وفى جملتها أسماء هؤلاء الثلاثة . واستطاع أحد الخبراء بالخط أن يجزم بأن جوزنكو جاء بخطوط صحيحة للموظفين السوفيت .

وتمت تحريات أخرى أيضاً ، فقد جاء جوزنكو بأربع صور لبرقيات أرسلت من لندن إلى أتوا ، وكانت تواريخها ترجع إلى بضعة أسابيع مضت — ٢٤ و ٢٥ و ٣١ من أغسطس . ودلت المراجعة فى ملفات الحكومات الرسمية على أنها نسخ دقيقة لرسائل سرية جداً ، المفروض أنه لا يعرفها سوى الحكومتين البريطانية والكندية .

ولم تعد المسألة مسألة إثبات صدق جوزنكو ، بل استئصال شأفة تغلغل وكلاء السوفيت السريين إلى أخفى شرايين الحكومة الكندية . وكانت الوثائق بمجرد ترجمتها توضع فى ملفات على حسب موضوعها ، وكانت عناوين الملفات مروعة : الأسلحة الذرية — الرادار — المفرقعات السرية — الجوازات المزورة . وليست هذه سوى بعض الأمثلة .

ولم يحدث قط من قبل فى تاريخ الجاسوسية أن أتيح للدولة التى حيكت لها شباك التجسس أن تطلع على خطة محكمة مؤيدة بالوثائق دفعة واحدة ، بل لقد كانت الأدلة فوق الحاجة ، وملأت الأسماء المستعارة للوكلاء الروسيين والكنديين والبريطانيين والأمريكيين ثلاث صفحات مطبوعة .

فلما كان اليوم الحادى والعشرون من سبتمبر ، كان الخبراء الذين يعملون تحت رياسة المفتش ليوبولد على استعداد لتقديم التقرير إلى رئيس الوزارة .

وقد استهل الضابط تقريره بما يأتى :

« سيدى — إن الأدلة تثبت أن شبكة من الوكلاء يتخذون أسماء مستعارة ، قد وضعت ونظمت للحصول على معلومات سرية من موظفين للحكومة الكندية وهيئاتها . وقد تولى هذه الأعمال بعض رجال السفارة السوفيتية وفقاً لتعليمات صدرت إليهم من موسكو . وكل هؤلاء الوكلاء يعرفون بأسماء مستعارة ، من ذلك على سبيل التمثيل أن الاسم المستعار للكولونل زابوتين ، هو « جرانت » على ما يظهر .

« أما البرنامج الخاص للجاسوسية الموكول للكولونل زابوتين فهو : أولا القنبلة الذرية وتركيبها والرسوم والعمليات الفنية المتعلقة بها ، وثانياً نموذج من اليورانيوم

٢٣٥ والتفاصيل الخاصة بمكان إنتاجه ، وثالثاً مكتبة مجلس الأبحاث القومى ، ورابعاً تنقلات جنود الولايات المتحدة » .

ثم شرح الأغراض الأخرى التى يطلبها جواسيس السوفيت، وهى تشمل موضوعات سرية جداً، مثل القنابل الطائرة والصاروخية، والفتيل الإلكترونى للقذائف ، والرادار ، ومفرقعات فائقة القسوة تعرف باسم « آردكس » .

وتكلم رئيس الوزارة فسأل : « هل لى أن أسأل إلى أى مدى أمكن إدراك هذه المآرب ؟ » فاحتفظ الضابط القرر بنظرته الجامدة وصوته الهادىء وهو يقول: «سيدى لم يكن هناك إخفاق »

ولما اتضح المعنى ، لزم كبار الموظفين المجتمعين الصمت ذاهلين . فسأل رئيس الوزارة : « هل أفهم من هذا أن بعض تفاصيل السلاح الذرى قد عرف ؟ » .

فتقدم الضابط المقرر بملف وقال : « هذا هو الملف يا سيدى الخاص بالوكيل «أليك» . وفى البرقية رقم ٢٤١ المرسلة إلى موسكو فى التاسع من أغسطس ، نجد الجواب على هذا السؤال » .

« إلى المدير : بيانات مقدمة من أليك ... إنتاج اليورانيوم ٢٣٥ يبلغ أربعمئة جرام فى اليوم فى مصنع الفصل المغناطيسى فى كلنتون . وإنتاج أل «٤٩» يحتمل أن يكون ضعف ذلك . وتعد بعض وحدات « الجرافيت » لإنتاج ٢٥٠ جراما كل يوم ... سلم إلينا أليك بلاتين مع ١٦٢ ميكروجرام من يورانيوم ٢٣٣ — جرانت ».

فسأل رئيس الوزارة : «من يكون أليك هذا ؟ »

فهز الضابط المقرر كتفيه وقال : « لم تعرف شخصيته بعد يا سيدى . والظاهر أنه عالم وثيق الاتصال بمركز هذا العمل . ويستفاد من البرقيتين رقم ٢٤٤ و ١١٩٥٥ إن أليك ينبغى أن يكون فى لندن فى السابع من أكتوبر ليحاول الاتصال بممثل السوفيت هناك ، وأظن أنك ستجد فى هذه البرقيات قرائن لها دلالتها » .

وكانت البرقية رقم ٢٤٤ مؤرخة قبل بضعة أسابيع وهى مرسلة من « جرانت » إلى موسكو وفيها .

« إلى المدير : وضعنا تفاصيل الاجتماع بأليك فى لندن . وسيعمل أليك فى كلية الملك شارع ستراند . الاجتماعات — ٧ و ١٧ و ٢٧ أكتوبر فى الشارع أمام المتحف البريطانى . الوقت الساعة ١١ مساء،

علامة التعرف : جريدة تحت الإبط الأيسر ، كلمة السر : تحياتى إلى ما يكل . وفى أول سبتمبر يجب أن يطير أليك إلى لندن ، وقبل سفره يقصد إلى مصنع اليورانيوم فى منطقة بتاواوا . وقد قال إنه لا بد أن يعود فى العام القادم ليقضى شهراً فى كندا . أعطيناه خمسمئة ريال . جرانت » .

أما البرقية رقم ١١٩٥٥ فكانت رداً على هذه ، وهذا نصها : « إلى جرانت : الترتيبات الموضوعة للاجتماع غير مرضية ، وأنا أبعث إليك بترتيبات أخرى :

١ — المكان : أمام المتحف البريطانى على شارع جريت رسل على الجانب المقابل له من الشارع . ويقبل أليك من شارع توتنهام كورت ، ويقبل رجل الاتصال من سوثمبتن رو .

٢ — الوقت : الساعة الثامنة.

٣ — إشارة التعارف : يتأبط أليك تحت ذراعه اليسرى جريدة التيمس ، ويحمل رجل الاتصال فى يده اليسرى مجلة بكتشر بوست .

٤ — كلمة السر : رجل الاتصال « ماهو أقصر طريق إلى ستراند؟ » أليك : « تعال معى فإنى ذاهب إلى هناك . المدير » .

وكان من الجلى لرئيس الوزراء ومن معه أن معرفة « أليك » مسألة على أعظم جانب من الاستعجال ، وإلا فإن كل تدبير اتخذ للاطمئنان على سرية القنبلة الذرية وتحسينها وصناعتها قد يصبح عديم القيمة ، غير أن ما كنزى كنج رئيس الوزارة رأى أن المسألة من الدقة بحيث لا يمكن أن تعالج إلا بالتشاور الشخصى بينه وبين الرئيس ترومان ورئيس الوزارة البريطانية أتلى :

وقد قال فيما بعد على سبيل الإيضاح لمجلس العموم الكندى: « لقد كانت مسألة لا يمكن ائتمان البرقيات عليها » .

وفى ٢٨ من سبتمبر غادر مكنزى كنج أتوا ، وفى اليوم التالى عقد مؤتمراً مع الرئيس ترومان فى وشنطن بسط فيه الخطة العامة لمؤامرة التجسس السوفيتى، ثم استقل الرئيس الكندى الباخرة كوين مارى من ميناء نيويورك .

وكان المستر أتلى رئيس الوزارة البريطانية فى قصر شيكرز مقره الرسمى ، وكان قد أبلغ الغرض من رحلة كنج وعرف وجه الاستعجال فيها ، فدعا كنج إلى الحضور على الفور ، وقبل أن تمضى بضع ساعات دعى كبير رجال اسكتلنديارد إلى قصر شيكرز .

ووكل إلى الليوتننت كولونل لينارد بيت

من رجال الفرع الخاص باسكتلنديارد مهمة الاهتداء إلى شخصية أليك، والإشراف على مراقبة الاجتماع السرى الذى سيعقد فى مساء اليوم التالى السابع من أكتوبر. فبعث الكولونل برت فى طلب مفتش البوليس السرى ولیم وایتهید ، ودرسا معاً القرائن التى تضمنتها برقيات موسكو.

وكان من الأنباء البالغة القيمة أن أليك سيعمل فى كلية الملك بشارع ستراند.

« وإذا كان يعرف أى شىء عن النشاط الذرى فالأرجح أنه من علماء الطبيعة. فلنبحث هل سافر إلى كندا أخيراً أى واحد من رجال هذه الكلية » .

وقصد برت ووايتهيد إلى كلية الملك ، فقال لهما رئيس قسم الطبيعة على الفور : « إنه الدكتور ماى ، فقد كان يعمل فى مشروع الطاقة الذرية فى مونتريل » .

فبحث برت فى صفحات سجل الكلية فوجد فيه هذه النبذة : « الدكتور ألن نان ماى ، معيد بالجامعة ، ستافورد تيراس كنجستن . أقدم الأعضاء فى قسم الطبيعة الذرية فى شركة الصناعات الكيميائية » .

فهل هذا هو أليك الذى ورد ذكره فى برقيات موسكو ؟ وظهر من صورته أنه رجل قصير أصلع ضيق العينين، وله شاربان، ويتخذ نظارات لها إطار معدنى. وكاد يكون مما لا يصدق أن يكون هذا الرجل الوديع المظهر فى مقام يهدد أمن العالم.

على أن الخطوة التالية كانت مع ذلك واضحة، فأرسل لفيف من الرجال إلى ستافورد تيراس، وهو شارع هادىء فيه صفوف من المساكن ، وسرعان ما صارت العيون المختبئة بحيث تستطيع أن ترقب العالم الطبيعى ، ووضعت ترتيبات أخرى لمراقبة منطقة المتحف البريطانى .

ولما دنا موعد الاجتماع ، كان الذى يراقب الدكتور ماى يراه على كرسى يدخن وقدماه فى نعلين ، أمام نافذة بيته فى الدور الأرضى ، وإذا كان مشغولا بشىء آخر أهم من الكتاب الذى يقرأ فيه ، فإن ذلك لم يبد عليه ، فما تحرك بعد أن جاوزت الساعة الثامنة ، ولم يحدث شىء حول المتحف أيضا.

وتلقى الكولونيل برت التقارير من فريق المراقبة ، فأدرك أن الأمور — على الأقل فى الوقت الحاضر — لامتقدّم فيها ولا متأخّر .

وأرسلت من اسكتلنديارد رسالة إلى الشرطة الكندية لتستقصى مبلغ انطباق رحلات الدكتور ماى على ما ورد عن أليك فى برقية « جرانت » رقم ٢٤١ إلى المدير فى موسكو .

وكان رئيس مشروع الطاقة الذرية فى مونتريل وتشوك ريفر حيث مصنع بتاواوا هو الدكتور دوجلاس كوكروفت وهو عالم ذو شهرة دولية . وقد أظهرت سجلات الدكتور كوكروفت ، أن الدكتور ماى زار مصنع بتاواوا مرتين ، وكانت الثانية فى الثالث من ديسمبر ، وأنه قام بعدة رحلات أيضاً إلى معامل الأبحاث الذرية فى مدينة شيكاغو حيث اشترك فى تجارب مع علماء الولايات المتحدة . وقد سافر إلى إنجلترا بعد بضعة أيام من زيارته لمصنع بتاواوا فى الثالث من سبتمبر ، والمقرر — كما ورد فى البرقية — أن يعود فى العام المقبل ليقضى شهراً هناك .

ولم يكن ثمة عالم آخر جرى على نفس هذا المنهج ، أو ينوى أن يعود فى العام القادم ! فالأمر واضح إذن .

وأرسلت المعلومات الخاصة بالدكتور ماى إلى مركز الأبحاث الذرية بوشنطن حيث عرضت على الفور على الجنرال ليزلى جروفز .

ومن المبادىء الأساسية فى قلم المخابرات العسكرية للولايات المتحدة ، أن الذين يعملون فى المشروعات السرية لا يجوز أن يطلعوا على أكثر مما يحتاجون إليه لمباشرة عملهم . وهكذا حدث قبل شهور ، أنه لما اقترح مجلس الأبحاث القومى فى كندا أن يسمح للدكتور ماى بزيارة الولايات المتحدة لمدة شهر ، عرض الطلب على الجنرال جردوفز نفسه .

فبعث الجنرال جروفز يطلب الملف الخاص بالدكتور ماى ، فوجد فيه أن الدكتور ماى سبق له أن زار معامل الأبحاث الذرية بشيكاغو ثلاث مرات ، «وأن زيارته الثالثة وقعت بين ٢٥ من سبتمبر و ٣٠ من أكتوبر ١٩٤٤ . وقد قام بعمل واسع النطاق بالتعاون مع غيره من العلماء فى ميدان سرى جداً وعلى جانب عظيم من الخطر . وأسفرت رحلته عن رسالة علمية شاركه فيها عالم أمريكى » .

وبدا للجنرال جروفز أن زيارة رابعة يقوم بها الدكتور ماى تجىء مناقضة للمبادىء التى يتطلبها الاطمئنان والأمن ، لأنها تسمح له بأن يطلع على أكثر مما يجب مما يجرى فى أجزاء شتى من مشروع الطاقة الذرية ، ومن أجل ذلك كان رده — بلطف ولكن بحزم : « كلا ! » .

وإذا كانت أسرار خطيرة فى ميدان الطاقة الذرية لا تزال فى أمان ، فإن فضلا كبيراً يرجع إلى ما قرره الجنرال جروفز من إقصاء الدكتور ماى . فقد قالت لجنة التحقيق الكندية الملكية : « لقد أخفق

السوفيت فى الحصول على تفاصيل صنع القنبلة الذرية ... لأنه لم يكن فى كندا أحد يستطيع أن يطلعهم على ذلك » .

وفى أثناء ذلك كان الدكتور ماى فى لندن تحت المراقبة الدائمة، فأحصيت عليه وسجلت كل حركة فى وقتها . ومرت الأسابيع فصار من الجلىّ أن الأمر لا يخرج عن احتمالين : أنه لا يبذل مجهوداً للاستجابة لبرقية موسكو ، أو أنه تلقى تحذيراً فسكن . ولكن إذا كان رؤساء الجواسيس لا يستعجلون ، فإن اسكتلنديارد تستطيع أن تقابل صبرهم بمثله، مضافاً إلى ذلك دؤوبها وصدق عزمها .

وواصل رئيس الوزارة الكندية ماكنزى كنج فحص هذه الوثائق وما لها من شأن سياسى خطير ، مع المستر آتلى رئيس وزارة بريطانيا والمستر بيفن وزير الخارجية . ولما كان مقرراً أن يجتمع ممثلو الدول الكبرى الأربع فى ديسمبر ، فقد أدركوا أن أى كشف قبل الأوان عن مؤامرة التجسس ، قد يقضى على كل أمل فى الاتفاق . وبلغ من تعقد المسألة أن قرر كنج وأتلى أن يعبرا المحيط ويباحثا الرئيس ترومان .

ويبدو الآن أن رد الفعل فى موسكو للاجتماع الذى دام ثلاثة أيام ، كان لا يخلو من دلالة. فبينما كان ترومان وأتلى وكنج مجتمعين على ظهر اليخت سيكويا الراسى فى مياه نهر البوتوماك ، كان السوفيت يحتفلون بالعيد الثامن والعشرين للثورة، وخطب مولوتوف ثمانين دقيقة فقال بصراحة :

« ليس من الممكن فى الوقت الحاضر أن يظل أى سر فنى ذى قيمة كبيرة ملكاً مقصوراً على دولة واحدة أو أية دائرة ضيقة من الدول . وسوف نظفر بالطاقة الذرية وعدة أشياء أخرى أيضاً » .

ولما عاد كنج إلى أتوا صحبه أتلى ليطلع بنفسه على كل ما جدّ فى هذا الموضوع .

وكان أول هم للمحققين أن يتقوا إزعاج الكولونل زابوتين ، إلى حد يدفعه إلى تنبيه المتآمرين فى كندا وتحذيرهم . ومع أن الملحق العسكرى الروسى عرف أن بعض الوثائق فقدت ، إلا أنه كان من المعتقد أن الملحق لا يدرى أن جوزنكو جاء بملف البرقيات التى سلمت إليه قبل شهور ليحرقها. وكان مما يعتمد عليه المحققون أيضاً خوف زابوتين من عقاب موسكو له . وعلى هذا فإن من الممكن أن يكون الكولونل زابوتين — خوفاً منه على حياته — قد هوّن من أمر الوثائق الضائعة، وأنه كتب فى تقريره أن الحادثة كانت «اختلاس أموال» ،

كما دلت على ذلك البرقيات الدبلوماسية المتبادلة .

ومهما يكن من ذلك فإن الواقع أنه فى شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر كان الكولونل زابوتين وأعوانه يتصرفون كأنه لم يحدث شىء .

وفى خريف ١٩٤٥ حصل تقدُّم عظيم فى الاهتداء إلى رؤساء فى جماعة التجسس .

وكان بين الوثائق سجل للرسائل رتب فيه زابوتين كل ما بعث به إلى موسكو فى الخامس من يناير ١٩٤٥ ، وقد أدرك المفتش ليوبولد أن هذا هو مفتاح السر كله، لأنه كشف عن نوع المعلومات المرسلة ، وذكر المصادر أيضاً .

وكانت الرسالة رقم ١٧٥ باسم « نورا » وهى تشتمل على برقيات رقم ١٠ واستفهامات رقم ٣ وصور شمسية رقم ١١ » . وتذكر جوزنكو أنه كتب البرقيات بالشفرة ، وكان قد أمر بأن يحرق الأصول ولكنه أخذها من الخزانة ، وهى الآن فى يد الحكومة الكندية .

وكانت الأصول عبارة عن نسخ من برقيات سرية واردة من إنجلترا ، ولا تزال محتوياتها إلى اليوم من خطر الشأن بحيث لا يمكن إذاعتها . وفيها أمور لا تتعلق بكندا وحدها ، وإنما ائتمنت عليها كندا من حكومات أخرى . فما لم تسدّ هذه الثغرة ، فإن الضرر قد يصيب العلاقات بين كندا والدول الصديقة . ومن أجل هذا كان الاهتداء إلى « نورا » مسألة لها المقام الأول.

وكان من حسن الحظ أن جوزنكو عرف اسمها — « إمّا وويكن ».وقد شهد فى هذا بما يأتى :

ج — كل ما أعرفه عن إمّا وويكن أنها تعرفت بالماجور سوكولوف ، فاقترح عليه الكولونل زابوتين أن ينتفع بها ( جاسوسة ) .

س — هل كنت حاضراً ؟

ج — نعم ، كنت فى الغرفة واقترح سوكولوف أن يعرض عليها أن تعمل جاسوسة فى أكتوبر ١٩٤٤ ، على أنه استخدمها قبل ذلك بكثير . وقد قالت إنها قد تستطيع أن تعمل كاتبة اختزال أو كاتبة فى مكتب المستشار التجارى ، وإنها تحب روسيا وتودّ أن تساعدها .

وفى وزارة الشئون الخارجية الكندية أخرج كاتب فى قسم المستخدمين ملف إما وويكن، فإذا فيه أنها موظفة فى قسم الشفرة منذ فبراير ١٩٤٤ ، ويشهد رؤساؤها بأنها موظفة هادئة مجتهدة .

وظهر من سيرة حياتها أنها ولدت في ١٩٢٠ فى ولاية ساسكتشوان بكندا من أبوين روسيين . وفى سنة ١٩٤٣ اجتازت امتحان خدمة الحكومة فى الاختزال ، وهى تتكلم الروسية والإنجليزية . وقد عينت فى مصلحة الجوازات ، ثم نقلت فيما بعد إلى قسم الشفرة ، حيث كانت تطلع على جميع البرقيات الدبلوماسية وعلى نظام الشفرة أيضاً .

وفى اليوم التالى حين حضرت إمّا إلى مكتبها وجدت أنها أعيدت إلى قسم الجوازات. فسألت : « ماذا حدث ؟ أليس يرضيهم عملى ؟ »

« لا لا . لا شىء من ذلك — أظن أن الوظفين قليلون فى مصلحة الجوازات ، وهم هناك مفتقرون إلى فتاة مجربة مثلك » .

وبهذه الطريقة طمع أولو الأمر فى سدّ الثغرة ، وفى أن يخفوا فى الوقت نفسه مبلغ ما وقفوا عليه وعرفوه . وكان هناك وكلاء كثيرون لا تزال شخصياتهم مجهولة ، فليس من الحكمة المخاطرة بعمل يحملهم على المبادرة إلى التستر .

وبعد الانتهاء من أمر « نورا » راجع المفتش ليوبولد مرة أخرى مفتاح لغز الجاسوسية — سجل الرسائل فى يوم ٥ فبراير ١٩٤٥ — وفيه مذكرة رقم ١٠٦ ، وأخرى رقم ١١٠ مكتوب عليها أنهما « صورة » و « صورة مختصرة » من رسائل سرية من السفير الكندى فى موسكو إلى رئيس الوزارة ماكنزى كنج ، وأن « إيلى » هو المصدر .

وكان جوزنكو قد حمل معه فضلا عن ذلك برقية من المدير فى موسكو إلى الكولونل زابوتين يشير فيها إلى « إيلى » .

فسأله المفتش ليوبولد : « من كانت إيلى هذه ؟ »

فقال : « قبل أن أترك السفارة، ألقيت نظرة على الملف الخاص بها ـ اسمها ويلشر، وهى تعمل فى مكتب المندوب السامى لبريطانيا هنا فى أتوا » .

وكان المندوب السامى البريطانى فى كندا هو مالكوم ماكدونالد ابن رئيس الوزارة البريطانية الأسبق رامزى ماكدونالد ،وقد راعه أن يكون أحد موظفيه محل ارتياب .

وكانت الموظفة الوحيدة عنده التى تعرف باسم ويلشر ، هى كاثلين مارى ويلشر ، وكانت تطلع على كل رسالة واردة أو صادرة، وعلى البرقيات ، واللفات السرية . وكانت فوق الأربعين بقليل ، وهى هادئة رقيقة الكلام ، وعملها متقن ، وكان مظهرها أقرب إلى مدرّسة حسنة الوجه منه إلى الجاسوسة .

ولما كانت الحاجة إلى التكتم لا تزال

شديدة بحيث لا يمكن حتى أن تستجوب . فقد كانت الوسيلة الوحيدة الباقية أمام أولى الأمر هى أن يضعوها تحت المراقبة ، وأن يغيروا عملها تدريجاً حتى لا يتيسر لها بعد ذلك الحصول على معلومات مهمة .

أما وقد عرف « أليك » و « نورا » و « إيلى » وصاروا تحت المراقبة ، فقد راجع ليوبولد طائفة من الأسماء الأخرى — « باك » و « باجلى » و « وبادو » . وكان فريق « ب » قد تغلغل إلى مجلس الأبحاث القومية — حارس أسرار القنبلة الذرية .

ومن حسن الحظ أن جوزنكو كان قد نقل معه من السفارة وثيقة فيها بيان لنشاط هـذا الفريق ، وورقة مكتوبة باللغـة الإنجليزية على الآلة الكاتبة ، فى أسفلها هذا التحذير : « احرقها بعد درسها » ، وهى تحوى التعليمات السرية الصادرة إلى «باك» ، رئيس فريق «ب» ، من مساعد الكولونل زابوتين ، الليوتننت كولونل روجوف . وفيها ما يلى :

« رموز فريقك ستكون :

«جان (روجوف) .

«باك (اسم مستعار) — ج . لونان بادو — دورنفورث سميث باجلى — نيد مازيرول .

«وأنت وحدك الذى يعرفنى باسم (جان) ولا يعرفه غيرك » .

ولم يحتج المفتش ليوبولد أن يراجع دفتر تلفونات أتوا من أجل لونان ، فقـد كان فى الملف المأخوذ من السفارة الروسـية عنوانه وصناعته — مراسل للجريدة العسكرية «الشئون الكندية» . وجاء فى أحد السطور «مدة العمل فى الشبكة* من مارس ١٩٤٥» .

ولكى يكون الملف أوفى ، كان فيه تقرير من «باك» إلى روجوف مؤرخ فى ٢٨ مارس بعد أسابيع قليلة من دخوله فى الشبكة ، ويستفاد منه أن السوفيت ، قبل إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما بشهور ، تنبهوا إلى جهود كندا والولايات المتحدة لحل مشكلات الطاقة الذرية .

«فهمنا تعليماتك المكتوبة ، وقد تم عمل تمهيدى فى المهمات الخاصة المعينة وقد أخبرنى بادو أن هذا العمل السرى يجرى فى الوقت الحاضر فى طبيعـة نواة الذرة — قذف المواد ذات النشاط الإشعاعى لتوليد الطاقة . والتكتم فى هذا أشد منه فيما يتعلق بالرادار ، والعمل يجرى فى جامعـة مونتريل وجامعة ماك ماستر . وسنوافيكم فيما بعد بتفاصيل أوفى . باك . »

* الشبكة يراد بها هيئة الجاسوسية السوفيتية .

وكانت هناك وثائق أخرى ، اثنتان منهما تبرزان بروزاً قوياً ، الأولى بخط روجوف عن بادو وفيها :

« يطلب بادو الإذن فى التحول إلى العمل الخاص باليورانيوم » .

والثانية برقية من برقيات « جرانت » إلى المدير ، وقد جاء فيها :

« تلقينا من بادو ١٧ وثيقة من الوثائق البالغة السرية،والسرية،وهى إنجليزية وأمريكية وكندية ،وتبلغ فى جملتها نحو ٧٠٠صفحة.واستطعنا فى خلال اليوم أن نصور كل الوثائق ، وفى الأيام التالية القليلة سنتلقى مثل هذا القدر من الوثائق تقريباً لمدة تتراوح بين ثلاث ساعات وخمس ساعات.وأرى من الجوهرى أن نفحص كل ما فى مكتبة الأبحاث . جرانت » .

وقد أدهش عظم نطاق هذا السعى المفتش ليوبولد نفسه .

وعين المفتش رجالا ليعرفوا المقر الراهن لكل من « باك » و « بادو » و « باجلى » ومراقبتهم . وقد ظهر أن لونان ( باك ) لايزال يعمل محرراً فى صحيفة « الشئون الكندية » . ولما كان رجل اتصال وحسب ، وليس له سبيل إلى الوقوف على معلومات سرية فى ميدان عمله ، فقد رؤى أنه ليس من الضرورى السعى إلى نقله من عمله بأوامر من الجهات العليا .

ولم يكن أحد فى مجلس الأبحاث القومى يعرف باسم دورنفورث سميث (بادو)، ولكن كان هناك من يدعى درنفورد سميث وهو متخرج من جامعة ماك جيل فى الرياضيات والطبيعة ، وقد عمل خمس سنوات فى شركة بل للتلفونات بمونتريل ، قبل أن يلتحق بمجلس الأبحاث . ولما كان عمله يسمح له بالاطلاع على السجلات السرية ، فقد اتخذت التدابير لنقله إلى مكان آخر .

وكان الذى أقصى بعد ذلك هو «باجلى» — نيد مازيرول، الذى ظهر أنه إدوارد ولفريد مازيرول ، وهو يحمل درجة بكالوريوس علوم فى الهندسة الكهربائية ، وعضو فى المعهد الأمريكى للمهندسين الكهربائيين ، وقد اشتغل بشركة وستنجهاوس الكندية وهيئة الإذاعة الكندية ، وفى سنة ١٩٤٢ التحق بمجلس الأبحاث القومى فى القسم الخاص بالرادار . وهو رجل طويل عريض الكتفين كبير الرأس منفوش الشعر ، وقد تزوج موسيقية كندية مشهورة بعزفها على البيانو .

وقد وجدت فى مذكرات شتى كتبها الكولونل روجوف ، عبارات تدل على أنه فى الرابع من إبريل دفع المبالغ الآتية : « باك » مئة ريال ، « بادو » خمسين

ريالا ، « باجلى » ثلاثين ريالا . وفى الثانى من مايو مذكرة أخرى تدل على أن مئة ريال دفعت إلى « باك » .

وكانت المبالغ من الضآلة بحيث كان من الجلى أن المال نفسه لم يكن هو الذى أغرى الوكلاء السريين بأن يفعلوا ما فعلوا ، فهناك باعث على الخيانة أسوأ من الرشوة .

وقد يسر دفتر البريد الخاص بزابوتين الوسيلة إلى معرفته أحد الرؤوس وراء المؤامرة كلها . فقد كان فيه هذه المذكرة :

« ١٠٨ — ديبوز — مذكرات
— قرارات الجلسات السرية للبرلمان
— صفحة ١ »

وكان البرلمان قد عقد جلسة سرية فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٤ بحث فيها موضوع توزيع القوات الكندية على وجه جديد بعد انهيار ألمانيا .

وكان قد وضع نظام فهرس دقيق معقد لتعقب الأسماء الرمزية العديدة التى ظهرت فى القضية ، وقد تطلب هذا أخذ عدة صور من كل وثيقة بحيث صارت القرائن الخاصة بكل اسم مجتمعة فى ملف واحد ، وكان بعض الملفات يبدو خاليا ، والبعض يكاد يحطم ما يمسكه من غلاف معدنى ، وبين هذه ملف « ديبوز »

وقد شعر المفتش ليوبولد بالعطف على الصناع القدماء الذين كانوا يصوغون الفسيفساء من قطع كثيرة ملونة من الحجر والزجاج، فإنه هو أيضاً يجمع القطع الصغيرة من الأخبار ويحاول أن يرسم صورة « لديبوز » ، وكان من بين القطع النقط الآتية التى كانت أبعث من سواها على الأمل. والأولى هى :

« إلى المدير
« أعيد انتخاب ديبوز للمرة الثانية عضواً فى برلمان الاتحاد الكندى ، وهكذا صار لنا هناك عضو من الأعوان . جرانت » .

والثانية سطر واحد من مفكرة للكولونل روجوف ، وهو :

«فريد ديبوز ـ تكلم بصفه عامة»

والثالثة فى صحيفة ممزقة من المفكرة التى سلمها الكولونل زابوتين لجوزنكو ليحرقها وهى :

« فريد — مدير الاتحاد . كان يشتغل قبل ذلك عند الجيران » .

والرابعة إشارة أخرى من المفكرة الممزقة :

« الاتصال فى وشنطن بشخص ديبوز ، لوضع ترتيبات للاجتماع ، صرف ٦٠٠ ريال » .

والخامسة أيضاً من الصفحات الممزقة :
«عمل فريد ـ الجماعة فى مونتريل
(العاملين) » .

فما معنى كل هذا الكلام المختلط ؟ وجه المفتش ليوبولد السؤال إلى جوزنكو ، فقال إن كلمة « الأعوان » التى وردت فى العبارة الأولى هى الكلمة الرمزية للحزب الشيوعى ، وظهر من العبارة الثانية أن « ديبوز » كان يعرف أيضاً باسم «فريد» ، والعبارة الثالثة التى وردت فيها كلمة «الجيران» دلت على أن « فريد » كان يعمل من قبل للبوليس السرى ، وكشفت الرابعة عن أن « ديبوز » وكل إليه أن يتصل فى الولايات المتحدة بوكيل فى وشنطن ، وأظهرت العبارة الخامسة أن « فريد » رئيس الجماعة من العاملين فى مونتريل .

وبهذه التفسيرات أصبح فى وسع القارىء العادى للصحف الكندية أن يحل لغز شخصية « ديبوز ـ فريد » فما كان هناك سوى عضو شيوعى واحد فى البرلمان هو فريد روز من مونتريل .

وروز هذا رجل قصير حادّ الطبع جاء إلى كندا من لوبلن فى بولندة ، مع أبويه ، وكان يومئذ فى الثالثة عشرة ، واكتسب الجنسية الكندية فى ١٩٢٦ ، وانضم إلى عصبة الشباب الشيوعى ، وصار السكرتير العام فى ١٩٢٩ ، وزار روسيا فى ١٩٣٠ ، وفى ١٩٣١ حكم عليه فى قضية فتنة وسجن سنة .

وكان فى أول الأمر كزملائه الشيوعيين يعترض أشد اعتراض على الحرب مع ألمانيا ، فصدر الأمر باعتقاله ، ولكنه ظل مختبئاً إلى سبتمبر ١٩٤٢ حين سلم نفسه ، وعينت لجنة استشارية من كبار الكنديين لإعادة النظر فى أمره فجاء فى تقريرها :

« ومع أن اللجنة لم تتأثر برأيه وما يقدّره لنفسه من خطر الشأن ، إلا أنها ترى أنه سيتبع نهج الحزب فى تأييد مجهود كندا الحربى ، وأن إطلاق سراحه صار لا يسىء إلى سلامة الدولة » .

وإذا روعى ما حدث بعد ذلك تبين أن ماذهبت إليه اللاجنة كان إسرافاً فى التفاؤل .

وفى السادس من أكتوبر ١٩٤٢ وقّع روز عهداً بأن لا يشترك فى نشاط الحزب الشيوعى فى كندا أو أية هيئة يسيطر عليها الحزب ، وأقسم أن يحرص على اجتناب الإفضاء بأى معلومات تتعلق بالحرب ، ووعد أيضاً بأن لا يأتى « أى عمل من شأنه أن يسيء إلى كندا أو إلى حلفائها » .

وما كاد حبر توقيعه يجفّ حتى نكث عهده ، لفظاً ومعنى ، فلم يكتف بالقيام بدور رئيس فى تنظيم جماعة « ب » من

الوكلاء فى مجلس الأبحاث القومى ، بل كان على صلة بأربع عشرة جماعة أخرى كان يزوّدها بالتعليمات والمشورة .

ولم يتخذ أى تدبير من شأنه أن ينبه فريد روز عضو البرلمان إلى أن دوره المزدوج قد انكشف ، فظل يظهر فى مجلس العموم ، ويشغل مكتبه فى دار البرلمان ، ويقيم فى مسكنه الحسن مع زوجته وابنته ، ولكن اتصالاته صارت تحت المراقبة ، ولم تكن تمضى لحظة من الليل أو النهار لا يعرف فيها أحد المخبرين أين هو ، وماذا يصنع .

وفى هذا الدور اتضحت شخصيات عضوين من الأعضاء الرئيسيين فى جماعة روز التى كانت تسمى « فريق مونتريل » .

ويجب أن يعرف القارىء أن جوزنكو وإن كان قد انتقى وثائق السفارة ببراعة مدهشة وحكمة عظيمة ، لم ير قط أحداً من الوكلاء الكنديين . فلم يكن يستطيع أن يشير إلى شخص ما ، ويقول هذا هو الذى يسمى كذا أو كذا فى التقرير الفلانى ، فكان على الذين يقومون بالتحرى أن يبحثوا بأنفسهم عن القرائن فى الوثائق ، وكان معوّلهم على الاجتهاد فى البحث .

وكان الذى هداهم إلى الأثر الدال على أول الوكلاء بمونتريل ، فقرة من مفكرة الكولونل زابوتين :

« فريق مونتريل ( العاملين )

« جراى : رئيس قسم الإدارة الخاصة بتوفير مواد الحرب للحلفاء . يحسن العمل . يقدم معلومات عن القذائف والمدافع » .

وبقية الملف الخاص بجراى غاصّ ، وهو يدل على أنه مصدر فياض بالتقارير السرية عن القذائف والمدافع والمفرقعات . وقد عثر المفتش ليوبولد على خير القرائن فى وثيقتين : الأولى برقية يتناول فيها الكولونل زابوتين إمكان اتخاذ جراى وكيلا سرياً فيما بعد الحرب ، وقد دلت البرقية على أن « جراى » مهندس جيولوجى وأن مرتبه من وظيفته ٤٢٠٠ ريال .

وقد دون المفتش ليوبولد على رقعة صغيرة ما يأتى : « مهندس جيولوجى — المرتب ٤٢٠٠ ريال — ربما كان رئيس فرع فى قسم الذخائر والمؤن » ، وشبك هذه الرقعة بالوثيقة الثانيـة ، وهى صفحة منتزعة من المفكرة المفككة ، ومكتوبة باليد باللغة الإنجليزية ، وفيها بيان « للإجراءات السرية فى مكتب المهمات » وكتب المفتش على رقعته « يراجع خط اليد » .

ثم تولى محقق مدنى الثياب من رجال الشرطة الكندية بحث ملفات فرع الذخائر

فى قسم الذخائر والمؤن ، فعثر على أصل الوثيقة ، وكانت رقم ٣١٫٧١٩ فى ملف سرى لمكتب المهمات . وظهر من السجلات أن هذه الوثيقة أعطيت لمن يدعى هارولد س . جيرسون ، وهو رئيس قسم ، وكان توقيعه مطابقاً للخط التى كتبت به الصفحات التى جاء بها جوزنكو من السفارة الروسية .

وجيرسون هذا من مواليد كندا ومن أبوين روسيين ، وكان مهندساً جيولوجياً ناجحاً فى عدة شركات للتعدين قبل الحرب ، وهو الآن رئيس قسم فى مصلحة الذخائر والتموين كما خمّن المفتش ليوبولد ، ويتقاضى ٤٢٠٠ ريال فى العام .

ولما ذهب رجال التحرى ليراقبوه ألفوه رجلا رَبْعة مدمناً تدخين الغليون ، وشعره أصفر جعد ، وعلى عينيه نظارة ذات إطار معدنى ، وهو فى هيئته أشبه بمدرس رقيق القلب فى جامعـة . وكان من العسير — كما هو الشأن فى غيره من أفراد العصابة — أن يقرن الإنسان شخصية هـــذا الرجل الظريف الذكى الركين بشخصية جراى الذى سجلت وثائق السفارة نصيبه من المؤامرة ، وقد وضع كغيره تحت المراقبــة إلى أن يحين الوقت للانقضاض عليهم .

وعاد المحققون إلى مذكرة الكولونل زابوتين فراعهم ، وهم ماضون فى العمل ، أن يجدوا كل هذا العدد الكبير من ذوى الشهرة العالية على صـلة بالمؤامرة . وكان أسوأ وجه للأمر كله فيما يرى المعنيّون بسلامة الدولة ، أن وكلاء السوفيت استطاعوا أن يجـدوا أشخاصاً أذكياء موهوبين مستعدين لخيانة بلادهم .

وبلغ من عمق وقع هـذه الظاهرة أن اضطر ونستن تشرشل أن يصرح فى مجلس العموم بقوله : « إن بلاداً كثيرة تسعى للحصول على معلومات عن شئون البلاد الأخرى — ولا شىء فى هـذا ، ولكن الفرق بين النظام السوفيتى وغيره من النظم ، هو أن الجماعة الشيوعية ترى أن من الأمور التى ترتفع إلى منزلة العقيدة الدينية أن يضحى الإنسان بوطنه فى سبيل الغاية الشيوعية » .

وإلى هنا كان الباحثون يسيرون سيراً رُخاءً إلى حدّ ما ، فقد استطاعوا أن يهتدو إلى كل واحـد من أصحاب الأسماء المستعارة وأن يراقبوه ، أما الآن فقـد شرعوا يعالجون ما هو أشقُّ وأعوص .

مثال ذلك أنه كان هناك وكلاء فى « فرقة مونتريل » التابعة لفريد روز تبدأ أسماؤهم بحرف « ج » ، وأحدهم يعمل فى مصنع للدبابات ، ومنهم صاحب صيدلية ،

ومنهم أيضاً سيدة هى زوجة بدال ، وإلى اليوم لم يتيسر الاهتداء إليهم .

وقضى رجال الشرطة الكندية ثلاثة شهور يرتادون تيه القرائن المتعلقة بعصبة التجسس ، وكشفوا عن مقدار من الأدلة لا يكاد يصدقه العقل . وكان ما كنزى كنج رئيس الوزارة ، وهو يرى دلائل الإثبات تتضخم بين أيدى المحققين ، ويجعل باله إلى الحالة الدولية العاصفة ، يتساءل حتى متى يستطيع أن يرجىء القيام بعمل حاسم ؟

وجاء أول نذير بالمتاعب فى الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩٤٥ ، إذ غادر الكولونل زابوتين كندا فجأة ، ولم يبلغ الحكومة الكندية التى يمثل دولته لديها ، وقد ظلت الباخرة السوفيتية ( ألكسندر سوفوروف ) راسية فى ميناء نيويورك حتى صعد إليها ، وكان حرس الجمرك فى الولايات المتحدة هم آخر من عُرف أنهم رأوه حيًّا ، فقد شاع بعد ذلك أنه أصيب « بأزمة فى القلب » قضت عليه بعد أن عاد إلى موسكو بقليل .

وبعد بضعة أيام طاف ج . ن . زاروبين السفير الروسى بمكاتب الحكومة الكندية ، وقال إنه عائد إلى موسكو لاستشارات عادية ، وإنه لا يقول « وداعاً » بل « إلى الملتقى » ، ولكنه لم يعد بعدها .

وكان من الجلى أن موظفى السوفيت أدركوا الآن فى أى شىء تستخدم وثائق جوزنكو ، وفى مستهل ١٩٤٦ صار من الواضح أن الحوادث صائرة إلى أزمة ، فقد أخفق مؤتمر وزراء الخارجية بموسكو ، وفى الخامس من فبراير صدر مرسوم رقم ٤١١ عهد بقضية التجسس إلى لجنة تحقيق ملكية يرأسها اثنان من قضاة المحكمة العليا بكندا ، هما القاضى روبرت تاشيرو ، والقاضى ر . ل . كيلوك .

واللجنة الملكية — مادامت منعقدة — تعد هيئة مستقلة تمام الاستقلال ، وقراراتها لا يعاد فيها النظر ، ولا تراجع ولا تستأنف . ووظيفتها أن تقوم بالتحقيق وأن تقدم تقريرها إلى الحاكم العام فى مجلسه ، وهى صاحبة الرأى — على خلاف المحكمة — فى الإجراءات التى تتبعها ، ولها أن تتلقى أى شهادة أو دليل تشاء ، وهى من هذه الوجهة أقدر على تبين الحقائق من المحكمة المقيدة بقواعد صارمة فيما يتعلق بجواز قبول الإثبات . غير أن اللجنة لا تستطيع تنفيذ ما تنتهى إليه من النتائج ، فإذا أدى تقريرها إلى إقامة الدعوى كان بها ، لأن المحاكم وحدها هى التى لها الحق فى توقيع العقوبات .

وكان التكتم لا يزال مرعياً ، لأن تسرب

أى خبر قد يحبط الأمر كله ، على أنه فى صباح اليوم الرابع عشر من فبراير أوفد مستشار اللجنة الملكية رسولا إلى وزارة العدل يطلب القبض على اثنى عشر رجلا من الذين تعقب نشاطهم رجال المباحث ، ومع أن أوامر القبض وأسماء المقبوض عليهم ستظل سرية ، إلا أن رئيس الوزارة أدرك أن مثل هذه الغارة الواسعة النطاق لن تمر دون أن يفطن لها أحـد ، فلا مفرّ من الإفضاء ببيان .

وأراد رئيس الوزارة أن يجعل مسلكه لا غبار عليه من وجهة النظر الدولية وقواعد البروتوكول ، فقرر أن يتحدث إلى القائم بأعمال السفارة الروسية فى أتوا ، وهو نيقولاى بيلوخفوستيكوف الذى ناب عن السفير زاروبين فى أثناء غيابه .

وهذه رواية ماكنزى كنج لما دار من الحديث : « قلت إنى سأفضى إلى مجلس العموم بأن دولة أجنبية لا أسميها تتجسس ، وتتلقى معلومات ، ولكنى أريد منه أن يعلم أن الدولة التى أشير إليها هى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، وإنى من ناحيتى على أتم استعداد للقيام بزيارة شخصية للمارشال ستالين للحصول على تفسير لهذه الحوادث المدهشة » .

وبينما كانا يتداولان ، كان رجال الشرطة الكندية يتهيأون ، وفى الصباح الباكر من يوم ١٥ من فبراير ضربوا ضربتهم ، وانقضوا على جامعة ماك جيل ، وجامعة مونتريل ، وجامعة تورنتو ، ومكتب الرقابة على القطع الأجنبى ، ومجلس الأبحاث القومى ، ولم يكن أحد ممن اعتقلوا فى ذلك اليوم يدرى أنه كان مراقباً منذ شهور .

ووقف رئيس الوزارة فى مجلس العموم يلقى على الأعضاء المشرئبين إليه بياناً موجزاً عما يجرى . « إن لدى هـــذه الحكومة معلومات لا شك فى صحتها تثبت أن أسراراً أفشيت إلى أشخاص لا صفة لهم ولا حق لهم فى الاطلاع عليها ، وفى جملتهم بعض أعضاء بعثة أجنبية فى كندا » .

وفيما وراء المحيط الأطلسى — بلندن — قرر الكولونل لينارد برت من رجال الفرع الخاص باسكتلنديارد أن يتحدث إلى الدكتور ألن نان ماى — الذى يدعى « أليك » فى برقيات موسكو — والذى زود السوفيت بنماذج من اليورانيوم ومعلومات عن القنبلة الذرية :

« هل تعلم يادكتور ماى أن معلومات تسرّبت من كندا عن الطاقة الذرية ؟ »

فنظر إليـــه الدكتور ماى بثبات وقال بهدوء : « هذه أول مرة أسمع فيها هذا » .

« وهل تعلم أننا نعلم أنه كان بينك وبين بعضهم فى لندن موعد فى هـذا الصدد ، وأنك أخلفته ؟ » .

فلم يجب الدكتور ماى بشىء .

وكان الكولونل برت ورجال اسكتلنديارد لا يرون المبادرة إلى القبض عليـه ، لأنهم كانوا يرجون أن يهتدوا عن طريقه إلى جاسوس آخر ، ولهـذا لم يفعلوا شيئاً فى ذلك الوقت .

وفى أتوا ، كانت لباقة الشرطة الكندية وكفايتها تخفيان نشـاطاً محموماً ، أو كما قالت اللجنة الملكية : «إن مدى تشعب هيئة الجاسـوسية ، وشخصية جميع وكلائها ، لم يكونا معروفين إلى اليوم الرابع عشر من فبراير ، فقد كان هناك عدد من اوكلاء مذكورين فى سجلات السـفارة بأسماء مستعارة فقط ، ولم يستطع جوزنكو أن يرشد إليهم ، وكان من أهم الأمور أن يعرف أكبر عـدد ممكن منهم ، والطريقة التى يتبعها كل واحد » .

وكان أهم طـور فى البحث الذى كان يدور نهاراً وليلا فى روكليف ، هو الذى يتنـاول بواعث الوكلاء المتهمين . وكان المحققون لا يملون السعى للكشف عن السبب .

وكان معظم المشـتبه فيهم من المتعلمين تعلما عالياً ، ومن ذوى الاقتدار الملحوظ والذكاء العظيم . وللبواعث التى كشف عنهـا التحقيق دلالتها وخطرها ، لا لكندا وحدها بل للعالم أجمع .

ولم يكن ثم دليل على أن المال كان له دخل كبير فى إغراء هؤلاء الناس ، وكان كل شىء يثبت أن الباعث الأول هو ثمرة فكرة سياسية عززها التدريب والتعليم فى « فرق الدراسة » أو الخلايا الشيوعية . وقد وجدت اللجنة الملكية « أنه فى معظم الحالات كان الباعث متصلا أوثق الاتصال بمناهج التربية النفسية التى يتولاها فريق سرى فى جماعة هى فى الظاهر جماعة سياسية كندية ـ حزب العمال التقدمى ( الحزب الشيوعى فى كندا )، ومناهج هذه التربية النفسية السرية أوسع انتشاراً من شبكة الجاسوسية نفسها .

« ويبدو أن السياسـة العامة للحزب الشيوعى تقضى بصرف لفيف معين ممن يعطفون على الحزب، عن الانضمام إليه علناً ، وهؤلاء يدعون إلى الانضمام إلى الخلايا السرية، أو إلى فرق الدراسة. ويؤخذ هؤلاء الأعضاء السريون من طوائف شتى من الأمة من الطلبة والمشتغلين بالعلوم والمدرسين ، والموظفين ، والعمال فى الصناعة والتجارة ، والمشتغلين بأى نشاط إدارى، أو أية طائفة يحتمل أن تحصل على وظيفة حكومية .

« والغرض هو تعويد الشبان تدريجاً جو التآمر وأخلاقه . ومن السهل أن يتصور الإنسان التأثير العام الذى تحدثه فى نفس الشاب أو الفتاة ، تلك الاجتماعات السرية ، والمعارف السريّون ، والأغراض والخطط السرية . ويظهر أن هذا الأسلوب يراد به أن يتدرب الإنسان على أن تكون له حياة ذات وجهين ، ومقاييس من نوعين مختلفين » .

ولا سبيل إلى تقدير هذا الضرب من التجسس ومغزاه إلا على ضوء الفقرات السابقة ، وإلا فإن ظهور مثقفين موهوبين فجأة ، يعبثون بأسرار الدولة لا يكون مفهوماً .

وكان سلوك هارولد س . جيرسون الأستاذ الذى لا يكف عن التدخين ، مثالا لموقف هذا الفريق عند الاستجواب . وقد عرضوا عليه وثائق بخطه مأخوذة من ملفات السوفيت ، وأمامنا شهادة المفتش هارفسون عما حدث ، قال :

« سألت المستر جيرسون هل يعرف هذا الخط ، فقال إنه يشبه خطه جداً . فسألته هل كان يدون مذكرات عن الوثائق ، وهل كان عمله يقتضى أن يدون هـــذه المذكرات ؟ فقال إن من الصعب تحديد واجباته ، ولكنه دوّن مذكرات » .

« فقلت للمستر جيرسون : إنى سأقف الاستجواب مسافة أربع وعشرين ساعة ، وفى خلال هذه الفترة أريد منه أن يتروّى ويفكر فى هل هو مستعدّ بوصف كونه مواطناً كندياً ، أن يساعد حكومته ويزودها بأى معلومات تكون عنده عن التجسس السوفيتى ؟

« وفى اليوم التالى سألت المستر جيرسون عن قراره ، فقال إن هناك عـدة مسائل شخصية مرتبطة بالقرار يراها فى غاية الصعوبة ، وسألنى هل أسمح له بالتأجيل إلى ظهر يوم السبت ليصل إلى قرار ؟ »

« وفى ظهر السبت قال إنه وصل إلى قرار ، وإنه يدرك أن الصورة حالكة فيما يتعلق به ، وإنه ارتكب أخطاء ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش عيش المطمئن إذا باح بمعلومات من مثل أن فلاناً فعل كذا وكذا — وإذا أشار إلى هذا الرجل أو ذاك الرجل » .

هذا ، وقد حدث فى موسكو فى ٢٠ من فبراير أن أمر نائب وزير الشئون الخارجية سولومون لوزوفسكى بأن يستدعى القائم بأعمال السفارة الكندية ليون ميراند ، وشرع من توّه فى تلاوة بيان من صفحتين . ويحسن عند قراءة الفقرات التالية أن نكون على ذكر من وثائق السفارة التى أخذها جوزنكو :

« علمت الهيئات السوفيتية أن بعض رجال الملحق العسكرى السوفيتى فى

كندا تلقوا من بعض الرعايا الكنديين معلومات ذات صبغة سرية، لم تبد مع ذلك ذات شأن كبير للهيئات السوفيتية . وهذه الأخبار تشير إلى معلومات فنية لا حاجة بالهيئات السوفيتية إليها، لأن التقدم الفنى جاوز مداها فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية . وهذه المعلومات يمكن الاطلاع عليها فى كتب منشورة عن الرادار الخ ، وكذلك فى الرسالة المشهورة التى وضعها ج . د . سمايث الأمريكى عن « الطاقة الذرية »، ولذلك فإن من السخف أن يقال إن إعطاء معلومات سرية تافهة من هذا القبيل يمكن أن يهدد أمن كندا وسلامتها .

« على أن حكومة السوفيت بمجرد علمها بالأعمال السابقة الذكر ، استدعت من كندا الملحق العسكرى السوفيتى لعدم جواز القيام بهذه الأعمال » .

وقد كان طريفا أن يحاول البيان السوفيتى التهوين من شأن المعلومات . وبغض النظر عن كون التقدم الفنى فى الاتحاد السوفيتى قد جاوز مدى هذه المعلومات ، وهى مسألة تحتمل الخلاف ، فإن الواقع هو أن هيئة دقيقة النظام قد أقيمت للحصول على هذه المعلومات .

وعلى الرغم من الزعم بأن المعلومات الخاصة بالطاقة الذرية يمكن الاطلاع عليها فى كتب منشورة ، تبينت اللجنة الملكية أن هذه المعلومات السرية لم يكن قد طبع منها شىء فى الوقت الذى أخذت فيه . ولو أنها كانت طبعت ، لما كانت سرية . والذى يدل دلالة صادقة على قيمتها أن يكون رؤساء الجاسوسية السوفيتية قد عدّوها ذات خطر عظيم .

ولم يسمح بنشر كثير من الوثائق فى هذه القضية لأن اللجنة الملكية تبينت أن « بعض المعلومات سرى جداً حتى أنه لا يمكن الإشارة إليها إلا من بعيد وبأعظم حذر » .

وكان أعظم عمل خطير الشأن وفق فيه الحلفاء الغربيون فى الميدان الفنى ، بعد القنبلة الذرية ، هو الرادار . ولا يزال بعض التحسين الذى تم فيه يعد من أخفى الأسرار . وقد حصل الوكلاء السوفيت على معلومات فى هذا الميدان على أعظم جانب من خطر الشأن . ومن المسائل الهامة الأخرى ما يسمى « أسديك » وهو جهاز مضادّ للغواصات يعين على الاهتداء إليها . وقد قالت اللجنة الملكية إن « كثيراً من

المعلومات التى يمكن الحصول عليها فى كندا فى هذا الموضوع قد تسرب ، وربما كانت قد تسربت كلها » .

وثم موضوع آخر هو « فتيل ف. ت » وهو فتيل مدهش لإحكام رماية المدفعية ، ولا تزال التفاصيل الخاصة بترتيب أسلاكه وصناعته من الأسرار المحجوبة . ومع أن هذا الفتيل صنع أولا فى كندا سنة ١٩٤٣ إلا أن تفاصيل صناعته لا تعرف فى غير الولايات المتحدة . وهـذا الفتيل هو « القنبلة الكهيربية » التى ورد ذكرها فى بعض الوثائق السوفيتية ، وقد حصل أحد الوكلاء على رسمها . وجانب كبير من المعلومات التى كان الوكلاء يسعون للحصول عليها ، متعلق بتدابير الدفاع فيما بعد الحرب عن كندا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة . وكانت المعلومات التى سلمها إلى السوفيت أمثال جيرسون من هذا القبيل — بيانات عن الإنتاج، وأماكن الصناعات، والنقل ، والمشروعات ، والشئون المالية . وفى هذا تقول اللجنة الملكية: « إن جانبا من هذه المعلومات يمكن الانتفاع به فى أعمال التخريب الممكنة » .

وفى الثانى من مارس ١٩٤٦ أصدرت اللجنة الملكية تقريرها المبدئى الأول ، الذى رفع ستار السرية إلى حد يسمح بوصف بعض الأعمال التى قام بها الكولونل زابوتين، وإمّا وويكن ، وكاثلين ويلشر ، وجوردن لونان ، وإدوارد مازيرول . وقبل ذلك ببضعة أيام كان المفتش وايتهيد من رجال اسكتلند يارد بلندن قد قصد كلية الملك ووصل إليها حين كان الدكتور ألان نان ماى يختم محاضرة له على نظرية نواة الذرّة ، فلما أتمها أومأ إليه المفتش الذى كان ينتظر عند الباب .

وقال : « معى أمر بالقبض عليك ، وسأتلوه عليك حالا » .

فزمّ الدكتور ماى شفتيه وقال: «حسن. لقد كنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل».

وكان التحرّى فى خلال الشهور التى مضت منذ ظهرت علاقة اسم «أليك» المستعار بالتجسس على أسرار القنبلة الذرية — قد كشف عن حقائق أخرى فيما يتعلق بنشاطه. فلما واجهوه بهذه الوثائق ، كان من العسير عليه أن يفسر أعماله، وبواعثه أيضاً. وأخيراً قبل أن يكتب بياناً قال فيه :

« منذ نحو سنة ، بينما كنت فى كندا ، اتصل بى شخص لا أرى أن أبوح باسمه ، وطلب منى معلومات عن الأبحاث الذرية .

وكنت قد فكرت بعناية فى

صواب الاستيثاق من أن التقدم فى باب الطاقة الذرية غير مقصور على الولايات المتحدة ، وانتهيت إلى قرار مؤلم هو أن من الضرورى الإفضاء بمعلومات عامـــة عن الطاقة الذرية والتثبت من أنها تؤخذ مأخذ الجد. ولهـــذا السبب قررت أن أقبـــل ما عرض علىّ .

« وفى اجتماع لنا أعطيت الرجل مقادير ميكروسكوبية من يورانيوم ٢٣٣ ويورانيوم ٢٣٥ ، وأعطيته أيضا تقريراً مكتوباً عن الأبحاث الذرية بقدر ما أعلم منها .

« وطلب الرجل منى كذلك معلومات عن القنبلة المسيرة بالكهيربات التى تصنعها الولايات المتحدة . ولم أكن أعلم عنها إلا القليل ، فلم أعطه شيئاً يذكر .

« وأعطانى الرجل بعض الريالات ( وقد نسيت عـــددها ) فى زجاجة ويسكى ، وقد قبلتها على غير إرادتى.

« وقبل أن أغادر كندا ، اتفقنا على أن أقابل عند عودتى إلى لندن رجلا لا أعرفه ، وقد أخلفت الموعد لأنى رأيت أن هذا النهج الخفى لم يعد لائقـــاً ، نظراً لما أذيع رسمياً من المعلومات، ولإمكان الاتفاق على نظام الرقابة الدولية على الطاقة الذرية .

« وكان الأمر كله مبعث ألم لى ، وما دخلت فيه إلا لأنى شعرت بأن هذه قد تكون مساهمة منى فى سبيل أمن البشر وسلامتهم . ولم أفعل ذلك طلباً للربح . »

وقد علق القـــاضى أوليفر على بواعث الدكتور ماى الإنســـانية بما يأتى :

« لقد أصغيت إليك يا ألن نان ماى بشىء من الدهشة وأنت ترسم صورة رجل شريف لم يفعل إلا ما يعتقـــد أنه صواب. وأنا لا أرى فيك ما تراه أنت فى نفســـك . فكيف بلغ من قحة رجل فى مثل مركزك وغروره فضلا عن لؤمه ، أن ينتحل لنفسه الحق فى تقرير أمر من هذا الضرب، مع أنك قد أعطيت على نفسك موثقاً مكتوباً أن لا تفعل ذلك ، وكنت تعلم أن هذا السرّ من أعظم أسرار بلادك — إنه لأمر شنيع أن تكون قد فعلت هذا » .

وبعد الساعة الحادية عشرة ببضع دقائق

فى ليلة ١٤ مارس دق الجاويش رينيه ج . نويل من رجال الشرطة الكندية ، باب فريد روز فى أتوا .

وكان روز على التلفون يحادث مراسلا لجريدة فى تورنتو طلبه ليسأله هل قبض عليه فقال روز : « كلا ، لم يقبض على » ووضع السماعة ، وفتح البـاب فاعتقل على الفور .

ومع أن الوثائق والشهود تثبت علاقة فريد روز بكثير من جماعة التجسس ، إلا أنه رفض أن يدلى بأقواله أمام اللجنة الملكية ، أو أن يفسر علاقته بالقضية .

وقد ظلت اللجنة الملكية منعقـدة من فبراير إلى يونيه ١٩٤٦ . وفى السابع والعشرين من يونيه ، بعد أن سمعت عشرات من الشهود وراجعت آلافا من الصفحات ، أذيعت قراراتها المزعجة . وقد قالت فى ختام تقريرها : « لم نطلع إلا على القليل الذى استطاع جوزنكو أن يجمعه قبل مغادرته للسفارة من وثائق زابوتين الخاصة بالجاسوسية ، وهذه الوثائق لاتكشف إلا عن عمل نظام الجاسوسـية الخاص بالكولونل زابوتين ، وإن كانت الأدلة تكشف عن وجود شباك أخرى مازال بعضها يعمل منذ عدة سنوات » .

وقد ترك أمر العقوبة لمحاكم الدولة ، ونظراً لتعقد أدلة الإثبات ضد كل فرد ، رؤى أن الأوفق عقد محاكمات مستقل بعضها عن بعض .

وقد بُرِّىء بعض الذين تعقبهم رجال الشرطة الكندية لعدم كفاية الأدلة ، واعترف البعض بأنهم مذنبون ، وثبتت إدانة آخرين ، ولا تزال المحاكمات مستمرة . وهذا ما انتهى إليه الأمر فى بعض المحاكمات الرئيسية إلى الوقت الذى كتب فيه هذا :

| الاسم | الاسم المستعار | المحاكمة | الحكم |
| --- | --- | --- | --- |
| الدكتور ألن نان ماى | اليك | اعترف | ١٠ سنوات |
| فريد روز | ديبوز | أدين | ٦ سنوات |
| إما وويكن | نورا | اعترفت | ٣ سنوات |
| كاثلين ويلشر | إيلى | اعترفت | ٣ سنوات |
| ه . س . جيرسون | جراى | أدين | ٥ سنوات |
| د . ج لونان | باك | أدين | ٥ سنوات |
| إ . و . مازرول | باجلى | أدين | ٤ سنوات |
| درنفورد سميث | بادو | أدين | د سنوات |

والزمن وحده هو الذى سيبين هل تؤدى وثائق جوزنكو إلى تغيير فى أساليب السوفيت فى استخدام هيئة دبلوماسية لإنشاء طابور خامس فى بلاد دولة صديقة . وقد قال جوزنكو فى هذا الصدد : « جاء فى آخر برقية طلب معرفة الموارد الطبيعية التى تستطيع كندا أن تعبئها فى حالة نشوب الحرب — الفحم والزيت والمعادن النادرة وغير ذلك »

وإن اهتمام روسيا بكندا لبديهى من وجهة النظر الحربية العالمية التى لا دخل للعاطفة فيها ، فإن كندا واقعة على الخط الأمامى للطريق الجوى القطبى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

## منذ عهد آدم وحواء

يتفق النساء والرجال فى شىء واحد على الأقل : ريبتهم فى النساء

[ هـ . ل . د منكن ]

إذا اردتِ أن تدركى السعادة الحقّ مع رجل ، فينبغى لك أن تفهميه كل الفهم وأن تحبيه بعض الحب . وإذا أردتَ أن تدرك السعادة الحق مع امرأة ، فينبغى لك أن تحبها حباً جماً ، وأن تنصرف تماماً عن محاولة فهمها .

[ هيلين رولند ]

لن تجد فى الدنيا امرأة يخشى خطرها ، وإنما تجد رجالا عرضة لإغراء المرأة .

[ جوزيف وود كراتش ]

كنت قبل زواجى أرى ستة آراء مختلفة فى تنشئة الصغار وكيف ينبغى أن تكون ، أما اليوم فقد صار عندى ستة أولاد — وليس عندى رأى ما .

[ لورد روتشستر ]

سئلت عانس لِمَ لم تتزوج فقالت : « لابد أن يكون الزوج من خير الرجال حتى يكون الزواج به أفضل من البقاء بغير زواج »

[ إرفنج ورث پولى ]

# وَيْلٌ للشجيّ من الخليّ

بروس هتشيسن

*مختصرة من صحيفة "وينيبيج فري برس"*

لقد طبعت على الرثاء لحال الذين نكبوا بعادة التدخين ، أى أنى صرت مطبوعاً عليه منذ تسعة أيام، يوم تركت ذلك العشب اللعين. أما وقد صفا ذهنى من أبخرة الدخان وطهر دمى من سم النيكوتين ، فقد صار فى وسعى أن أحسن التفكير .

وقد وجدت بالحساب أن الرجل من أوساط المدخنين ينفق ٣٢ جنيهاً فى السنة على هذه الرذيلة — وهذا مبلغ يكفيه ليشترى ٤٥ كتاباً جيداً ، أو بذلتين ، أو كرسياً وثيراً ، أو أن يذهب فى إجازة تجدد نشاطه ، ولكنّ هذا كله يتبدد دخاناً فى الهواء .

وقد مضيت فى الحساب بعد أن صفا ذهنى ، فتبينت أن هذا الرجل ينفق فى ٣٠ سنة ٩٦٠ جنيهاً ، فلو كنت تركت التدخين منذ ٣٠ سنة لتوفر لى ثمن سيارة فخمة ، أو نفقة رحلة إلى أوربة ، أو القسط الأول على بيت يكون ملكا لى .

وقد سمعت الناس يفسرون مشكلات الاقتصاد فى العالم اليوم على وجوه مختلفة ، ولكنهم جميعاً أغفلوا السبب الحقيق . فلو عدم الناس الطباق الذى يدخنونه ، لزاد دخل الأسرة المتوسطة ( ولا تنسين أن الرجال والنساء عبيد لهذا العشب ) ٥ جنيهات تنفقها عند البقال أو التاجر أو غيرهما ، ولارتفع مستوى المعيشة بوجه عام .

وحسبي أن أقول إن الأيام التسعة التى مرّت بى منذ تركت الدخان ، هدتنى إلى أن السر فى انهيار حضارتنا ليس هو الفاقة ولا الحرب ، بل التدخين . وكيف يسعنا أن نعالج مشكلاتنا الكبيرة ، ونحن ندخن فيعمى الدخان عيوننا ؟ !

توصلت فى الأيام التسعة الماضية إلى إدراك هذه الحقائق ، وقد كانت من أسعد أيام حياتى — إذا تناسيت أنى كنت فى بحرها مريض الأعصاب منغص العيش ، لا أصلح لعمل أو لمعاشرة ، فقد نفر منى أهلى وأصدقائى حتى صرت أشتهى فى كل صباح أن أموت قبل أن يرخى الليل سدوله.

وأنا اليوم رجل حر، ولما كنت قد عاهدت نفسى على أن أترك التدخين مدة شهر فلا يزال أمامى ٢١ يوما أتمتع فيها بالحرية قبل أن أرتد إلى عبوديتى الأولى .

وها أنذا أعدُّ الأيام الباقية !

# رسالة إلى
# حضرات المعلنين الكرام

نضم جماعة قرّاء المختار كلّ ناحية من نواحى النشاط الإنسانى الكثيرة فى البلاد العربية اللسان : من تجار القطن إلى تجار الملابس إلى تجار الطعام والأدوات الكهربائية والسجاير ، ومن المهندسين الزراعيين إلى المهندسين الميكانيكيين والكيميائيين، ومن الأمهات فى البيوت إلى المدرسات والطالبات فى المعاهد، ومن الأساتذة والمدرسين إلى الطلبة على اختلاف درجاتهم، ومن مديرى الشركات إلى كتبتها ، ومن كبار رجال الدولة إلى صغار موظفيها .

وهؤلاء القراء الكرام سواء نظرنا إليهم على أنهم أفراد من الناس أو جماعات تصل بينها أواصر المصلحة أو العمل ، يشتركون جميعاً فى رغبتهم الصادقة وعزمهم على أن يوسّعوا أفق معرفتهم وثقافتهم وتسليتهم البريئة بمطالعة صفحات المختار النافعة المتعة الإنسانية الأفق والنزعة. وهذه الرغبة المشتركة بين جموع المثقفين والمثقفات، تتيح لكم ، ولما تستطيعون أن تسدونهُ من خدمة أو تبيعونهُ من منتجات ، أعظم وأقوم جمهور من الناس المهذبين فى بلاد الشرق العربى .

وإن نشر إعلاناتكم فى صفحات المختار ، ليتيح لكم أن تسدوا خدمتين لهذا الجمهور المثقف. فأنتم تضعون أمام أنظاره مصنوعات جيدة متقنة يستطيعون أن يعتمدوا عليها ، ثم إن ما تنفقونه أجراً على الإعلان ، وهو يزيد قليلا على مئة جنيه للصفحة الواحدة ، يتيح لنا نحن أن نبيع العدد الواحد من المختار بثلاثة قروش فى مصر وما يعدل ثلاثة قروش ونصف قرش فى سائر البلاد العربية، وهو مبلغ يقل عن تكاليف إخراجه ونفقات تحريره وطبعه وتوزيعه .

ونحن على ثقة بأن قراء المختار الكرام يودون أن يشتركوا معنا فى الشكر ، لأن مؤازرتكم من هذه الناحية تتيح لهم أن يظفروا بمجلتهم التى خصوها بإيثارهم وإقبالهم دون نفقة تذكر ، كما تتيح لنا أن نهيء لهم هذه المجلة النافعة الممتعة التى صار لها أحسن ذكر وأنفع أثر بينهم .


مواد للتزييت والوقود
تزيد القدرة وتعزز الاقتصاد
اطلب « كالتكس » بالذات ، كلما أردت أن تظفر بأجود المنتجات البترولية المطلوبة ، فتتحقق لك أعلى درجات الصيانة والمحافظة على معداتك الثمينة ، وأكبر مقدار من الإنتاج والاقتصاد فى النفقات ، وكل القوة التى تطلبها . انتفع بجميع منافع « كالتكس » ومنتجاته ، التى تأتيك من أغنى آبار الزيت فى العالم ، وأحدث مصانع التكرير .
Société California Texas des Pétroles, S. A. E.
9, Sh. Fouad Ier, Cairo, Egypt.
كالتكس
مصنع التكرير فى البحرين - الخليج الفارسى


ليس عليك إلاّ أن تضع الاسطوانة
وإذا بها تدور
راديو فونوغراف فيلكو الجديد الرائع « ١٢٠١ » :
نعم ! إنه بلغ من البساطة مبلغاً عجيباً ، حتى ليستطيع طفل أن يديره . يبدأ ، من تلقاء ذاته ، ويدور من تلقاء ذاته ، ويقف من تلقاء ذاته . فلا حاجة إلى تدوير ذراع ، أو تغيير إبر ، أو معالجة أغطية أو أدوات زوّد بها . ولا خطر على الإسطوانات . ويضاف إلى كل هذا أنك تملك جهازاً قوياً للراديو في موبيليا رشيقة لامعة مصنوعة في شكل جميل من نوعين من الخشب الصلب . وقد بيع منه حتى الآن أكثر من ربع مليون جهاز ، وهو راديو قوي أيضاً .
PHILCO
وهو راديو قوي أيضـــا
فيلكو
المشهور بالجودة في جميع أرجاء العالم




# يدٌ تُسدى إلى الإنسانية

لقد بلغ العمل الذى تقوم به مصانع « سويفت » كل يوم من الجسامة والعظمة حتى نستطيع أن تعده خدمة عظيمة تسدى إلى الخير الإنسانى العام . وإلى جانب هذا العمل النافع ، تجد مهمة أخرى تتم فى سكون معامل البحث .

فالبحث العلمى فى هذه المعامل قد مهد لصناعة تجهيز الذبائح وجوهاً كثيرة ينتفع فيها بنفايات هذه الصناعة أعجب انتفاع . فقد صار فى الوسع إعداد كثير من المستحضرات الطبية التى تسدى خدمة عظيمة إلى الإنسانية وذلك عن طريق الإنتفاع بالحيوان الذبيح كله .


فبفضل بصيرة رجال « سويفت » النافذة استطاعت شركة « سويفت » أن تساهم أقوى مساهمة فى هذا العمل ، وهى تعلم حق العلم مبلغ نفعه للبشر .

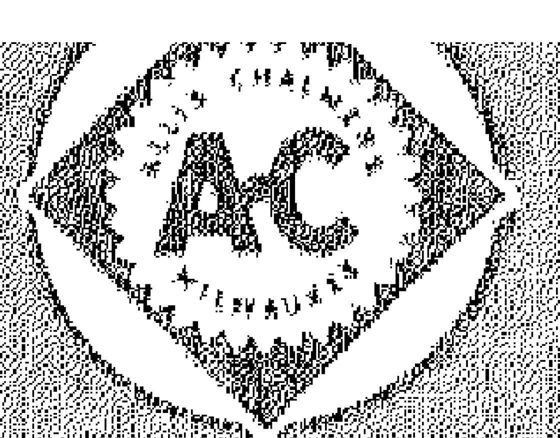
COMPANIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

**شركة "سويفت" الدولية**

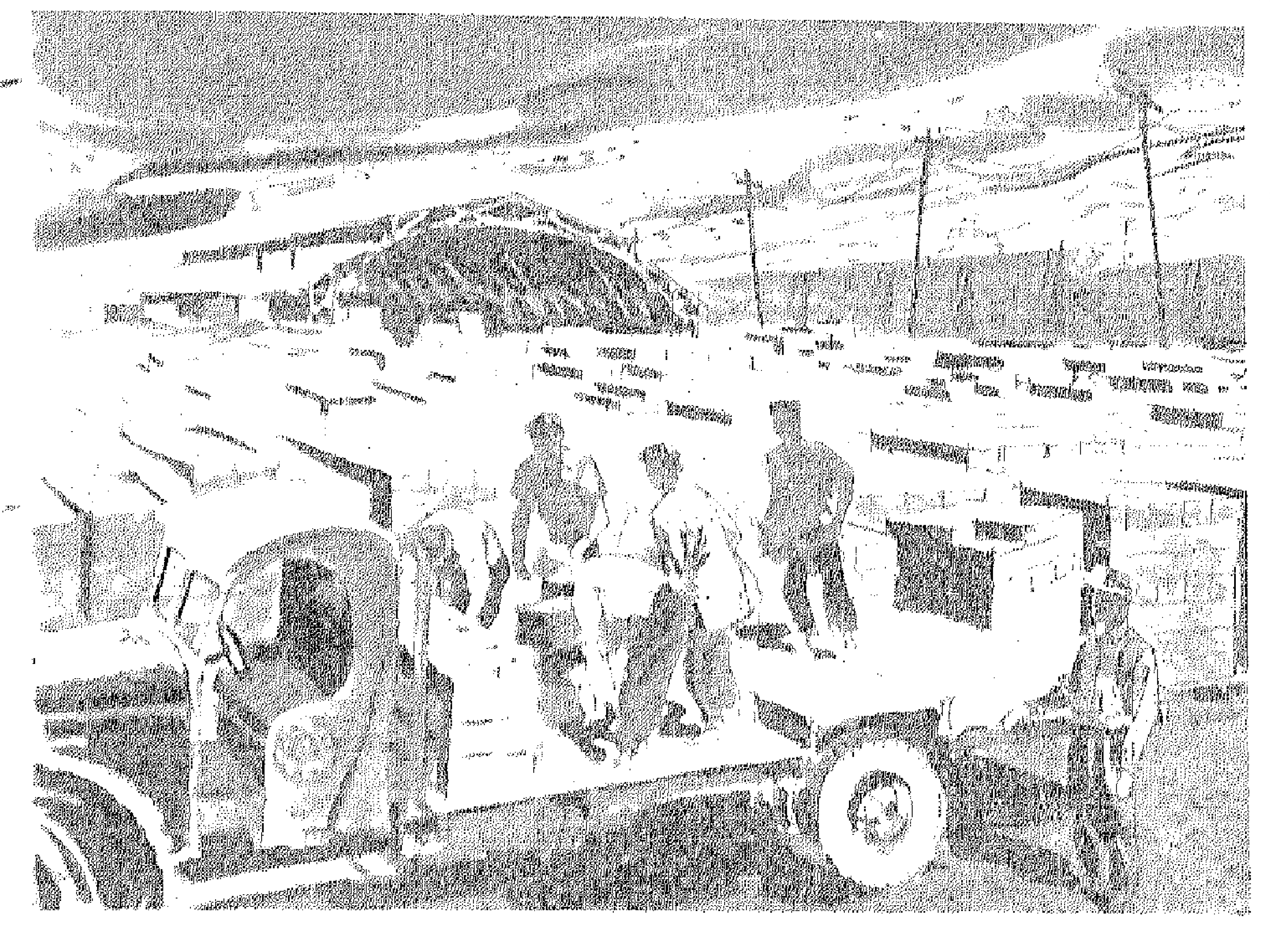
مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً


حسبك أن تمسك قلم « پاركر ٥١ » لتشعر بأنهُ القلم الذى لا قلم غيرهُ لك
فتدرك لساعتك السرّ فى أن هذا القلم الذى يتزاحم الناس على طلبه
فى جميع أنحاء العالم ، لا يمكن أن يصنع على تعجّل. إن جماله الرشيق
المشيق ـ وسنه الذى ينساب انسياباً ناعماً ـ ولمستهُ الرفيقة التى
لا تحتاج إلى ضغط ـ وقدرتهُ على أن «يكتب كتابة جافة بمداد
سائل» جميع هذه المزايا إنما هى نتيجة الصناعة الدقيقة
المتقنة ، التى بلغت أعلى درجات الدقة والإحكام .
THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U.S.A.
الوكلاء العموميون :
الشركة المصرية لعموم التوريدات
١٣ شارع قصر النيل ت ٤٢٠٧٠
القاهرة ـ مصر
پاركر
"٥١"
يكتب كتابة جافة بمداد سائل !

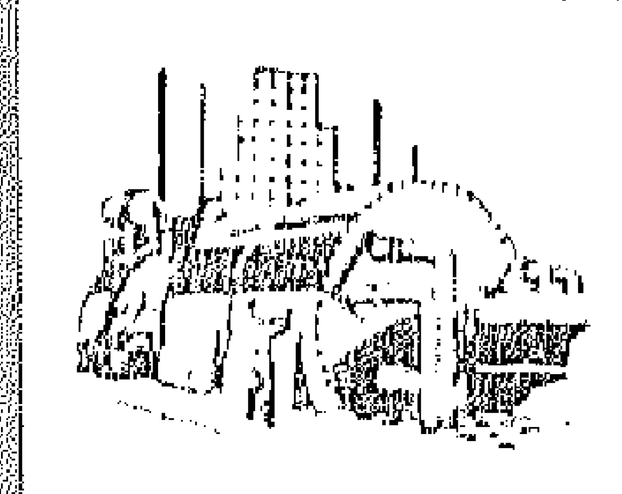



# ALLIS-CHALMERS

## أكبر مجموعة من معدات الصناعة الرئيسية





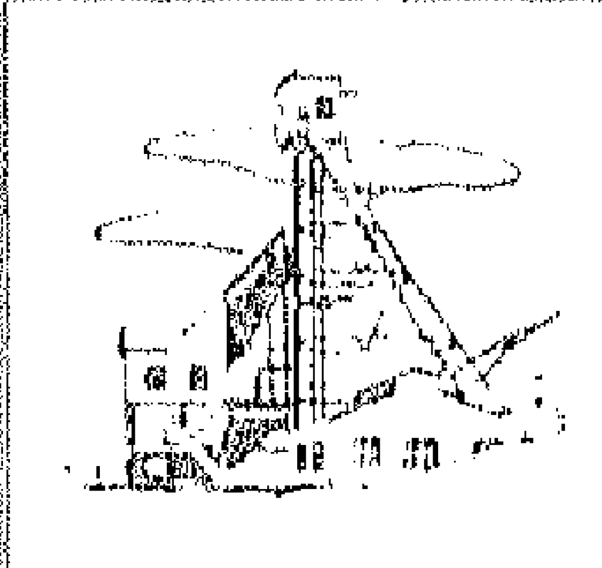

## قوالب للبناء ، للظفر بعيش أفضل

هذه قوالب من الاسمنت ، للبيوت والمبانى ، وما هى سوى علامة واحدة على اتساع النشاط الصناعى ، الذى يفضى إلى العيش الرغد الرخى [illegible] يطرد زيادة من الناس فى جميع أرجاء الأرض !

و «أليس شالمرز» يساعد على تحقيق مشاهد كهذه المشاهد ، لأننا نصنع مجموعة كبيرة كاملة من آلات صنع الاسمنت : المحطمات والساحقات ، والشباك ، والأفران .

والواقع أننا نصنع معدات لكل صناعة أساسية ... فتعين على إنتاج أفضل ، وملابس أرخص ، وطعام ووقود وقوة كهربائية أوفر . وأهل الصناعة فى كل مكان يعرفون آلاتنا بما تتصف به من تصميم جميل وقدرة على العمل [illegible] .

وسواء كنت تحتاج إلى محرك واحد ، أو طلمبة واحدة ، أو كل المعدات اللازمة لمصنع كامل . فتفضل بمشاورة وكلائنا فى الشرق الأوسط .







**القطر المصرى والسودان** : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة بالقاهرة [illegible] ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — **العراق وشرق الأردن** : الشركة الأمريكية [illegible] شارع الملك فيصل بالبصرة — **الحبشة** : أمريكان إستيرن كوربوريشن ، أديس أبابا — **المملكة العربية السعودية** : أمريكان إستيرن كوربوريشن ، جدة — **إيران وأفغانستان** : أمريكان إستيرن كوربوريشن ، شارع شاه ( [illegible] ) ٩٢٠ طهران

إن شركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» المشهورة في جميع أرجاء العالم، أنشئت في سنة ١٩١٠، فهي أقدم وأكبر شركة قصرت اهتمامها على صنع سيارات نقل تشمل قوة الدفع فيها، العجلات الأربع، أو العجلات الست، وهي سيارات اشتهرت في كل مكان بأدائها الذي يُعتمد عليه. وشركة « فور هويل درايف أوتو كومباني » هي إحدى الشركات العالمية الكبرى التي تصنع سيارات للنقل الثقيل.




# رسالة خطيرة الشأن

## أصحاب سيارات النقل FWD اليوم أو في المستقبل، في جميع أرجاء العالم

إن كثيراً من سيارات نقل FWD القوية المتينة التي صنعت للخدمة في الحرب، قد صارت اليوم عمادَ الأهلين في أعمالهم المدنية. فإلى أصحاب سيارات نقل FWD اليوم، وإلى الذين سيشترونها في سائر بلاد الله توجّهُ شركة « فور هويل درايف أوتو كمباني » هذه الرسالة الخطيرة الشأن.

إن المعلومات الفنية، وقطع الغيار الأصلية FWD اللازمة لهذه السيارات حتى تعمل، عملا نافعاً ولصيانتها، تجدها متاحة لك عند شركة « فور هويل درايف أوتو كومباني » أو عند موزّعيها في جميع أرجاء الأرض . . . فتساعد كل صاحب سيارة منها على أن يظفر من هذه السيارات بأقصى درجات الانتفاع والخدمة الطويلة الأمد والاقتصاد.

وسيارات FWD التي لها قوة دافعة تحرك العجلات الأربع والعجلات الست، تتيح لك مزايا لا يسبقها سابق: أقصى قوة وقدرة على نقل الأحمال في أوعر الطرق وأشد أحوال الجو إرهاقاً: سرعة أعظم على مسافة أطول يصحبها أمن أتمّ: أقلُّ نفقة لوحدة النقل (طن واحد-ميل واحد) توزيع متعادل للقوة المحركة — ولوطأة الحمل المنقول على العجلات الأربع أو العجلات الست: خفض الإجهاد على المحاور، وتقليل تآكل الإطارات: خدمة طويلة الأمد.

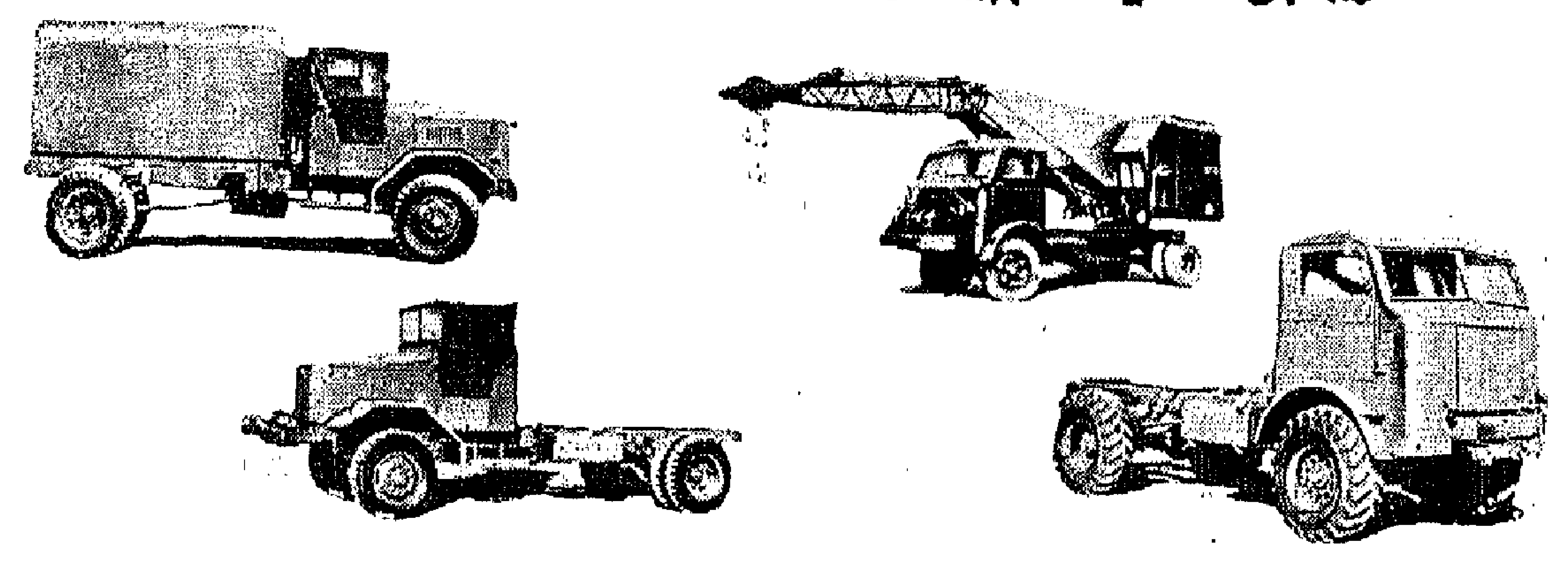
*تطلب البيانات الكاملة، بالبريد أو بالبرق من:*

**THE FOUR WHEEL DRIVE AUTO COMPANY**

**CLINTONVILLE, WISCONSIN, U. S. A.**

العنوان التلغرافي: **FWD CLINTONVILLE (Code: "Bentley's")**

**إن سيارات FWD الحربية، يسهل تحويلها إلى المهام المدنية بنفقة قليلة، ويسهل تزويدها بهياكل شتى وبالمعدات التابعة لها.**




شحنة من الفتنة
من مصانع «كاسونز»
بمانشستر (إنجلترا) خرجت
أحدث الروائع فى أنواع
«أحمر الشفاه» البريطانية فى
خمسة ألوان جديدة . وقد
روعى فى صنعها أن تكون
ممتازة فى مادتها ولونها ،
فهى تحتل اليوم مكان الصدارة
فى صالونات التجميل فى
جميع أنحاء العالم .
Cussons أحمر شفاه
84, Brook St., Grosvenor Square, London W. 1. ENGLAND.

# تعمل في كل مكان وكل زمان




سرڤيل تعمل
بالكيروسين
أو
الغاز
الطبيعى

قد تبدو لك أنها معجزة ، ولكنها حقيقة واقعة . إن ثلاجة « سرڤيل » التي تعمل بالغاز ، يمكن أن تنتفع بها في كل مكان — في المدن والمزارع والبيوت والمتاجر . وذلك لأن نظام التبريد فيها يعمل بلهب ضئيل من الكيروسين أو الغاز. وحياة ثلاجة « سرڤيل » أطول مدى أيضاً . فليس فيها آلات تتعطل — وليس بين أجزائها جزء واحد متحرك تبليه أو تعطله الحركة .

وحتى في أشد الأقاليم حرارة ، ترى تبريد « سرڤيل » الثابت يحفظ لك الثمار والخضر طازجة غضة مشهية أياما متوالية . وداخلها رحب يسهل أن تخزن فيه مقادير من الأطعمة التي تحتاج إلى مساحات واسعة . أما المشروبات المبردة فإنك واجد دائماً مكعبات الثلج كثيرة في متناول يدك — ساعة تريدها . وثلاجة « سرڤيل » جميلة رشيقة التصميم وهي بيضاء لامعة مصقولة وتدوم سنين كثيرة .

فليس ثمة عجب أن تكون ثلاجة « سرڤيل » التي تعمل بالغاز منتشرة في جميع أرجاء الأرض ، في أكثر من مليوني بيت ومتجر. وإنك لتعجب يوم تقتني واحدة، كيف استطعت من قبل أن تعيش بدونها.

الثلاجة التي تختلف عما سواها

**Servel سرڤيل**

Servel, Inc., International Division, 51 East 42 St., New York 17, N. Y., U. S. A.




إن سيارة « جيب ستيشن واجون » تمثل فكرة جديدة كل الجدة فى النقل بالسيارات . وهى تجمع بين عمل السيارة الفخمة ، ومنفعة مركبة النقل العملية . فهى تتيح لك الراحة التى تجدها فى سيارة « ليموزين » مضافاً إليها نفع حق متعدد النواحى .

جسمها مصنوع من الصلب ، تتسع لسبعة ركاب ، يمكنك أن تزيل مقاعدها فتظفر بمكان رحب لنقل الأمتعة . محركها هو محرك « جيب » الذائع الصيت فى العالم كله ذو أربعة سلندرات ويولد ٦٣ حصاناً ، فهو مضمون تعتمد عليه ، واقتصادى قليل النفقة ، وهو يدير العجلات الأمامية والخلفية ، وله « أوفر درايف Over-drive » ، يضمن اقتصاداً أكبر فى الوقود ، وحياة أطول للمحرك . يبلغ الركوب فيها غاية الراحة ... ولها نظام جديد فى تحميل العربة على العجلتين الأماميتين فلا تتأثر بالمطبات — أداؤها مطرد وقيادتها سهلة .

# "Jeep" "جيب" ستيشن واجون

سيارة جديدة كل الجدة ، صنع "ويليز أوفرلاند" "WILLYS-OVERLAND"

# ـراف

إن الأوبئة التى تنزل قطعان الضأن كلّ سنة تسبّب للفلاحين خسارة فادحة . ولذلك نرى صناعة الطبّ البيطرى البريطانية قد هبّت لتخفيض هذه الخسائر ، يساعدها فى عملها عمل الباحث الكيميائى ومنتجات الصناعة الكيميائية البريطانية . والواجب الواقع على كاهل الطبيب البيطرى هى أن يهيمن عليها ويشفى منها أيضاً . ولكى يؤدى مهمّته ويحقق أغراضها يحتاج إلى مجموعة كبيرة من المواد الكيميائية لا تزال تزداد ازدياداً مطرداً — تتفاوت من الأملاح البسيطة إلى المواد المركبة المعقدة . فهو يحتاج إلى طائفة شتىّ من مواد التطهير التى تفتك بالجراثيم، ومركبات الزرنيخ والكبريت وغيرها لصد الطفيليات الخارجية، ومواد عضوية مثل الفينوتيازين لتطهير أمعاء الحيوان من الديدان الطفيلية.




وهو يهيمن هيمنة تطرد زيادة على كثير من الأمراض بضروب الألقحة المهيّأة بفضل الكيمياء. فاللقاح ضدّ مرض الكلب يشمل استعمال الفورمالين ، وقد صنع منذ عهد قريب لقاح ضدّ حمى الخنازير من الصبغ البنفسجى البلوّرى . هذه كلها خطوات واسعة على طريق التقدم . فالتحالف بين صناعة الطب البيطرى والباحث الكيميائى والصناعة الكيميائية البريطانية هو حقًّا تحالف ونبق العرى .

IMPERIAL CHEMICAL INDUSTRIES-LONDON-ENGLAN

زعون الوحيدون فى القطر المصرى والسودان

**الصناعات الكيماوية الإمبراطورية**

( مصر ) شركة مساهمة — مصر

فى فلسطين ، سوريا ، شرق الأردن ، لبنان ، العراق

**الصناعات الكيماوية الإمبراطورية ( الشرق ) المحدودة**

يافـا


في جميع أرجاء العالم
كوكا كولا
Coca-Cola
تأتي بالشراب المرطب

[ تتمة مقالة الغلاف ]

جراء هذه النظرة ، كان نفعها أعظم ما يكون . فالمجلة تقول : « هذا الفصل هو زبدة كتبه أحد الكتاب في موضوع بعينه ، فاستزيدي منه كما تشائين » .
والمرأة العاقلة تفعل ذلك .

# "أعظم الهبات"

إرنستين شومان هنك

المغنية المشهورة

علمتني أمي منذ صغري : «إن يكن هذا اليوم مطيراً، فالشمس في غد مشرقة لامحالة». هذا الأمل المشرق هبة نحن في أشد الفقر إليها . وكل امرىء لايزال ينتهي إلى سمعه في كل يوم أن العالم قد امتلأ جوراً وبؤساً ، فهو يحس أن البؤس قد عم الدنيا ، كما يعمها المطر في اليوم المطير . ولكن ينهض في الحين بعد الحين رجل قد فاض قلبه بالشجاعة يقول للناس : « الشمس في غد مشرقة لامحالة » .

والذين يبعثون في قلوبنا هذا الأمل المشرق نفر قليل من الناس . وقد لقيت في أسفاري رجالا ونساء على هذا الغرار ، وسمعت بآخرين فيما قرأته من أخبار الدنيا . وقد كان عملي يستغرق كل وقتي ، فلم يكن يتاح لي إلا وقت قليل للقراءة ، فإذا انفسح لي وقت أقرأ فيه ، آثرت أن أقرأ ماينفث في قلبي روح الشجاعة ، كأن أقرأ عن ناس ممن يصنعون الخير والجميل ، أو ناس في قلوبهم معنى من معاني الأمومة كالتضحية والكدح والحب.

ومن أجل هذا أحببت مجلة ريدرز دايجست ، فهي حافلة بما يبعث في القلب الرجاء، فلا تعرض عليك غيوماً مطبقة على الأرض إطباق الليل المظلم . بل تختار لقارئها رجالا ونساء وتعرض عليه سيرتهم لتكون مثلا يحتذى في الشجاعة والدؤوب على العمل النافع . وهذا شيء لا يمكن أن يكون عفوا واتفاقاً ، ولا أن يكون نهجاً مقصوداً وحسب ، بل هو أكبر من ذلك ، هو توجيه إلى خير غاية يعرفها البشر إلى هذا اليوم . ويخيل إلي أنها لاتزال تقول : « الشمس في غد مشرقة لا محالة » ، ولذلك آثرتها بحبي .

نداء من سيدتين مشهورتين

# "فى الوقت فسحة"

مرجريت كلكنج باسنج

مؤلفة "فساد الأسرة" و "دفاع عن العفة"

أكاد أسمع امرأة تقول إنها لا تجد فسحة من الوقت للمطالعة ، حتى أستشيط غضباً ، فليس قولها هذا سوى عذر واهٍ تعتذر به عن كسلها وعجزها عن حصر ذهنها فيما يهمها أن تطلع عليه . بيد أنها تستطيع ، لو أرادت ، أن تجد فى كل يوم مهما غصّ بالعمل ، فترات قصيرة تتزوّد فيها مما تقرأه بزادٍ يعينها على أن تسير فى ركب الحضارة ومواكب الفكر السائرة قدُماً إلى أمام .

إنها تستطيع ، ولكنها قلما تفعل . والعقبة الكؤود هى ضيق الوقت . فمعظم النساء ، حتى اللواتى تلحُّ عليهنّ الرغبةُ فى الاطلاع وطلب المعرفة ، لا يجدنَ متسعاً من الوقت يحصرن فيه أذهانهنّ فى الكتب العويصة ، والمقالات المسهبة . وهنّ ينظرن إلى المقالات الطويلة المعقدة فى الموضوعات الخطيرة ، فينثنين عن عزمهنّ ، ويملنَ إلى مطالعة القصص . على أنهنّ يدركن أن مطالعة تلك المقالات والكتب أمرٌ صار لا غنى عنه فى نظرهنّ ، فجمال المرأة وفتنتها لا يكفيانها بغير عقل مهذّب ، والمرأة الجاهلة عبءٌ ثقيل على نفسها وعلى أصدقائها فى المجتمع الحديث .

وفى وسع مجلة ريدرز دايجيست ( والمختار وأخواتها فى شتى اللغات ) أن تعين النساء على تذليل هذه العقبة الكؤود ، وهى تفعل ذلك دون أن تجعل فصولها صورة مبتذلة غير صادقة للمقالات التى تختصرها . وكل ما تقرأينه فى « المختار » ينبغى أن يكون حافزاً يحفزك إلى الاستزادة ، فإذا نظر إليها

[ التتمة على الصفحة السابقة ]